ساعدت جامعة بغداد على نشره

مروان بن أبي حفصة

وشعره

قحطان رشيد التميمي

مدرس في كلية الآداب بجامعة بغداد

رسالة ماجستير في الآداب ـ جامعة بغداد

١٩٦٦ م ـ ١٣٨٦ هـ

١٩٧٢ م

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ هاتف ٣٢٠٩٧

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مروان بن أبي حفصة

وشــعره

قحطان رشيد التميمي

مدرس في كلية الآداب بجامعة بغداد

رسالة ماجستير في الآداب ـ جامعة بغداد

١٩٦٦ م ـ ١٣٨٦ هـ

١٩٧٢ م

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف هاتف ٢٠٩٧

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

مقدمة البحث

كان مروان بن أبي حفصة أحد الشعراء البارزين في العصر العباسي ، وقد كان لاتجاهه السياسي في تأييد بني العباس أثر كبير في ابراز شخصيته واشتهار شعره • ومروان احد الشعراء الذين تأثروا بالبيئة التي عاشوا فيها فظهر أثر ذلك في شعره ، اذ كان كما سنرى شاعراً محافظاً قلّد الأقدمين وسار على نهجهم ، وهذا هو الذي حملني على دراسة هذه البيئة لتلمس آثارها المختلفة في هذا الشعر •

ولربّ سائل يسأل : لماذا اخترت مروان موضوعاً للبحث ؟ •• ولم آثرته بالدراسة ؟ وجواباً عن ذلك أقول :

١ ــ ان مروان في ذاته يصلح لأن يكون موضوع دراسة أدبيـة متكاملة الجوانب ــ كغيره من الموضوعات الادبية الاخرى ــ ذلك ان حياة الرجل وشعره لم يدرسا دراسة مستقلة تبحث في العوامل المختلفة التي أثرت في حياته وفي اتجاهه الشعري • واذا تأملت شعره أهتديت الى خصائص ومزايا إقتنعت بعدها بصلاح هذا الموضوع لدراسة ادبية خاصة •

٢ — ان تفرّق اشعاره في مصادر كثيرة دون ان يضمها ديوان شعري ، دفعني الى أن اسعى بجد لجميع ما يمكن جمعه من شعره اعتماداً على هذه المصادر ، لأحققه وأشرحه اولاً ، ولأستعين به على فهم الشاعر في دراستي لحياته وفنه ثانياً .

٣ — ان البحث العلمي — وهو حق مقرر للجميع — يعطينا الحق في اختيار أي موضوع ادبي مناسب ، مهما تكن نتائج البحث لأن العلم والمعرفة غاية في ذاتهما .

٤ — وأخيراً فإن هذا الإختيار كان اتساقاً وانسجاماً مع ما قرره قسم الدراسات العليا في جامعة بغداد بضرورة البحث في الموضوعات الأدبية القديمـــة .

لقد رافق مروان القرن الثاني الهجري منذ استهلت أعوامـــه الأولى حتى بداية ربعه الأخير ، فشهد في حياته التحول الجديد والتطور الكبير في الحياة العامة بكل أحوالها : السياسية والاجتماعية والأدبية .

إن هذا البحث قائم على قسمين رئيسين :

١ — دراسة حياة مروان وشعره .

٢ — جمع شعره وتحقيقه وشرحه .

ولقد حرصت على أن تكون طريقة البحث واضحة الأسس بينة المعالم ، بحيث تكون الفصول الستة التي تتكون منها هـــذا البحث شاملة للجوانب الرئيسة في حياة الشاعر وشعره ، ومتسلسلة تسلسلاً مقبولاً ، كما تقتضيه طبيعة هذا البحث .

وقد مهدت لهذه الفصول بالحديث عن البيئة العامـــة التي عاشها الشاعر بكل جوانبها المختلفة ، لأتبين بعد ذلك آثار هذه البيئة في شعره .

وإذ كانت رسالتي تقوم على دراسة شخصية أدبية وتبيّن مكانتها من تاريخ الادب العربي ، فإن حياة مروان كانت نقطة الانطلاق في هذا البحث ، فكان الحديث عن هذا الجانب في الفصل الأول . ثم تحدثت في فصول ثلاثة متتالية عن أثر بيئة مروان العامة في شعره . وتناولت اغراضه في فصل خامس ، وانتهيت في الفصل الاخير الى الحديث عن خصائص شعره العامة .

إن محاولة جمع شعر مروان اقتضتني أن اقوم برحلة طويلة مع الشاعر لأجمع قصائده ومقطوعاته من اسفارنا الأدبية واللغوية والتاريخية القديمة ، التي عرضت لذكر مروان أو طائفة من شعره . ذلك ان كثيراً من مصادر الادب العربي القديمة عنيت بأخباره واشعاره عناية حسنة . ولقد كانت أهم المصادر التي اعتمدنا عليها ورجعنا اليها وأفدنا منها ـ مطبوعة أو مخطوطة ـ هي : الاغاني لأبي الفرج ، تاريخ بغداد للبغدادي ، امالي المرتضى ، وفيات الأعيان ، طبقات الشعراء لابن المعتز ، تاريخ الامم والملوك للطبري والحماسة الشجرية .

كان كتاب الأغاني المصدر الاول في هذا البحث ، إذ مدني بالروايات الكثيرة عن كل ما يتصل بحياة مروان واسرته اضافة الى أكثر من عشر مقطوعات من شعره . اما تاريخ الطبري فقد أورد ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة من شعره مع الاشارة الى الاحداث التاريخية التي قيلت فيها هذه القصائد والمقطوعات . وروى المرتضى في أماليه الكثير من آراء العلماء واللغويين في شعره مع ست عشرة قصيدة ومقطوعة مع شيء من التحليل والنقد .

واثبت ابن المعتز في طبقاته عشر قصائد ومقطوعات هي من عيون شعر مروان . مع اشارته الى أن شعر مروان كثير ونوادره جمة .

أما بقية المصادر ـ تاريخ بغداد ، الوفيات ، العقد الفريد ، الحماسة

الشجرية ، وغيرها — فقد أغنتنا بالكثير من الروايات مما يتصل بحياة الشاعر اضافة الى مجموعة جيدة من شعره .

ويحسن بي أن أذكر هنا ان طائفة من شعر مروان قد تجمعت لدي بعد مناقشة هذه الرسالة ، فوجدت اتماماً للفائدة واكمالاً للبحث أن اضيفها اليه عند الطبع .

لقد كان عملي في هذا البحث مزدوجاً : يجمع بين دراسة مروان وشعره، وبين العمل الجاد المجهد من أجل جمع هذا الشعر الذي توزعته عشرات المصادر العربيـة القديمة في اللغة والادب والتاريخ . وقـد حرصت — ما استطعت — على أن اجمع كل ما يمكن جمعه ونسبته اليه . مع العناية بتخريج قصائده ومقطوعاته وملاحظة الاختلاف في الروايات ، سواء في نسبة الابيات اليه ، ام في وضع كلمة أو اكثر مكان أخرى . وقد نهجت في ترتيب شعره على الطريقة الأبجدية . وشرحت من شعره ما رأيته بحاجة الى الشرح والتعليق . مع اثبات وزن كل قصيدة أو مقطوعة .

ولست ازعم أنني قد جمعت كل شعره فذلك ما لا استطيع الجزم به ، خاصة أن كثيراً من مصادرنا القديمة ما زال مخطوطاً وبعيداً عن أيدي الباحثين .

وبعد ، فهذا جهد متواضع قصدت به خدمة الادب العربي والبحث العلمي ، ولعلي وفقت الى بعض مما أملت في تحقيقه . ولا يفوتني في الختام أن اسجل مخلصاً شكري البالغ للاستاذ الدكتور محمود غناوي الزهيري الذي تفضل فأشرف على هذا البحث ، وشملني بحسن رعايته وسداد توجيهه،

عرفاناً مني بجميله ، قائلاً فيه كما قال مروان بن أبي حفصة :

فإن نشكر النعمى التي عمنا بها ... فحق علينا ما بقينا له الشكر

فلاستاذي الكريم ولكل من قدم عوناً وأسدى رأياً أقدم اوفر الشكر واخلص التقدير .

تمهيـــد

كان آل مروان بن أبي حفصة يسكنون اليمامة ، متخذين من حجر — قاعدة اليمامة — موطناً دائما لهم . وكان مروان يفد في اول شبابه على دمشق قاصداً الوليد بن يزيد . ثم تحول الى معن بن زائدة الشيباني والي اليمن في عهد المنصور .. ثم انتهى به المطاف الى بغداد مقر الخلافة العباسية.

وهذا يعني أن بيئة مروان العامة امتدت من اليمامة الى الشام والى اليمن ثم الى العراق .

ولا شك أن بيئـة مروان العامة هذه قـد أثرت فيه وفي إتجاهـه الشعري الى حد بعيد . ذلك أن النتاج الفني ما هو إلا ثمرة التفاعل الحاصل بين الاديب وبين بيئته . ولما كانت جوانب الحياة المختلفة واعني بها الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ذات آثار بينة وسلطان قوي في الشاعر وفي شعره فقد رأينا أن نتحدث — موجزين — عن هذه الجوانب لنتبين آثارها في شعر مروان .

١ — الحالة السياسية :

بويع ابو العباس السفاح أو خليفة للدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، (١) بعد ان آلت اليه الخلافة بوصية من أخيه ابراهيم الامام الذي قتله مروان ابن (٢) محمد آخر خلفاء بني أمية . وحين تم الأمر للعباسيين واستأثروا بالخلافة ، غضب عليهم العلويون واتهموهم باستغلال اسمهم أيام الجهاد

(١) مروج الذهب . المسعودي ٣ / ٢٦٦ .
(٢) كذلك ٣ / ٢٦٣ .

وبأغتصاب الخلافة منهم بعد النصر . وقد ظهرت بوادر الانشقاق الخطير بين أبناء العمومة في اللحظة التي تنفست فيها الدولة الجديدة نسم الحياة .

وإذن ، فقد انقسم الهاشميون الى علويين وعباسيين ، كلاهما يدعي أنه أحق بالخلافة من الآخر . فالعلويون يعتقدون بأنهم احق من العباسيين بارث النبي (ص) لأنهم أبناء بنته فاطمة الزهراء ولأنهم بعد ذلك أبناء علي (ع) الذي كان الوصي وكان الامام [٣] . والعباسيون يرون أن الخلافة حق موروث لآل بيت النبي وأن صاحب هذا الحق بعد النبي عمه العباس بن عبد المطلب لأنه أقرب رحماً للنبي لقوله تعالى « وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » . وهم يرون أيضاً ، ان الناس حين بايعوا أبابكر دون العباس فانهم قد غصبوه حقه وانتزعوه منه .

ودخلت المعارضة العلوية طوراً عنيفاً في عهد أبي جعفر المنصور . اذ ثار محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) داعياً لنفسه بالخلافة في المدينة . وقد بويع له في كثير من الأمصار وقد دعي « بالنفس الزكية » لزهده وورعه . وقد كتب اليه أبو جعفر المنصور يخوفه مغبة خروجه ويعطيه الأمان أن هو تاب وعاد الى طاعته . فكتب اليه محمد بن عبد الله ، كتابا عرض فيه النظرية العلوية في الخلافة ، وادّعى بأنه احق بالخلافة من المنصور ، ومما جاء في كتابه قوله يخاطب أبا جعفر : « وأنا اعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ ، فأن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الحق بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وان أبانا علياً كان الوصي ، وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ، ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا ، وشرف

(٣) تاريخ الامم والملوك . الطبري ٦ / ١٩٧ .

آبائنا ، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطلقاء ، وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمتّ به من القرابة والفضل ، وأنّا بنو أم رسول الله (ص)
بنت عمرو في الجاهلية وبنو ابنته فاطمة في الاسلام من بينكم
فاطمة ~~في الاسلام~~ دونكم ، أن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد (ص) ومن السلف اولهم اسلاماً علي ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، واول من صلّى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين في الاسلام حسن وحسين سيدا شباب اهل الجنة ... ثم يقول : وانا أولى بالأمر منك واوفى بالعهد » (٤) .

هذا الذي جاء في كتاب « النفس الزكية » الى أبي جعفر المنصور يعرض نظرية العلويين في الخلافة ، ويوضح الأسباب التي دفعتهم الى الخروج على بني العباس مطالبين بحقهم المغتصب . فالنفس الزكية ، يذهب في كتابه الى المنصور الى أن العلويين إنما ورثوا الخلافة عن النبي لأن اباهم علياً كان الوصي وكان الامام بعد الرسول الكريم ، ولأنهم بنو بنت النبي فاطمة الزهراء ، وأذن فهم بنو محمد (ص) والنفس الزكية يرى أن العباسيين قد استأثروا بالخلافة دون العلويين بعد ان استغلوا شيعتهم في مقاتلة الامويين . وهو بعد هذا كله يدلّ على المنصور بنسبه وشرف آبائه وبأن أباه علياً كان سباقا الى الاسلام ، ثم عيّره بأن العباسيين ابناء الطلقاء لأن العباس بن عبد المطلب كان من أسرى بدر ثم اطلق .

ولننظر ـ الآن ـ في الردّ الذي بعثه المنصور الى محمد بن عبد الله

---

(٤) تاريخ الامم والملوك . الطبري ج ٦ ص ١٩٧ ط . الاستقامة . مقابلة على طبعة ليدن .

لنتبين النظرية العباسية في الخلافة ، ومما جاء في كتاب المنصور قوله (٥) :
« بسم الله الرحمن الرحيم •• اما بعد •• فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك ، فإذا جلّ فخرك بقرابة النسّاء لتضل به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ، لأن الله جعل العمّ أبا ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان أختيار الله لهن على قدر قرابتهن ، كانت آمنة اقربهن رحما واعظمهن حقاً » ثم يقول : « ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله عمومة أربعة فأنزل الله عزّ وجل : «وانذر عشيرتك الاقربين» فأنذرهم ودعاهم فأجاب أثنان احدهما ابى وأبى اثنان احدهما ابوك ، فقطع الله ولايتهما منه • ولم يجعل بينه وبينهما إلاّ (٦) ولا ذمة ولا ميراثا »ثم يقول « اما قولك انكم بنو رسول الله (ص) فأن الله تعالى يقول في كتابه « ما كان محمد أبا احد من رجالكم » ولكنكم بنو بنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة فكيف تورّث بها » ثم يقول مشيراً الى تنازل الحسن بن علي (ع) عن الخلافة لمعاوية فيقول : « ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز واسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر الى غير أهله واخذ مالاً من غير ولائه ولا حله فأن كان لكم شيء فقد بعتموه واخذتم ثمنه » ثم أن المنصور ذكّر « النفس الزكية » بما فعله بنو أمية بالعلويين حين خرجوا عليهم ، وكيف ان العباسيين ثاروا من أجلهم وللأخذ بثأرهم من قتلتهم ومشرديهم الأمويين فهو يقول « ثم خرجتم على بني امية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل واحرقوكم بالنيران ونفوكم في البلدان ••• الى أن يقول •• حتى خرجنا عليهم فطلبنا

(٥) تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١٩٨ — ١٩٩ •
(٦) الال : العهد •

بثأركم وادركنا بدمائكم واورثناكم ارضهم وديارهم » . وهكذا نجد ان العباسيين يعتقدون بأن لهم دالة على العلويين ، وبأنهم قد استعادوا حق بني هاشم في الخلافة من أيدي بني امية بقوة سلاحهم وحد سيفهم . وبعد ان نقض ابو جعفر على محمد بن عبد الله ما أورده في كتابه عن حقّ العلويين في الخلافة ، راح يفخر بالعباس بن عبد المطلب فقال « ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين أخوته» ثم قال « ولقد علمت أنه لى يبق احد من بني عبد المطلب بعد النبي (ص) غيره ، فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته وميراث النبي له ، والخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في الجاهلية ولا أسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه ... » (٧) .

النظرية العباسية في الخلافة ـ كما ورد في كتاب المنصور ـ تقوم على أساس ان العم احق بأرث النبي (ص) من البنت . ذلك ان البنت لاتجوز لها الأمامة ولا ترث الولاية ، ثم ان المنصور نقض على العلويين ادعاءهم انهم بنو محمد (ص) ثم عرض لتنازل الحسن لمعاوية وكيف أنّ حق العلويين في الخلافة قد ذهب بهذا التنازل . وأن العباسيين احق بالخلافة لأنهم قتلوا بني امية قتلة العلويين وغاصبي حق بني هاشم . ثم فاخره بأن أباهم العباس اجاب النبي (ص) الى دعوته ولم يجبه أبو طالب وان للعباس فخر سقاية الحجيج وولاية زمزم . واذن فالعباس بن عبد المطلب أولى بأرث النبي (ص) لأنه عمه والعم اقرب اليه من ابن العم ومن الأسباط .

ورسالة المنصور هذه تعتبر اول عرض مفصل لمبادىء الدولة العباسية

---

(٧) تاريخ الأمم والملوك . الطبري ج ٦ ص ١٩١ ط . الاستقامة .

تمسك بها الخلفاء العباسيون من بعده فقد ضرب عبد الله بن المعتز العباسي على هذا الوتر ذاته فهو يرى أن العباسيين احق من غيرهم بأسلاب بني امية ولأن الله يأبى ان يملك العلويون ولأن بني العباس هم وارثوا النبي (ص) وإذا كان العلويون ذوي رحم للنبي (ص) فأن بني العباس أولى بهذه الرحم فهو يقول :

قتلنا أمية في دارها   فنحن احق بأسلابها
ولما ابى الله ان تملكوا   نهضنا وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبي   فلم تجذبون بأهدابها ؟
لكم رحم يا بني بنته   ولكن بنو العم أولى بها (٨)

فالابيات المتقدمة تؤكد لنا ان رأى العباسيين في الخلافة الاسلامية نحو هو في كل عصورهم وراح الشعراء العباسيون يضمنون الشيء الكثير من رسالة المنصور شعرهم السياسي المناصر للنظرية العباسية في الخلافة .

وهنا لابد أن اشير الى ان المعارضة العلوية قد خفّت حدّتها وضعفت قوتها الى حد ما (٩) عما كانت عليه ايام بني أمية وذلك لسببين : اولهما ان العباسيين نازعوا العلويين في حجة القربى من النبي الكريم (ص) وقد رأينا قبل قليل كيف ردّ المنصور على محمد بن عبد الله العلوي حجة العلويين بقرابتهم من الرسول ، وادّعى بأن العباسيين هم أقرب رحما للنبي من اولاد علي . وثاني السببين : أنّ الفرقة الكيسانية ــ اتباع كيسان مولى محمد

(٨) ديوان ابن المعتز ص ٨ ــ ٩ ط . الشيخ محمي الدين الخياط .

(٩) أقول الى حدّ ما لأن العلويين لم يهادنوا بني العباسيين طوال حكمهم اذ خرج محمد بن عبد الله وأخوه ابراهيم في عهد منصور كما قد تقدم بنا ، وخرج الحسين بن علي بن الحسن (ع) في ايام الهادي وقتل بفخ قرب مكة . وخرج عبد الله بن يحيى في بلاد الديلم على الرشيد وهكذا ....الخ

ابن الحنفية — وهي احدى الفرق العلوية — ترى أن الامامة بعد الامام علي في ابنه محمد بن الحنفية وليست في بنيه من اولاد فاطمة . فالكيسانيون يقولون بأن محمد بن الحنفية أوصى بالامامة الى ابنه ابي هاشم وأن ابا هاشم اوصى بها الى علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وأن علي بن عبد الله اوصى الى ابنه محمد بن علي وأن محمداً اوصى الى ابنه ابراهيم الامام — الذي قتله مروان (١٠) بن محمد آخر خلفاء بني أمية — وأن ابراهيم الامام اوصى الى أخيه ابي العباس عبد الله بن محمد » (١١) وبهذا اصبحت هذه الفرقة العلوية سندا لبني العباس في موقفهم من العلويين لأنها ترى أن خلافة العباسيين حق لهم بالوراثة وبالنص . فلا غرابة أن نرى السيد الحميري — وهو شاعر كيساني — يجاهر بتأييد بني العباس ويعلن أن خلافة العباسيين هي رجوع الحق الى أهله . فهو القائل يوم بويع للسفاح بالخلافة (١٢) :

دونكموها يا بني هاشم فجدّدوا من عهدها الدارسا
دونكموها لاعلا كعب (١٣) من كان عليكم ملكها نافسا
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا
لو خيّر المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا
قد ساسها من قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابساً
ولست من أن تملكوها الى مهبط عيسى فيكم آيسا

هذا الى جانب الموقف العنيف الذي وقفه العباسيون من أبناء عمهم

(١٠) مروج الذهب . المسعودي ج ٣ ص ٢٦٣ .
(١١) كذلك ج ٣ ص ٢٥٤ .
(١٢) الاغاني ج ٧ ص ٢٤٠ ط . دار الكتب .
(١٣) لاشرّفه الله .

العلويين ، اذ قتلوا محمد بن عبدالله في المدينة ، كما قتلوا كل الذين خرجوا عليهم من أبناء علي بن ابي طالب فيما بعد .

ولقد كانت وقفة العباسيين من المعارضة العلوية وقفة قاسية لا مهادنة فيها ولا رحمة ، وقد تحمل العلويون في سبيل عقيدتهم البلاء الكثير وكانوا لا يرون للعباسيين أي عذر فيما فعلوه بهم . حتى قال شاعرهم دعبل بن علي الخزاعي : (١٤)

أرى امية معذورين ان ظلمـوا ولا أرى لبني العباس من عـذر

وقد كان من نتائج انقسام الهاشميين ان انقسم الناس كذلك الى عباسيين وعلويين واصبح لكلٍّ شعراؤه المدافعون عنه كما سنرى فيما بعد .

٢ ــ الحالة الاجتماعية :

لقد استحكمت في نفوس العرب عقائد وتقاليد وعادات توارثها الأبناء عن الآباء .. فكان البأس الشخصي والكرم الفياض والمحتد الشريف والأخذ بالثأر وحماية الجار والعصبية القبلية هي المثل العليا والفضائل الاصيلة عند العرب في عصرهم الجاهلي والعصور التي تلته .

وقد جاء الاسلام ليعصف بالكثير من هذه العادات ، وليقيم حياة العرب الاجتماعية على اسس جديدة من العـدل والتعاطف والمساواة في الحقوق والواجبات ، ولكن هذه العادات والتقاليد انبعثت من جديد ، وظلت تفرض سلطانها على النفوس . وابرز هذه العادات والتقاليد :

١ ــ العصبية القبلية : وكانت قوية عنيفة بتأثير الحروب الداخلية التي اضطرمت بين المسلمين .. وشعراء القبائل بطبيعة الحال ابرز من ظهرت في

(١٤) الاغاني ج ١٨ ص ٥٧ ط ساسي . وفي ديوانه ص ١٧٨ ط . دار الثقافة .

شعرهم آثار هذه النزعة . فهذا ابو نخيلة ــ وهو شاعر من مخضرمي الدولتين ــ يتعصب لقومه بني تميم فيقول مفتخراً :

بني تميم فيقول مفتخراً : (١٥)

نحن ضربنا الأزد بالعــــراق والحيّ من ربيعة المـــــرّاق

ضربا يقيم صعر (١٦) الأعناق بغــير أطمـــــاع ولا أرزاق

الا بقـــايا كـــرم الأعـــــراق

٢ ــ التفاخر بالأنساب والتفاضل بالأحساب : وقد انبعثت هذه العادة العربية القديمة من جديد في نفوس العرب في هـــذا العصر ، وراح العرب يعتدّون بهذه العادة على نحو ما كان يفعله آباؤهم وأجدادهم من قبل . وسنرى في الحديث عن نسب مروان بن أبي حفصة ، كيف أن جرير بن الخطفي والقلاخ المنقري عيّرا مقاتل بن طلبة لأنه زوج ابنتيه وأختيه من يحيى ابن أبي حفصة ومن ابنائه عمر وجميل وسليمان ، ذلك لأن في أصل يحيى هجنة تقعده عن طلب المفاخر والمكارم . فاذا نحن جاوزنا عهد بني أمية الى عهد بني العباس وجدنا محمد بن عبد الله العلوي المعروف « بالنفس الزكية يفاخر ابن عمه أبا جعفر المنصور بصراحة نسبه وعراقة أصله اذ قال له في اوسط بني هاشم نسباً ، وأصرحهم أما وابا ، لم تعرق فيّ العجم ولم تتنازع فيّ امهات الاولاد » (١٧) فرجل مثل محمد بن عبدالله المعروف بزهده وتقواه لم يتورع من أن يفخر بما نهى عنه الدين ، وهو يعـــلم حق العلم ان ابراهيم

~~لم يتورع من أن يفخر بما نهى عنه الدين ، وهو يعلم حق العلم ان ابراهيم~~

(١٥) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٦٣ ط . دار المعارف بمصر .

(١٦) الصعر : الميل .

(١٧) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٨ ــ ١٩٩ ط . الاستقامة .

ابن رسول الله (ص) ولدته أم ولد . وأن علي بن الحسين ابن ام ولد كذلك ، ولكن « النفس الزكية » أبى إلا أن يدل بنسبه وان يعيّر المنصور بنسبه لأنه ابن ام ولد كذلك .

أما التفاخر بالمكارم والمآثر والعمل الشريف فقد عاد الى الظهور فلون الحياة الاجتماعية في هذا العصر . ولنضرب لذلك مثلاً نقتبسه من كتاب أبي جعفر المنصور الى محمد بن عبد الله العلوي حيث قال « وأما ماذكرت من بدر فأن الأسلام جاء والعباس يموّن أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي اصابته » (١٨) ثم قال « ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم » (١٩) فأبو جعفر اذن ، فاخر بأحساب آله وعدّد مكارم آبائه القديمة لينقض علي ابن عمه ما كان افتخر به عليه .

وهكذا نجد أن النزعات القديمة قد انبعثت في نفوس أولي الأمر الذين يجدر بهم ان يكونوا اشد الناس تمسكا بتعاليم الدين ، وأشد الناس عزوفا عما كان نهى عنه الاسلام . واذا كان الأمر كذلك فلا غرابة أن نجد الشعراء في هذا العصر يتأثرون بهذه النزعة الأصيلة اذ راحوا يتغنون بها ويمدحون بها أولي نعمتهم . فهذا منصور النمري يقول في يزيد بن مزيد الشيباني (٢٠):

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسب
تأوى المكارم من بكر الى ~~كلوم~~ ملك ... من آل شيبان يحويهن من كثب
أب وعم واخوال مناصبهم ... في منبت النبع لا في منبت الغرب (٢١)
ان أبا خالد لما جرى وجرت ... خيل الندى أحرز الاولى من القصب

(١٨) (١٩) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٨ — ١٩٩ ط . الاستقامة .
(٢٠) الاغاني ج ١٣ ص ١٥٥ ط . دار الكتب .
(٢١) ضرب من الشجر .

وهذا ابو الخطاب البهدلي يقول في الهادي : (٢٢)

قل للخليفة موسى : إن نائله جزل هنيء وما في سيبه كدر
متوج بالهدى ، بالحمد ملتحف مسربل بالندى ، بالمجد متزر
موسى الذي بذل المعروف ينهبه في الناس ، فالجود من كفيه ينهمر
أشم تنميه آباء جحاجحة شم الأنوف على ما نابهم صبروا

٣ — حماية الجار : كانت القبائل العربية منذ أقدم العصور يفاخر بعضها بعضا بحمايتها لجيرانها ومنع العدوان عليهم • وطالما تغني الشعراء بهذه المكرمة التي تعتز بها القبائل القوية التي تكون ملاذ أولئك الذين لم يقووا على مواجهة قوى العدوان • ومن ذلك ما قاله السموأل بن عادياء مفتخرا (٢٣):

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إنّ الكرام قليل
وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضرّنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

وجاء الاسلام وحاول أن يقيم الدولة مقام القبائل والافراد في حماية الناس وضعاف القوم • ولكن هذه العادة القديمة انبعثت في النفوس كما كانت عليه في الايام الغابرة • وكما افتخرت القبائل بحماية الجار فإنها من جهة أخرى كانت تعيب على غيرها خذلان المستجير وتمكين عدوه منه •

وكثيراً ما سمعنا جريراً يعيّر الفرزدق بخذلان قومه للزبير بن العوام بعيد انصرافه من حرب الجمل إذ قتل في وادي السباع وهو في جوار النعر بن الزمام المجاشعي • وينال المستجير حق الجوار إذا استجار بقبر أب الرجل

(٢٢) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ١٣٣ ط • دار المعارف بمصر •
(٢٣) البيان والتبيين • الجاحظ ج ٣ ص ١٨٥ ط • لجنة التأليف والترجمة والنشر •

أو ابنه ومن ذلك استجارة الكميت بن زيد الأسدي بقبر عبد الملك بن مروان خوفا من ابنه هشام ، واستجارة دعبل بن علي الخزاعي بقبر الرشيد خوفا من ابنه المعتصم •

وينال المستجير هذا الحق اذا عقد طرف ثيابه الى طنب أحدهم • ويناله كذلك اذا شرب من شراب المستجار به مثل ذلك : أن معن بن زائدة الشيباني أتي بثلاثمئة اسير فأمر بضرب أعناقهم ، فقال له شاب منهم ، يا اخا شيبان ، نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا ! فقال : اسقوهم ماء • فلما شربوا قال : يا أخا شيبان نناشدك الله ان تقتل اضيافك ، فقال معن : أطلقوهم » (٢٤) فهذا الأسير ظفر بجوار معن لأنه شرب من شرابه • وما كان لمعن أن يغدر بالمستجيرين به فاطلقهم • ولما كانت هذه النزعة أثيرة عند العرب ، محببة الى نفوسهم فقد أكثر الشعراء في هذا العصر من التغني بها والاشادة بحماية الجار • فهذا مطيع بن أياس يمدح معن بن زائدة بأنه ملاذ الخائف والراغب فيقول : (٢٥)

قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طراً في السهل والرحب
ابو العفاة الذي يلوذ به من كان ذا رغبة وذا رعب

وهذا منصور النمري يقول في الرشيد : (٢٦)

جعلناك فأمنعنا ، معاذا ومفزعا لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل (٢٧)

(٢٤) أمالي المرتضى • ج ١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ط • دار احياء الكتب العربية •
(٢٥) الاغاني ج ١٣ ص ٣٢٤ ط • دار الكتب •
(٢٦) الاغاني ج ١٣ ص ١٥٢ •
(٢٧) الجلائل : العظيمات •

وأنت أذا عاذت بوجهك عوذ تطامن خوف واستقرت بلابل [٢٨]

وحماد عجرد يذكر استجارته بقبر سليمان بن علي الهاشمي خوفا من ابنه محمد الذي أهدر دمه فيقول : [٢٩]

لم أجد لي من الأنام مجيرا فاستجرت القبور والاحجارا
غير أني جعلت قبر ابي ايـ وب لي من حوادث الدهر جارا
وحقيق لمن يجاور ذاك الـ قبر أن يأمن الردى والعشارا

٤ ــ البأس والكرم : ــ وهما خلتان تطلبتهما الحياة العربية العامة ، فالحياة التي قامت على الغزو والصراع من أجل العيش فرضت على العرب أن يتحلوا بالشجاعة والتفاني في سبيل المجموع ، ومنذ العصور الموغلة بالقدم وحتى يومنا هذا والأفراد يتفاخرون بالشجاعة الشخصية والبطولات الفذة ، سواء في ذلك حرب القبيل أم الدولة .

أما الكرم العربي فأمره مشهور ومعروف فرضته طبيعة الحياة العربية بسبب رحلات العرب وضربهم في الارض . وبسبب نزعتهم النفسية المتعشقة لحب العطاء والمعروف . ولأن هاتين الصفتين مفخرة من المفاخر التي يعتز به العرب جميعا ، فإن الشعراء المدّاح أفاضوا بالاشادة بكرم الممدوح وبأسه في مدائحهم التي حبروها في كل عصر . وفي الأمثلة التي تقدمت دليل على تغني الشعراء بهاتين النزعتين .

وهذا الذي تقدم لا يعني أن الحياة الاجتماعية في هذا العصر كانت ذات طابع جدي بحت ، وأنها كانت بعيدة عن ترف العيش ولهو الحياة . ذلك أن الحياة الاسلامية قد تطورت في العصرين الأموي والعباسي إذ تسمّح

(٢٨) عوذ جميع عائذ وهو الملتجيء . البلابل : الوساوس والهواجس .
(٢٩) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٦٧ .

الخلفاء بما حظره الدين من معاقرة للخمرة ، وتعرض للحرمات ، ونصب لمجالس القصف والعبث . بل أن الخلفاء ذهبوا الى أبعد من هذا ، اذ انهم شاركوا في الحياة اللاهية العابثة . فقد كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ويزيد ين عبد الملك والوليد بن يزيد طلاب لهو وعبث ومجون . حتى أن يزيد بن عبد الملك كان يستورد المغنيات من الحجاز ، فقد اشترى سلامة القس بعشرين ألف دينار (٣٠) ، أما مجالس الوليد بن يزيد فقد كانت مزدحمة بالمغنين من امثال معبد والأبجر والهذلي (٣١) .

وحين آل الأمر الى بني العباس تلونت الحياة الاجتماعية في هذا العصر بمثل ما كانت عليه أيام بني أمية ، ولا سيما عهد الخليفة المهدي . اذ كانت نفس المهدي تهفو الى المرح واللهو وفي عهده انفتحت للناس أبواب العبث والاسراف في كل شيء ، حتى اذا جاوزنا عهده وعهد ابنه موسى الهادي الى عهد الرشيد وجدنا الناس يسرفون في الترف ويفرطون في الغناء والشراب وقد أنتشرت مجالس الشراب والطرب في أنحاء بغداد وذاع الغزل العابث في بغداد وفي الكوفة والبصرة أيضا .

أما البصرة فقد سبقت بغداد الى هذا اللون من الحياة اللاهية العابثة ، إذ كانت تعج بمجالس الغناء والطرب والشراب ، وكانت هـذه المجالس المنتديات التي تجتمع فيها طائفة من شعراء البصرة اللاهين كبشار بن برد وأبان اللاحقي وعمر بن عبد الملك المعروف بابن النضير وآخرين غيرهم (٣٢)

أما الكوفة فقد كان فيها مثل ما كان في البصرة ، شراب وغناء وطرب.

---

(٣٠) الاغاني ج ٨ ص ٣٤٣ ط . دار الكتب .
(٣١) كذلك ج ١٥ ص ١٢٢ .
(٣٢) الاغاني ج ١١ ص ٢٨٥ ط . دار الكتب .

فقد كان في الكوفة صاحب قيان يقال له (ابن رامين) جاءها من الحجاز ، فكان الذين يستهويهم الغناء ويلذ لهم الشراب يأتون مجلسه ويقيمون عنده كمطيع بن اياس واسماعيل بن عمار ومحمد بن الاشعث الزهري المغني وآخرين •وكان لابن رامين هذاجوارٍ يقال لهن سلامةالزرقاء وسعدة وربيحة، وكن من احسن الناس غناء (٣٣) • فلم تكن الكوفة — إذن — بعيدة عن الانغماس في حياة اللهو والعبث •

على أن بغداد استأثرت فيما بعد بكل عناصر الحضارة من علم وأدب وفنون الانس والمتعة ، فقد كثر فيها النعيم وقويت النزعة الى الخلاعة والمجون وشارك في هذه الحياة الشعراء كأبي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهما •

وليس غريبا أن تصبح بغداد مركزاً للمجون والعبث . ذلك انها مركز الخلافة والمصب الذي جرت فيه أموال الدولة العباسية • واللهو والترف يتبعان المال أنى كان • ولكن هذا اللون من الحياة الاجتماعية لم يعم الناس جميعا ، وإنما كان وقفا على طبقة صغيرة من الامراء والمتنفذين واولادهم وحاشيتهم •

أما الزهاد واهل التقوى فقد وقفوا بحزم وقوة في وجه هذا التيار العاصف بالخلق والفضيلة • ودعوا الخلفاء الى تطبيق الفروض الدينية والتمسك بالقيم الانسانية والاجتماعية التي دعا إليها الاسلام •

٣ — الحالة الأدبية واللغوية : — كان العراق بيئة خصبة للعلوم في كل فروعها من تفسير وفقه وحديث ، ومن لغة ونحو وصرف ، ومن رواية للشعر ونقد للأدب ، ومن علوم طبية ورياضية ، ومن مذاهب فلسفية وكلاميه • وقد كان المصران الاسلاميان — البصرة والكوفة — هما الارض التي نمت فيها

---

(٣٣) الأغاني ١١ / ٣٦٥ •

وأزهرت عليها كل هذه العلوم . ذلك أنهما المركزان اللذان ورثا التراث العربي القديم .

لقد تضافرت الجهود البصرية والكوفية على خلق حركة علمية واسعة في كل علوم اللغة العربية . فقد تكامل النحو وازدهر علم التصريف على يدي يونس بن حبيب النحوي والخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » وسيبويه صاحب « الكتاب » والكسائي مؤلف كتاب « الفيصل » ومعاذ بن الهرا صاحب « التصريف » كما روى الشعر واختيرت عيونه على يدي الاصمعي والضبّي وعرف العروض بفضل عبقرية الفراهيدي وجهوده .

وقد كان اهتمام اللغويون والنحاة والرواة بالشعراء الاقدمين كبيراً دون الشعراء المحدثين فقد كانوا يرون أن الاقدمين قد أبدعوا في نتاجهم الفكري ايما ابداع ، وان المحدثين ليسوا بشيء الى جانبهم . فهم لذلك ، لايروون اشعارهم ولا يستشهدون بها . قال الاصمعي متحدثا عن استاذه أبي عمرو ابن العلاء « جلست اليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي » (٣٤) وكان أبو عمرو لا يعدُّ الشعر إلا ما كان المتقدمين (٣٥) . وقد سئل عن المولدين فقال : « ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً ، ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع » هذا أبو عمرو وأصحابه كالاصمعي وابن الاعرابي فكل واحد منهم يذهب في اهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم ، وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون » (٣٦) .

وكان ابن الاعرابي يذهب في تقديم الاوائل وعدم الاحتفال بالمحدثين

---

(٣٤) (٣٥) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٩٠ ـ ٩١ ط . السعادة .

(٣٦) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٩٠ ـ ١٠ ط . السعادة .

مذهبا متطرفا اذ يروى أن احد تلاميذه ــ وكان معجبا بشعر ابي تمام ــ قرأ عليه من اشعار هذيل ثم قرأ ارجوزة على أنها لبعض شعراء هذيل ومطلعها :

وعاذلٍ عذلتــه في عذلـــه   فظن أني جاهل من جهـــله

فلما اتمها قال ابن الاعرابي : اكتب لي هذه ، فكتبها له ، ثم سأله التلميذ : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها . فلما قيل له : انها لأبي تمام قال : خرّق خرّق » (٣٧) ومما يوضح لنا رأي علماء اللغة والشعر في الشعراء المحدثين قول ابن الاعرابي : انما اشعار هؤلاء المحدثين ــ مثل أبي نواس وغيره ــ مثل الريحان يشم يوما ويذوي فيرمى به ، واشعار هؤلاء القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا » (٣٨) ومما يدل على تعلق علماء اللغة والادب بالشعر القديم على الرغم من استحسانهم لشعر بعض المحدثين ، أن ابن الاعرابي أنشد شعرا لأبي نواس احسن فيه فسكت ، فقال له المنشد : إنما هذا من أحسن الشعر ؟ فقال : بلى ، ولكن القديم أحب اليّ » (٣٩) واذن فالحركة الفكرية التي نهض بها علماء البصرة والكوفة كانت لا تعتد إلا بالتراث العربي القديم من لغة وشعر .

ووقف هؤلاء العلماء يترصدون الشعراء ويحصون عليهم ما يقعون فيه من اخطاء نحوية وصرفية وبيانية . فقد خطّأ أبو عمرو بن العلاء ذا الرمة في قوله :(٤٠)

حراجيج ما تنفكّ إلا مناخــــة   على الخسف أونرمي بها بلدا قفرا

(٣٧) أخبار أبي تمام . الصولي ص ١٧٥ ــ ١٧٦ ط . المكتب التجاري ــ بيروت .

(٣٨) الموشح : المرزباني ص ٣٨٤ ط . دار نهضة مصر .

(٤٠) المصدر السابق ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ . مراجيج طوّل ضامرات من الهزال . الخسف : أن تبيت على علف . تنفك : تنفصل يقول : ما تنفصل من بلد الى بلد إلا مناخة على الخسف .

وذلك لأدخاله « إلا » بعد قوله « ما تنفك » اذ لا يدخل مع « ما ينفك وما يزال » «إلا» لأن «ما» مع هذه الأفعال خبر وليست بجحد [٤١]

وخطأ عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي النحوي الفرزدق في قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع | من المال إلا مسحتا أو مجلف

وقال له : على أي شيء رفعت مجلفا ؟ قال الفرزدق : على ما يسوؤك ، عليَّ أن اقول وعليكم ان تحتجوا » [٤٢] وطعن الاخفش في بشار بن برد لقوله : [٤٣]

والآن اقصر عن سمية باطلي | وأشار بالوجلى [٤٤] عليَّ مشير

والقوله : [٤٥]

على الغزلى [٤٦] مني السلام فربما | لهوت بها في ظل مخضرة [٤٧] زهر

قال الاخفش : لم يسمع من الوجل والغزل « فعلى » .

وعاب الأخفش على بشار أيضاً قوله في صفة سفينة . [٤٨]

---

(٤١) موشح . المرزباني ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .
(٤٢) الشعر والشعراء . ابن قتيبة ج ١ ص ٣٣ ط . دار الثقافة .
(٤٣) الموشح ص ٣٨٤ .
(٤٤) الوجلى : مصدر صاغة على وزن الفعلى ، وهو مشتق من الوجل . اراد به التقوى .
(٤٥) الموشح ص ٣٥٨ .
(٤٦) الغزلي : اسم : معنى الغزل .
(٤٧) في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٩ دار للكتب : مرؤمة : وهي المحبوبة المألوفة .
(٤٨) الموشح ص ٣٨٥ .

تلاعب نينان [٤٩] البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

قال : لم يسمع بـ (نون) ونينان . وقول الاخفش هذا ، يعني أن اللغويين كانوا يتشددون في استعمال اللغة ويرفضون ما لم يسمع عن العرب.

وكما عني العلماء بسلامة لغة الشعراء وفصاحتهم فإنهم عنوا أيضا بجمال المعنى الشعري في قصائدهم فالاصمعي يقول : قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله :

ويوم كأبهام القطاة محبب الي هواه غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغرير [٥٠] ولم نكن كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوما خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال : ويله ! وما ينفعه خير يؤول الى شر ؟ قلت له : هكذا قرأته على أبي عمرو . فقال لي : صدقت ، وكذا قاله جرير . وكان قليل التنقيح مشرد الالفاظ وما كان ابو عمرو ليقرئك ألا كما سمع ، فقلت : فكيف كان يجب ان يقول : قال : الاجود له لو قال :

فيالك يوما خيره دون شره ...

فأروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح من اشعار القدماء . فقلت. والله لا ارويه بعد هذا إلا هكذا » [٥١] .

ولم يقف الأمر بالنقاد عند هذا الحد وإنما راحوا يوجهون الشعراء توجيها معينا يوحي الى الشعراء بأن يحذوا حذو الشعراء الاقدمين وأضرابهم

(٤٩) ورد هذا الجمع في لسان العرب . النون : الحوت والجمع أنوان ونينان.

(٥٠) في ديوانه : الغزير .

(٥١) الموشح : المرزباني ص ١٩٨ — ١٩٩ .

وأن ينحو نحوهم في أغراضهم ومعانيهم الشعرية ، فهذا الاصمعي يقول مثلاً : « طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والافتخار فاذا أدخلته في باب الخير لان » [٥٢] وقد أصبح على الشاعر المحدث لكي يظفر برضا العلماء والنقاد أن يقتدي بشاعر قديم معين يتأثره ويتخذه إماماً له . فقد قيل : الفحول في الجاهلية ثلاثة وفي الاسلام ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق والنابغة والاخطل والأعشى وجرير » [٥٣] وهذا القول يعني أن هؤلاء الفحول الاسلاميين الثلاثة سلكوا سبل الجاهليين وأقتفوا آثارهم فرضي عنهم النقاد وعدّوهم فحولاً . ولهذا السبب نفسه قالوا في الراعي النميري على فحولته وفصاحته وكثرة رواياته : « كان يقال له في شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل أي أنه لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه » [٥٤] واذ لم يتلمذ الراعي النميري لأحد فحول الجاهلية أخروا طبقته ولم يعدّوه شاعراً فحلاً .

ولم يقف النحاة واللغويون عند هذا الحد وحسب ، وإنما راحوا يجدّون في البحث عن الشواهد اللغوية لقواعدهم النحوية . فكانوا لا يروون من الشعر إلا ما كان فيه الشاهد النحوي واللفظ الغريب قال الجاحظ « ولم أر غاية النحويين إلا كلّ شعر فيه اعراب ولم أر غاية رواة الاشعار إلا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم أر غاية رواة

(٥٢) المصدر السابق : ص ٩٠ .
(٥٣) العمدة : ابن رشيق ج ١ ص ٩٥ ط . السعادة .
(٥٤) الاغاني ج ٢٠ ص ١٧١ ط . ساسي .

الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل » (٥٥) واذن فقد كان اهتمام النحاة ورواة الأشعار والاخبار منصبّاً على العناية بالأشعار الحافلة بالغريب والمثل والشاهد النحوي .

وقد كان لأهتمام النحاة في البحث عن الشواهد النحوية في الشعر أثره القوي في توجيه طائفة من الشعراء لكي تضمن اشعارها مثل هذه الشواهد ليستعينوا بها في تطبيق قواعدهم اللغوية . ورؤبة بن العجاج أحد الشعراء الذين أخضعوا شعرهم لأرادة النحاة . فقد كان يستجيب لمطلب يونس النحوي فيضمن أشعاره الشواهد اللغوية الغريبة ويدل على ذلك قول رؤبة ليونس « حتام تسألني عن هذه البواطيل وأزوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك » (٥٦) واذن فهذا اعتراف صريح من رؤبة بأنه إنما أكثر من الغريب في شعره استجابة لأرادة يونس بن حبيب النحوي ، ومما يؤيد احتجاج يونس وزملائه بأشعار رؤبة قول هذا الاخير في شعره : « يلتمس النحوي فيها قصدي » (٥٧) .

ومما تقدم يتضح لنا خضوع الشعراء اللغويين والنقاد ومحاولتهم ارضاء أذواقهم ، واذ رأوهم يعجبون بالشعر القديم دون الجديد أتجهوا نحو الشعر القديم يقلدونه ويحاكونه في اسلوبه ومعانيه والفاظه وبذلك ظهرت طائفة الشعراء المحافظين اتباع مذهب الاوائل الذين حافظوا على النهج القديم في نظم قصائدهم ومنهم مروان بن أبي حفصة .

(٥٥) البيان والتبيين . الجاحظ . ج ٤ ص ٢٤ ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٥٦) الشعر والشعراء . ابن قتيبة ج ٢ ص ٤٩٥ ط . دار الثقافة وفي المزهر للسيوطي ج ٢ ص ٣٦٣ العبارة هكذا : « الى كم تسألني عن هذه الخزعبلات والوقها لك واروقها الآن وقد بلغ منك الشيب » .

(٥٧) ديوانه رؤبة ص ٤٨ . ط . لا يبزك .

الفصل الاول

حياة مروان بن أبي حفصة

١ ـ اسمه ، كنيته ، لقبه ، مولده : هو مروان بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة يزيد (١) ويكنى مروان « ابا السمط » (٢) وقيل أيضا « ابا الهيذام » (٣) أو أبا الهندام . (٤) ونحن نميل الى انه كان يكنى ابا السمط لقوله (٥) :

أهلاً بطيف لام السمط أرقنا ونحن لا صدد منـــا ولا كثب

ولأن السمط اسم لأحد أبنائه (٦) أما المرزباني فقد نص على ان مروان كان يلقب ـ ذا الكمر ـ ببيت قاله (٧) ولكن المرزباني ضن علينا بهذا البيت وارجح جهله به وإلا كان دعم به قوله . وهذا البيت ما زال مجهولا، لم نعثر عليه بين الابيات والقصائد التي تيسر لنا جمعها من شعر مروان .

والمصادر متفقة على أن مولد مروان كان في سنة خمس ومئة للهجرة

---

(١) الأغاني ١٠ / ٧١ .

(٢) الشعر والشعراء . ابن قتيبة ٢ / ٦٤٩ . والاغاني ١٠ / ٧١ .

(٣) تاريخ بغداد . البغدادي ١٣ / ١٤٢ .

(٤) وفيات الاعيان . ابن خلكان ٤ / ٢٧٦ .

(٥) الحماسة البصرية للبصري ٢ / ١٧٣ .

(٦) الفهرست لابن النديم ٢٣٤ .

(٧) معجم الشعراء . المرزباني ٣١٧ .

وقد جعل المرزباني في معجمه شهر ربيع الاول من هذه السنة تأريخا لذلك [٨] •

٢ ــ اصل مروان : ــ اختلفت المصادر التي ترجمت لمروان في اصله • فقد قيل ان جده آبا حفصة من أصل يهودي ، وانه كان طبيبا ثم اسلم على يدي عثمان بن عفان وقيل : على يدي مروان بن الحكم [٩] ولكن قبيلة عكل تدعي ان أبا حفصة منهم وانه كان من كناتة بن عوف بن عبد مناة بن طابخة ابن الياس بن مضر وقد أيد اهل اليمامة وغيرهم ادعاء عكل هذا ، وزعموا أن ثلاثة نفر ــ وهم ابو حفصة ورجل من تميم وآخر من سليم ــ أتوا مروان ابن الحكم فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم • فأستعــدى اهل بيوتاتهم عليهم فأقر السلمي أنه من العرب وانه اتى مروان فباعه نفسه • فدس مروان ابن الحكم اليه من قتله ، فلما رأى الآخران ذلك ثبتا على انهما موليان لمروان [١٠] وقد زعمت عكل مرة أخرى ان عمة ابي حفصة هي التي باعته • ولكن أبا حفصة ابى ان يقر لهم بذلك حين أستعدوا عليهم مروان بن الحكم ، وحين استعدوا عليه عبد الملك بن مروان فيما بعد • وقد قيل في اصل أبي حفصة أيضا ، انه اعجمي من اهل فارس وان عثمان بن عفان اشتراه وهو غلام من سبى اصطخر ووهبه لمروان بن الحكم [١١] •

هذه الروايات المتقدمة تظهر أبا حفصة رجلاً مغمور النسب تتنازعه اليهودية والفارسية وقبيلة عكل العربية • ولا مندوحة للباحث في هذا الموضوع من التمهل والتريث قبل ان يقع عنده قبول احدى هذه الروايات الثلاث •

(٨) كذلك •
(٩) تاريخ بغداد • البغدادي ١٣ / ١٤٢ ووفيات الاعيان ٤ / ٢٧٦ •
(١٠) الاغاني ج ١٠ ص ٧٣ ط • دار الكتب •
(١١) كذلك •

فعلى الباحث — والحالة هذه — ان يرجع الى التاريخ فيستعين به . والى شعر المترجم له وشعر آله فيفيد منه ، وعليه كذلك ان يقف عند القضايا والحوادث التي وقعت بين اسرة مروان وبين الناس الآخرين فيستخلص منها ما يعينه على الاخذ بأحدى الروايات المتقدمة .

ويجدر بنا — قبل أن ندخل في هذا الموضوع — أن تتبين نوع العلاقة التي كانت تربط أبا حفصة بمولاه مروان بن الحكم . ذلك ان الروايات — وان اختلفت في صحة نسب أبي حفصة — قد اجمعت على انه كان مولى لمروان بن الحكم . وانه وقف الى جانب مولاه مروان بن الحكم يوم الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان . وان أبا حفصة ابلى في هذا اليوم بلاء حسنا وقاتل قتالاً شديداً وهو ينشد : (١٢)

وما قلت يــوم الدار للقوم صالحوا   أجل لا ، ولا اخترت الحياة على القتل
ولكنني قــد قلت للقوم جالــدوا   بأسيافكم لا يخلصنّ الى الكهــل

وحين جرح مروان بن الحكم في هذه المعركة وسقط ، وثب عليه ابو حفصة فاحتمله وجعل يحمله مرة على عنقه ومرة يجره ، ولم يزل به ابو حفصة حتى أدخله دار امرأة من عنزة فداواه فيها حتى بريء ، وحينئذ اعتق مروان بن الحكم مولاه — ابا حفصة — (١٣) تقديراً منه لجميله ولتفانيه في سبيل انقاذه ، والى ذلك أشار مروان ابن أبي حفصة فيما بعد فقال : (١٤)

بنو مروان قــوم اعتقوني   وكل الناس بعدُ لهم عبيد

وبالغ مروان بن الحكم في اكرام ابي حفصة إذ نزل له عن ام ولد له

---

(١٢) الاغاني ج ١٠ ص ٧٢ ط . دار الكتب .
(١٣) كذلك ج ١٠ ص ٧١ .
(١٤) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٤٣ ط . دار المعارف بمصر .

يقال لها « سُكَّر » كانت له منها بنت يقال لها حفصة فحضنها جد الشاعر فكنى « أبا حفصة » — فحفصة على هذا بنت مروان بن الحكم (١٥) •

وبقي أبو حفصة يستظل ابن الحكم ويعيش في كنفه الى ما بعد تولي مروان الخلافة في الشام ، وسنعرض لذلك في مقام آخر •

وبعد أن عرفنا ولاء ابي حفصة لمروان بن الحكم وعتق مروان لأبي حفصة يحسن بنا أن نتبين ما تدل عليه كلمة « المولى » لنستطيع بعد ذلك الاخذ بأحدى الروايات الثلاث السابقة •

والمولى جمعها الموالي • ولها في اللغة معان كثيرة ترجع في جملتها الى اصل واحد هو القرب من الولي • فالمولى : المالك والعبد والمعتِق والمعتَق والصاحب والقريب كأبن العم ونحوه ، والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك والولي والرب والناصر والمنعِم والمنعَم عليه والمحب والتابع والصهر (١٦) ونحو ذلك •

وكان العرب في جاهليتهم يغزو بعضهم بعضا فيأسرون الرجال والنساء ويكون هؤلاء عند ذلك ارقاء • ولما انتشر الاسلام لم يعد يقبل من العربي إلا الاسلام او القتال • وحين كثرت الفتوحات الاسلامية كثر الاسترقاق من الأمم المفتوحة كثرة هائلة فتوزع العرب الفاتحون هؤلاء المسترقين رجالا ونساء وذراري •

وللمالك ان يعتق عبده او أمته ، ولكن تبقى بعدئذ صلة بين المعتِق والمعتَق وهذه الصلة تسمى « الولاء » ويظل المعتق ينسب الى من اعتقه فيقولون : زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) أي عتيقه •

(١٥) الاغاني ج ١٠ ص ٧١ ط • دار الكتب •
(١٦) القاموس المحيط • الفيروزبادي • ج ٤ ص ٤٠١ ط • المكتبة التجارية

وقد اطلقت كلمة — الموالي — على كل من دخل الاسلام من غير العرب سواء أسترق أم لم يسترق ، وقد سمي العجم موالي لأن بلادهم فتحت عنوة بأيدي العرب (١٧) .

وهناك نوع آخر من الولاء ليس سببه العتق ، وانما سببه أن يسلم الرجل على يد رجل آخر ويتعاقد معه فيكون ولاؤه له .

وموالي الرجل في الجاهلية حلفاؤه وورثته من بني عمه وسائر عصبته ، وعلى ذلك قوله تعالى « ولكلٍّ جعلنا موالي » فالموالي العصبة . فلما دخلت العجم على العرب بحثوا لهم عن اسم يطلقونه عليهم فوجدوه في قوله تعالى « فأن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم » فسموا « الموالي » فاطلاق لفظة الموالي على العجم معنى مستحدث في الاسلام (١٨) .

وبعد أن عرفنا المعاني التي تدل عليها لفظة « المولى » يجدر بنا أن نتبين ولاء ابي حفصة لمروان بن الحكم على اساس هذه المعاني المتقدمة لنظفر بعد ذلك بالرأي الراجح .

فلو أخذنا بالرأي القائل : ان ابا حفصة كان يهوديا ثم اسلم علي يدي عثمان بن عفان او على يدي مروان بن الحكم ، فولاؤه لأحدهما — بناء على ما تقدم — يكون ثمرة للتعاقد الحاصل بين الرجلين ، وليس ثمرة لعتق المالك للملوك كما هو معروف بالنسبة لعلاقة ابي حفصة بمروان بن الحكم . واذا كان ولاء ابي حفصة لمروان بن الحكم ثمرة عتق وتحرير كما نص عليه بيت مروان بن أبي حفصة الذي تقدم ذكره ، وكما نصت عليه الرواية التي

(١٧) فجر الاسلام . احمد أمين ص ٨٨ — ٨٩ ط . سادسة مكتبة النهضة المصرية .

(١٨) فجر الاسلام . احمد امين ص ٨٩ — ٩٠ .

حدثتنا عن عتق مروان بن الحكم لابي حفصة بعد يوم الدار فهذا يعني ان أبا حفصة لم يكن يهوديا ثم اسلم • ومما يؤيد هذا أن اهل ابي حفصة ينكرون ان يكون جدهم يهوديا أيضا (١٩) •

أما القول بأن ابا حفصة كان عربيا من كنانة فهذا أمر لا يثبت امام الحقائق الآتية :

١ ـ اذا كان ابو حفصة قد بيع بسبب المجاعة التي تحدثوا عنها ، وانه أبى ان يقر بعروبته خوفا من مروان بن الحكم بعد ان رأى قتل السلمي بسبب اقراره بنسبه العربي كما يزعمون ، فعلام ابى ابو حفصة ان يقر بالحقيقة في عهد عبد الملك بن مروان (٢٠) وقد مات مروان بن الحكم ونال ابو حفصة حريتم ؟ فلو كان ابو حفصة عربي الارومة لسارع الى الاقرار بنسبه الصحيح ولافتخر بهذا النسب في عصر كانت فيه سوق الانتساب للعرب رائجة ، واعني به عصر بني امية •

٢ ـ ان حفيد أبي حفصة وهو محمد بن ادريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة لا يؤيد الخبر الذي تزعم فيه قبيلة عكل ان أبا حفصة منهم ، وإنما يقول عن جده ابي حفصة : انه رجل من العجم من سبى فارس نشأ في عكل وهو صغير (٢١) •

٣ ـ حين أصهر يحيى بن أبي حفصة ـ جد مروان ـ الى مقاتل بن طلبة من قيس بن عاصم المنقري فتزوج ابنته خولة تعرض مقاتل بن طلبه الى هجاء القلاخ بن حزن اذ قال : (٢٢)

---

(١٩) الاغاني ج ١٠ ص ٧١ ط • دار الكتب •
(٢٠) الاغاني ج ١٠ ص ٧١ ط • دار الكتب •
(٢١) كذلك ج ١٠ ص ٧٣ •
(٢٢) الكامل • المبرد ج ٢ ص ٤١٨ ط • البابي الحلبي •

نبئت خولة قالت حين أنكحها ... لطالما كنت منك العار انتظر
انكحت عبدين ترجو فضل مالهما ... في فيك مما رجوت الترب والحجر
لله در جياد انت سائسها
برذنتها [٢٣] وبها التحجيل [٢٤] والغرر [٢٥]

وقد عيّر جرير مقاتل بن طلبة كذلك على تزويجه خولة من يحيى فقال [٢٦] :

رأيت مقاتل الطلبات [٢٧] حلى ... فروج بناته كمر الموالي
لقد انكحتم عبدا لعبد ... من الصهب [٢٨] المشوهة السبال [٢٩]
فلا تفخر بقيس ان قيسا ... خرئتم فوق اعظمة البوالي

فانكار القلاخ وجرير لهذا الزواج كان ــ كما يبدو لي ــ بسبب نسب يحيى غير العربي ذلك ان العرب كانوا يأنفون من أن يصهر فيهم امرؤ اعجمي • فقول القلاخ في بيته الثالث « برذنتها » دليل على أن يحيى بن أبي حفصة كان اعجمي النسب • ذلك ان برذنة الخيل تعني تهجينها ــ بعد ان كانت جيادا عرابا كرائم سالمة من كل عيب ــ بسبب انكاحها من غير الخيول العراب •

---

(٢٣) جعلتها من البراذين وهي ما ليست من نتاج الخيل العراب •
(٢٤) التحجيل : بياض في قوائم الفرس •
(٢٥) الغرر ، واحدتها غرة : بياض في جبهة الفرس •
(٢٦) كامل المبرد ج ٢ ص ٤١٨ •
(٢٧) اضافة الى بناته •
(٢٨) حمرة او شقرة في الشعر •
(٢٩) السبال واحدتها السبلة : الدائرة في وسط الشفة العليا او ما على الشارب من الشعر او طرفه او مجتمع الشاربين •

اما جرير فقد أراد بقوله « كمر الموالي » ان نسب يحيى بن أبي حفصة لم يكن عربيا ، هذا الى ان الشاعر أشار الى بعض الصفات التي تدل على ضعة نسب يحيى ومنها حمرة الشعر والتشوه في وسط الشفة العليا وهي صفات يعرف بها الرجل من غير العرب .

وحين زوج يحيى بن أبي حفصة بنيه الثلاثة وهم سليمان ـ ابو الشاعر ـ وعمر وجميل من ابنة مقاتل بن طلبة واختيه ، انبرى لهم القلاخ بن حزن مرة أخرى شاتما ومعيراً حيث قال : (٣٠)

سلام على اوصال قيس بن(٣١) عاصم — وان كن رمسا في التراب بواليـــا
اضيعتموا خيلا عرابا (٣٢) فأصبحت — كواسد لا ينكحن إلا المواليـــا
فلم أر ابرادا أجر لخزيـــــة — والأم مكسوا والأم كاسيا
من الخرق (٣٣) اللاتي نشرن عليكم — بحجر (٣٤) فكن المخزيات البواقيـا

فالقلاخ في هذه الابيات اطلق على يحيى بن أبي حفصة صفة اللؤم ، واللؤم صفة تطلق على الرجل اذا كان وضيع النسب دنيء الاصل . ذلك أن اللؤم ـ كما ورد في لسان العرب (٣٥) ضد العتق والكرم ، واللئيم : الدنيء الاصل .

فهذه الصفات التي عير بها يحيى تزيد من قناعتنا بأنه كان اعجمي الاصل . وهناك أمر جدير بالملاحظة ، ذلك هو ان يحيى بن أبي حفصة حين

(٣٠) الاغاني ج ١٠ ص ٧٥ ط . دار الكتب .
(٣١) جد مقاتل بن طالبة .
(٣٢) الخيل العراب : كرائم سالمة من الهجنة .
(٣٣) التصحيح من كامل المبرد ج ٢ ص ٤١٦ .
(٣٤) حجر : قرية اسرة مروان بن أبي حفصة .
(٣٥) لسان العرب مادة : لأم .

رد على ابيات القلاخ المتقدمة اثنى على نسب مقاتل بن طلبة وأطراه اذ قال : (٣٦)

ألا قبح الله القــلاخ ونســوة   على البئر يعطشن الكلاب من النتن

بنات القرم (٣٧) قيس بن عاصم   وعمدا رغبنـا عن بنـات بني حزن

أبا كـان خيراً من ابيك ارومه (٣٨)   واوسط في سعد وارجـح في الوزن

لبيت بني حزن من الذل وهنــة   كوهنة بيت العنكبوب التي يبني (٣٩)

فلو كان يحيى سالم النسب عربي الاصل لافتخر بهذا النسب وهذا الاصل الى جانب أطرائه نسب بني قيس بن عاصم •

وأرى ان لفظة (الموالي) اصبح المقصود بها بعد الفتوحات الاسلامية الاقوام الاعجمية الذين دخلوا في الاسلام • وهذان مثلان نسوقهما دليلاً على ذلك • فقد دخل اعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار بن برد عنده ، فقال الاعرابي مشيراً الى بشار : من الرجل ؟ فقالوا : رجل شاعر • فقال : أمولى هو أم عربي (٤٠) • فعبارة الاعرابي الاخيرة تظهر ان العرب كانوا يطلقون لفظة مولى على غير العرب •

ومثل آخر يؤكد هذا الذي ذهبنا اليه هو قول جرير بن الخطفي اذ كان وهبه الحجاج بن يوسف الثقفي جارية من أهل الري فأعطاه اخوتها بهــا ــ وكانوا أحراراً ــ عشرين الفا فلم يفعل : (٤١)

---

(٣٦) الاغاني ج ١٠ ص ٧٦ •
(٣٧) القرم : السيد العظيم ج : قروم •
(٣٨) أرومة : الاصل ج : أروم •
(٣٩) قد يكون هذا المعنى مأخوذاً من قوله تعـالى • « وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت » •
(٤٠) الاغاني ج ٣ ص ١٦٦ ط • دار الكتب •
(٤١) الكامل : المبرد ج ٢ ص ٤٦٥ • ط البابي الحلبي •

اذا عرضوا عشرين الفـــا تعرضت لام حـــكيم حاجـــة هي ماهيـــا
لقـــد زدت اهل الري عنـــدي مودة وحببت اضعافا اليَّ المواليـــا

فجرير اذن كان يطلق لفظة الموالي على غير العرب أيضا •

هذه الاسباب المتقدمة تحملنا علي عدم الأخذ بصحة ادعاء قبيلة عكل من أن ابا حفصة من كنانة • ولا شك عنـــدي ـــ بعد هذا الذي تقدم عن يهودية أبي حفصة وكنانيته ـــ ان الرجل كان فارسي الاصل وانه كان من سبى اصطخر التي هوجمت من قبل المسلمين مرتين اولاهما كانت في سنة ١٧ حيث اقتتل المسلمون والمشركون فأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا [٤٢]، وثانيتهما كانت في سنة ٢٣ هـ اذ التقي المسلمون واهل اصطخر في (جور) فاقتتلوا ما شاء الله ثم ان الله عز وجل فتح لهم (جور) وفتح المسلمون اصطخر فاصابوا ما شاؤوا [٤٣] • وقد يكون ابو حفصة من هذا الذي اصابه المسلمون في أحد الهجومين على اصطخر ، وقد يكون المسلمون الذين أصابوه من قبيلة عكل فنشأ في اكنافهم وهو غلام ثم بيع الى مروان بن الحكم،أو ان عثمان بن عفان كان اشتراه من أحدهم ووهبه لابن الحكم والسنون المتدة بين سبيه من اصطخر وبين معركة يوم الدار قمينة بأن تكون منه رجلا صلب العود قوي الشكيمة أهلاً لخوض تلك المعركة بجانب مولاه مروان بن الحكم •

وهذا الرأي في نسب ابي حفصة يؤكده أمران : اولهما ما قلناه عن حفيده محمد بن ادريس من انه قال « إلا انه ـــ يعني ابا حفصة ـــ رجل من العجم من سبي فارس نشأ في عكل وهو صغير » ولا أظن ان حفيد

(٤٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٧٨ ط • الاستقامة مقابلة على طبعة ليدن •
(٤٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٢ •

ابي حفصة هذا ينطق عن جهل ، ولا أشك بعد هذا انه سمع هذا الذي تحدث به عن أصل جده من أفراد اسرته • وثاني الأمرين : ان ولاء ابي حفصة لمروان بن الحكم كان ثمرة عتق وفك رقبة لأنه اعجمي فتحت بلاده عنوة وهذا أمر اشرنا اليه في حديثنا عن معنى الولاء •

٣ ــ صفاته واخلاقه : ــ ليس في سيرة مروان بن أبي حفصة ما يدلنا على انه كان رقيق الحاشية ندي الطبع ، يحسن عشرة الآخرين • وليس في سيرته كذلك ما يشير الى انه كان كريه النفس ، ثقيل الظل • ولولا ان الله ابتلاه بمثل ما ابتلى به الكثيرين من امثاله بداء البخل والجشع ، لكانت سيرته أقرب الى الاعتدال وادنى الى القبول •

كان مروان اذن بخيلاً ، ومحبا للمال على الرغم من انه جمع من الثروة ما لم يجمعه شاعر قبله وكان حرصه الشديد على جمع المال وكنزه ، سببا في عدم استمتاعه به والانتفاع بشيء منه ، فعاش عيشة حرمان وكفاف •

والرواة يحدثوننا بمجموعة من نوادره في البخل ، من ذلك ما تحدثوا به عن مروان نفسه انه قال : « ما فرحت بشيء قط فرحي بمئة الف درهم وهبها لي امير المؤمنين المهدي فوزنتها فزادت درهما فأشتريت به لحما » (٤٤)

وحدّث آخرون انهم استضافوا مروان في اليمامة فأطعمهم لحما ثم بعث غلامه ليشتري له شيئا من الزيت يطعم منه بعد أن دفع له فلسا واحداً، فلما عاد الغلام ومعه الزيت اتهمه مروان بخيانته فدهش الغلام وراح يسأله ، كيف اخونك من فلس واحد ؟ فأجابه مروان جوابا غريباً لا يخطر إلا ببال اولئك الذين عبدوا المال وقدسوه اذ قال له : اخذت الفلس واستوهبت الزيت » (٤٥) •

---

(٤٤) (٤٥) الاغاني ج ١٠ ص ٧٨ ط • دار الكتب •

وحكاية أخرى تنبيء عن حياة البؤس والحرمان التي أخذ بها مروان نفسه ، تلك هي ما قيل عنه انه اذا قدم الى بغداد لم يأكل من اللحم إلا الرأس ، فاذا سئل عن ذلك قال : الرأس اعرف سعره ، ولا يستطيع الغلام ان يغبنني فيه ، وهو ليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، وان مس عينا او اذنا او خدا وقفت عليه • وتجتمع لمروان في الرأس مرافق ، وألوان مختلفة ، فهو يأكل العينين لونا والاذنين لونا ، والغلصمة لونا ثالثا وعلى هذا النحو ، والرأس بعد هذا كله لا يكلفه مؤونة الطبخ والتهيئة (٤٦) •

ومما يروى عن بخل مروان كذلك ، انه مر بأمرأة وهو في طريقه الى معن بن زائدة الشيباني فاضافته ، فلما انصرف وعدها بأن يهبها درهما أن اعطاه معن مئة الف ولكن جائزته لم تبلغ إلا ستين الفا فأعطاها اربعة دوانق وهي لا تكاد تبلغ ثلثي ما وعد المرأة به ، ذلك ان عطاءه لم يبلغ ثلثي ما كان يؤمله من عطاء معن (٤٧) •

واظن ان هذه الاخبار عن بخل مروان وحرصه على جمع المال كافية لتصوير مدى بخله وشح يده • ولكن هل كان بخل مروان ــ على يساره ــ ناتجا عن حرصه على جمع المال حسب ؟ قد يكون ذلك هو السبب ، وقد يكون ايضا الخوف من الفقر والحاجة الى الناس ، اذا ما انقطعت به سبل العيش بسبب تقلب الايام وتحول المنعمين عنه وعلى أي حال فقد كان بخل مروان اسوأ اثراً عليه من الفقر لو صار اليه •

وهذا الذي رأيناه من سوء طعام مروان ومن حرمانه لنفسه من لذيذ العيش وأطايب الطعام ، نراه كذلك في سوء مظهره وعدم عنايته في اختيار

---

(٤٦) الأغاني ١٠ / ٧٧ •

(٤٧) الاغاني ج ١٠ ص ٧٨ •

الملابس الغالية الناعمة حينما كان يقدم الى بغداد ليمدح الخلفاء • فهو يجيء وعليه فرو كبش وقميص كرابيس [٤٨] ، وعمامة كرابيس وخفا كبل [٤٩] ، وكساء غليظ منتن الرائحة[٥٠] ، بينما كان غيره من الشعراء كسلم الخاسر [٥١] يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم فالسرج واللجام المقذوذين [٥٢] ، الخز والوشي [٥٣] وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ولكن ليس أمراً بعيداً ان يكون هذا اللباس الخشن الذي طالما ظهر فيه مروان ، هو اللباس الطبيعي لاسرته واهل باديته ، واذا كان الامر كذلك ، فيكون مروان قد حرص على ألا يشذ عن زي الأعراب وأهل البادية الذين لم يألفوا اللباس الناعم الهفهاف • وليس لباس مروان البدوي الخشن بدعا بين ملابس الشعراء ، فهذا الحسين بن مطير الشاعر المعاصر لمروان وابن بيئته، ورفيقه في بعض رحلاته الى الشام ايام بني أمية كان زيه ولباسه يشبهان زي الاعراب ولباسهم [٥٤] •

وهذا الذي ذكرناه لتعليل جانب من بخله في طعامه ومظهره لا يعني انكارنا لما قيل عن تقتيره وحرصه الشديد على المال ، وذلك ان بخل الرجل حقيقة واقعة لا يمكن سترها او الاعتذار لها •

---

(٤٨) كرابيس ، واحدها كرباس : ثوب من القطن الابيض •

(٤٩) الكبل : الكثير الصوف من الفراء •

(٥٠) الاغاني ج ١٠ ص ٧٧ •

(٥١) الاغاني ج ١٠ ص ٧٧ •

(٥٢) المقذوذ : المزين المسوى •

(٥٣) الخز : الحرير • وشي الثوب يشيه : حسنة بالألوان •

(٥٤) مختصر التاريخ الكبير • ابن عساكر الشافعي ج ٤ ص ٣٦٢ ط • روضة الشام •

وقد نتج عن بخل مروان وشحه ، طعمه الشديد في المال ، وشرهه اليه وأمر طبيعي ان يلازم الطمع كل انسان بخيل جمع المال وعدده • وهذا الطمع الذي ركب نفس مروان جعله لا يقنع بما في يده من عطاء جزيل وثراء واسع• فها هو يشكو من الرشيد ويتهمه بأمساك يده عنه ، وشكوى مروان هذه عجيبة غريبة ، ذلك ان الرشيد واخاه الهادي وأباهما المهدي كان رسمهم ان يعطوه بكل بيت يمدحهم به الف درهم (٥٥) ، وقد كلم مروان بأمر شكواه من الرشيد بعد ما اعطاه اسنى الجوائز واضخم الصلات فأجاب بما كشف عن نفسه الراغبة الطامعة قائلاً : هذا أبان اللاحقي قد اخذ من البرامكة بقصيدة واحدة مثل ما اخذته من الرشيد في دهري كله (٥٦) ، ولا ينكر امرؤ ان جواب مروان هذا يدل على ما داخله من الغم والحسد لأبان لما اصابه من البرامكة وغيرهم •

واذا كان حب مروان المال السبب الرئيس في بخله وطمعه ، فهو كذلك كان السبب الرئيس في قدومه الى بغداد وفي إنجرافه في تيار السياسة العباسية فيما بعد • فقد أيقن مروان انه لن يظفر بالمال والعطاء إلا بأن يسير في الخط السياسي الذي رسمه العباسيون في تأييد خلافتهم ، وهذا الموقف السياسي الجديد الذي وقفه الشاعر من بني العباس كان سببا لرميه « بالنفاق السياسي» ان صح هذا التعبير • ذلك انه كان اموي الهوي فأنقلب عباسيا متطرفا • ولكن موقف مروان هذا وان كان فيه شيء مما رمي فيه ، فانه موقف املاه عليه اقراره بالامر الواقع فدار مع الايام ليغنم • واذا كان موقف مروان من بني العباس اضطره الى ان يتناسى ولاءه القديم لبني امية ، فان هذا لايعني

(٥٥) الاغاني ج ١٠ ص ٧٧ • ط دار الكتب •
(٥٦) الاغاني ج ٢٠ ص ٧٣ ط • ساسي •

انه كان يزدري الامويين فيما بينه وبين نفسه • كما ذهب الى ذلك الدكتور طه حسين [٥٧] حين قال في حديثه عن مروان « كان فيما بينه وبين نفسه يزدري الامويين والعباسيين والعلويين » فلو ان الدكتور طه حسين جاءنا بالدليل المقنع على ما قال لكنا وافقناه على هذا القول ، واذا كان مروان لم يزدر الامويين او يتعرض لهم بما يسيء اليهم امام الخلفاء العباسيين كما تدل على ذلك اخباره ، فكيف يجوز لنا ان نحكم على الرجل بأنه كان يزدريهم فيما بينه وبين نفسه ؟ وهذا شعره الذي وصل الينا يخلو خلواً تاماً من أي كلمة تدل على شيء من الأزدراء والأحتقار • ثم أليس هو الذي سمى نفسه « اخا امية » في رثائه لمعن بن زائدة وفي عهد العباسيين اذ خاطبه قائلاً [٥٨] :

حباك أخو اميـــــة بالمراثي مع المدح اللواتي كان قـالا

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فأن الدكتور طه حسين نفسه حين تحدث عن السيد الحميري بعد صفحات من حديثه عن مروان قال « هو أذن ـ يريد الحميري ـ يخالف أبان اللاحقي في أنه لم يكن فارسيا ولا ميالاً الى الفرس ، ويخالف مروان بن ابي حفصة في انه لم يكن امويا ولا ميالا الى بني أمية ، [٥٩] • فنحن نفهم من العبارة الأخيرة في قول الدكتور طه حسين ان مروان كان أمويا او ميالاً الى بني امية ، وهذا ما نراه نحن أيضا ، فاذا كان امر مروان مع الامويين على هذه الحال فكيف يتأتى له ان يميل اليهم وان يزدريهم في آن واحد ؟ فموقف مروان السياسي من بني العباس اقرار

(٥٧) حديث الاربعاء • طه حسين ج ٢ ص ٢٣٠ ط • دار المعارف بمصر •
(٥٨) تاريخ بغداد • البغدادي ج ١٣ ص ٢٤١ ط • مجازي •
(٥٩) حديث الاربعاء طه حسين ج ٢ ص ٢٤٠ •

بالوضع الجديد بعد أن ذهب ملك اسياده الامويين ، وهو موقف يقفه كثيرون من أمثاله ايام الانقلابات وايام الاضطراب السياسي .

أما حياة مروان الخاصة فقد امتازت بالجد والبساطة والبعد عن الشهوات واللذات ولابد أن كانت هناك عوامل تضافرت فأدت بمروان الى أن ينحو هذا المنحى في حياته الأجتماعية فقد كان لنشأته في بيئة بدوية مثل اليمامة أثر كبير في عزوفه عن حياة اللهو والعبث التي عرفت في بغداد ايام الحكم العباسي ، وكان عدم اقامته في بغداد عاملاً مساعداً في ابتعاده عن هذا اللون الحضري من الحياة العباسية ، ولا شك عندي ان طبع مروان الجاد الحريص كان وراء سيرته المستقيمة ، وخلقه المتزن ، فلم يكن مروان ماجنا ولا عابثا ولا زنديقاً (٦٠) ، وانما كان أكثر الناس حرصا على الجد وحسن السيرة ولم يكن مروان مستهترا باللهو ، وانما كان أبعد الناس عن حياة اللهو والعبث والاسراف . وقد كان لبخله الذي سبق الحديث عنه أثر كبير في انصرافه عن ملذات الحياة وترفها اذ ان طالب اللذة ، لا ندحة له من أن ينفق ويبذخ وكيف يتأتى لمروان هذا الانفاق وهذا البذخ وهو الذي عاش ايامه في بؤس وحرمان . ومهما يمكن ان يقال في سبب هذه الحياة الشديدة المتقشفة التي حبيها مروان ، فهي تفضل حياة اللين والاسراف والانغماس في التهتك وتحدي الدين واهله ، تلك الحياة التي عاشها الكثيرون من معاصريه كبشار وابي نواس ومطيع بن اياس . ذلك ان مروان نزه نفسه وشعره من الحديث في أمور تكشف عن حياة مبتذلة مسرفة ، وتنبيء عن خلق منهتك متفسخ . فمروان لم يتعرض لفتاة خدر ، ولم يقصف في حانة خمر ، ولم يمزق ثياب التعقل والعفة والفضيلة ولم يبلغ ما بلغه الغواة المجان في حياتهم من انغماس

(٦٠) حديث الاربعاء . طه حسين ج ٢ ص ٢٢٦ .

طائش في دنيا الغواية والرذيلة .

أما عن صفاته البدنية فليس بين ايدينا ما يمكننا من تكوين صورة واضحة كاملة الجوانب لمروان ، اللهم إلا عبارة واحـدة وردت في معجم الشعراء للمرزباني تقول : وكان — يريد مروان — شيخا متدانيا يستبشع منظره »(٦١) ولكن ما الذي كان يجعل منظره بشعا ؟ قبح وجهه ؟ ام تشوه سباله ؟ ام ضخامة جثته ام خشونة ملابسه ؟ ام ماذا ؟ ذلك ما لم تفصح عنه هذه العبارة المقتضبة الموجزة . ويبدوا أن مروان وهو ابن سبعة وسبعين عاما قد انهكته وانضته رحلاته الطويلة الدائمة بين اليمامة وبغداد ، وما أخذ به نفسه من الحرمان والتقشف في العيش ، وما خطته يد الايام المرتعشة في لوحة وجهه من غضون ، كل اولئك كان السبب فيما زعمه المرزباني عن منظر مروان المستبشع وهو شيخ هرم .

٤ — اسرة مروان وصلتها ببني امية : — قلنا فيما تقدم ان أبا حفصة — جد الشاعر — كان مولى لمروان بن الحكم وان ابن الحكم هذا اعتق أبا حفصة بعد معركة يوم الدار ، وقد ظل ابو حفصة على ولائه واخلاصه لسيده مروان . وقد خرج ابو حفصة في رفقة ابن الحكم مع من خرجوا صوب البصرة بعد ان خلعوا طاعة الامام علي ، حتى اذا كانت حرب الجمل بين علي وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة زوج النبي (ص) وآخرين من بني امية ، قاتل ابو حفصة الى جانب مولاه مروان بن الحكم ، فلما انتهت المعركة بظفر الامام علي لجأ مروان بن الحكم وآخرون بينهم ابو حفصة

(٦١) معجم الشعراء المرزباني ص ٣١٧ ط . دار احياء الكتب العربية . وقد تكون هذه اللفظة متداعياً .

الى دار ــ مالك بن مسمع (٦٢) ، وحين طلب الامام علي مروان بن الحكم من مالك لم يدفعه اليه إلا برهينة دفعها ابن مسمع الى ابي حفصة ، فلما عاد مروان من عند علي وقد كساه علي كسوة وهب مروان بن الحكم كسوة علي الى أبي حفصة ، فغضب الأمام علي وقال : كسوته كسوة فكساها عبداً (٦٣) . وتمر الايام ويقوم حكم الامويين في الشام ويولي معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم المدينة المنورة ، ولما كانت اليمامة مضافة الى المدينة فقد كان مروان بن الحكم يوجه اليها ابا حفصة ليحمل اليه أموال الجباية(٦٤)، وفي احدى سفرات ابي حفصة الى اليمامة اعجب بجارية معصر (٦٥) سقته ماء ، فوقعت من قلبه موقعاً حسنا ، واشتاقتها نفسه ، وحين سأل عنها قيل له انها مولاة لبني عامر بن حنيفة واسمها لحناء (٦٦) أو حياً بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي فتزوجها (٦٧) وبقي واياها في اليمامة حتى انعم الله عليه منها بأبنائه يحيى ومحمد وعبد الله وعبد العزيز ، ولم يبرح أبو حفصة ديار اليمامة حتى كانت ثورة عبد الله بن الزبير في أيام يزيد بن معاوية ذلك ان اهل المدينة أخرجوا الكثيرين من الامويين ، بينهم عامل المدينة ومروان بن الحكم، فأغتنم هذا الاخير الفرصة نحث السير الى الشام لئلا يقبض عليه ابن الزبير . (٦٨) وكان ابو حفصة رفيق مروان بن الحكم في هذه الرحلة وحين

---

(٦٢) (٦٣) الاغاني ج ١٠ ص ٧٢ ط . دار الكتب .

(٦٢) (٦٣) الاغاني ج ١٠ ص ٧٢ ط . دار الكتب .

(٦٤) الاغاني ج ١٠ ص ٧١ .

(٦٥) اعصرت المرأة : بلغت عصر شبابها وأدركت .

(٦٦) الاغاني ج ١٠ ص ٧٢ .

(٦٧) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٧٩ .

(٦٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٣ ص ٧٨ ط السعادة .

وقع النزاع من اجل الخلافة بعد وفاة معاوية الثاني وقف ابو حفصة يناصر مروان ابن الحكم في حربه مع الضحاك بن قيس الفهري داعية الزبيريين وقد كان لأبي حفصة بلاء حسن في معركة مرج راهط على بعد اميال من دمشق حين اقتتل جيش الضحاك وجيش مروان وكان الظفر بجانب بني امية ، واستقام الشام لمروان بن الحكم (٦٩) ولم تنقطع أواصر الصلة بين ابناء ابي حفصة وبين ابنـاء مروان بن الحكم وانما بقيت على ما كانت عليه من القوة والعنفوان • فقد حنا عبد الملك بن مروان على ابناء ابي حفصة وقربهم اليه • وكان يؤثرهم حتى على ابناء العرب وقد أبي عبد الملك ان يسمع شكوى اثنين من العرب جاءا اليه يستعديانه على يحيى بن أبي حفصة لأنه اصهر في أسرة عربية وخالف التقاليد التي لا تبيح للموالي الزواج من العربيات • ومما قاله عبد الملك في رده على هذه الشكوى « وما أحب أن لي بيحيى الفاً منكما ، والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعتها منه، ومن زوجه فقد زوج ابني هذا ــ وأشار الى ابنه سليمان ــ » (٧٠) •

يصور لنا رد عبد الملك هذا مدى متانة العلاقة بين ابناء الاسرتين • وقد كان ليحيى بن أبي حفصة أخ يدعى مروان ــ وسماه مروان بن الحكم باسمه ــ وكان مروان هذا شجاعاً مجرباً فأرسله عبد الملك الى العراق لينصر الحجاج ابن يوسف الثقفي في حربه مع عبد الرحمن بن الاشعث •

وقد أبلى مروان في هذه الحرب بلاء حسناً ، وحين احتسب الحجاج على مروان هذا من عطائه عوضه عبد الملك ما أغرمه الحجاج (٧١) • ويوم خرج

---

(٦٩) المصدر السابق ج ٣ ص ٩٥ •
(٧٠) الاغاني ج ١٠ ص ٧٤ •
(٧١) كذلك ج ١٠ ص ٧٣ •

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة على الخلافة الاموية في عهد يزيد بن عبدالملك اسف يحيى بن أبي حفصة الا يكون الحجاج حياً فيدرأ عن ملك بني امية خطر يزيد ، وفي ذلك يقول يحيى : (٧٢)

لا يصلح الناس الا السيف اذ فتنوا   لهفي عليك ولا حجاج للدين
لو كان حيا غداة الازد (٧٣) اذ نكثوا   لم يحص قتلاهم حسّاب ديرين

وقد كان يحيى بن أبي حفصة ــ جد الشاعر ــ رجلا شجاعاً كريماً ، وكان جرير واحداً من اولئك الذين أثنوا على بأس يحيى وجرأته ، ذلك ان جريراً اراد ان يوجه ابنه بلالاً إلى الشام في بعض امره فأتى يحيى بن ابي حفصة فأودعه اياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني امية يريد الخروج فقال لأبيه : لو كلفت هذا القرشي امري ، فقال له جرير يمدح يحيى : (٧٤)

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا   ألا ان يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوجناء (٧٥) وقعة سيفه   اذا أنفضوا او قلّ ما في الغرائر

فبيتا جرير المتقدمان يظهران علو مكانة يحيى بين العرب . وقد تحدث عنه المبرد في كامله فقال : «وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار » (٧٦) فيحيى اذن جواد ممدح وشاعر فارس .

ولما توفي عبد الملك بن مروان دخل يحيى على الوليد يعزيه ويهنئه وأنشده :

---

(٧٢) كذلك ج ١٠ ص ٧٦ .
(٧٣) الازد : قبيلة يزيد بن المهلب .
(٧٤) الاغاني ج ١٠ ص ٧٤ .
(٧٥) الوجناء : الناقة الشديدة .
(٧٦) الكامل . المبرد ص ٢٧٤ .

ان المنـايا لا تغـادر واحداً يمشي ببزتـه ولا دا جنتـه
لو كان خلـق للمنايا مفلتـا كان الخليفة مفلتـا منهتـه
بكت المنابر يوم مات وانمـا بكت المنابر فقـد فارسهتـه
لمـا علاهن الوليـد خليفة قلن ابنه وتظـيره نسكتـه
لو غـيره قرع المنـابر بعده لنكرنه فطرحنه عنهتـه (٧٧)

ولقد اصهر يحيى بن أبي حفصة الى العرب ثلاث مرات • تزوج في اولاها ابنة ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصاري وقد عيَّر بعضهم ابراهيم بهذا الزواج فقال : (٧٨)

لعمري لقد جللت نفسك خزية وخالفت فعل الاكثرين الاكارم
ولو كان جداك اللذان تتابعـا ببدر لمـا راما صنيع الألائم

فأجابه ابراهيم بقوله (٧٩) :

فما تركت عشرون الفا لقائـل مقالا فلا تحفل مقالـة لائـم
وأن ألك قد زوجت مولى فقد مضت
بـه سنة قبلي وحـب الدراهـم

وتزوج يحيى في المرة الثانية ابنة زياد بن هوذة بن شماس بن لؤي بن أنف الناقة • (٨٠)

وأصهر أخيراً الى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم (٨١) كما مر بنا

(٧٧) الاغاني ج ١٠ ص ٧٥ •
(٧٨) الكامل • المبرد : ص ٢٧٤ •
(٧٩) الشعر والشعراء ابن قتيبة ج ٢ ص ٦٥ ط • دار الثقافة •
(٨٠) الاغاني ج ١٠ ص ٨٤ •
(٨١) الكامل • المبرد ج ٢ ص ٤١٨ ط • البابي الحلبي •

فيما تقدم • وقد كان ليحيى بن أبي حفصة ثلاثة أولاد هم : سليمان — ابو الشاعر — وعمر وجميل • اما سليمان فقد تزوج اول مرة من بنت أحد اخوي زياد (٨٢) بن هوذة اللذين استعديا عبد الملك على يحيى بن أبي حفصة كما رأينا في صفحات مضت • وتزوج سليمان مرة ثانية مع أخويه عمر وجميل حين خطب لهم ابوهم يحيى اختي مقاتل بن طلبة وابنته وهو ما مرّ بنا آنفاً (٨٣) • وعلى هذا يكون اخوال مروان بن أبي حفصة آل هوذة ابن شماس من لؤي بن انف الناقة او آل مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم •

ان موافقة هذه الأسر العربية على اصهار يحيى بن أبي حفصة وابنائه فيها دليل واضح على المكانة التي كان يحظى بها يحيى بين العرب ، ومن اجل هذا نهم لم يردوا له مطلبا واحداً من مطالبيه •

٥ — شعراء الأسرة الحفصية : كان بيت مروان بن أبي حفصة من بيوتات الشعر العربي ، اذ كان أكثر اهل بيته رجالاً ونساء شعراء فصحاء يضربون بألسنتهم أنوفهم • ولا بد أن نشير هنا الى الفرق بين المعرق في الشعر وبين ذي البيت • فالمعرق من تكرر الأمر فيه وفي ابيه وفي جده فصاعدا ولا يكون الرجل معرقا في الشعر حتى يكون الثالث فما فوقه • اما ذو البيت فمن عمّ قول الشعر جميع أهل بيته او اكثرهم (٨٤) ، وفي اسرة مروان الشاعرة هذه قال ابن خلكان :

« انهم اهل بيت كل واحد منهم شاعر ، يتوارثونه كابراً عن كابر» (٨٥) •

(٨٢) الاغاني ج ١٠ ص ٧٥ •
(٨٣) كذلك •
(٨٤) العمدة • ابن رشيق ج ٢ ص ٣٠٨ ط • السعادة •
(٨٥) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٧٩ ط • السعادة •

فأسرة مروان ـ اذن ، توارثت الشعر وكان بعضها أمتداداً للبعض الآخر . فأول شعراء هذه الأسرة ابو حفصة ، فقد كان فارساً شاعراً وهو القائل يوم الدار : (٨٦)

وما قلت يوم الدار للقــوم صالحوا   اجل لا ، ولا أخترت الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم جالــــدوا   بأسيافـكم لا يخلصنَّ الى الكهــل

وابو حفصة هو القائل أيضاً يوم معركة الجمل : (٨٧)

لست على الزحام بالأصرّ (٨٨)   اني لورّاد حيــاض الشــرّ
معاود للكـــرّ بعد الكرّ (٨٩)

ويبدو لي أن شعر ابي حفصة شعر حماسي تفيض به نفسه كلما وقف يناصر مولاه مروان بن الحكم في مواقفه الحربية والسياسية . . ويبدو لي أيضاً ان الرجل مقل كل الاقلال (٩٠) في موضوعات الشعر الأخرى ، ذلك اننا لم نعثر له على غير هذا الذي اثبتناه من شعره . أما ابنه يحيى الذي ورث عنه ملكة الشعر ، فكان شاعراً مكثراً ومجيداً ، فهو قد مدح ورثى وفخر وهجا . وقد مرَّ بنا فيما تقدم رثاؤه لعبد الملك بن مروان ، ومرَّ بنا كذلك ردّه على القلاخ بن حزن المنقري . وقد فخر يحيى بجوده الفياض وعطائه السمح فقال : (٩١)

---

(٨٦) الاغاني ج ١٠ ص ٧٢ .
(٨٧) لطائف المعارف . ابو منصور الثعالبي ص ٧٠ ط . دار احياء الكتب العربية .
(٨٨) صر الرجل : اذا صاح صياحاً شديداً .
(٨٩) الاغاني ج ١٠ ص ٧٣ .
(٩٠) الفهرست : ابن النديم ص ٢٣٤ ط . الاستقامة .
(٩١) لطائف المعارف ص ٧٠ .

وقائلة ما بال مالك ناقصا ... وأموال اقوام سواك تزيد
فقلت لها : إني أجود بما حوت ... يداي وبعض القوم ليس يجود

فهو في هذين البيتين ، يعبّر عن اعتزازه وحبه للعطاء والسماحة ، وهو بعد ذلك لا يبالي أن ينقص ماله بسبب ما تجود به يداه .

وليحيى في سفيان بن عمرو والي اليمامة وقد نصحه يحيى فلم ينتصح فقال يلومه : (٩٢)

لقد عصاني ابن عمرو اذ نصحت له ... ولو أطعت لما زلت به القدم
لو كنت انفخ في نار لقد وقدت ... ناري ولكن رماد ماله حمم

لقد كان يحيى موفقاً مجيداً حين شبه والي اليمامة الذي لم يأخذ بنصيحته بالرماد الذي يقطع الاقتباس ولا يرى له شيء من جذوة او من وميض .

وليحيى اشعار غير هذه التي اثبتناها وهي بمجموعها تنبيء عن شاعريته التي تضعه في مصاف الشعراء النابهين المجيدين . وقد نص صاحب الاغاني على أنّ « ليحيى اشعاراً كثيرة » (٩٣) وشعره كما ذكر ابن النديم عشرون ورقة (٩٤) . والأمر الذي نلاحظه هنا هو ان الرواة الذين تحدثوا عن شعراء هذه الأسرة لم يذكروا لنا شيئاً من شعر ابناء يحيى الثلاثة الذين تقدم حديثهم . وانما ينتقلون من الحديث عن شاعرية يحيى الى الحديث عن حفيده مروان بن أبي حفصة الذي هو مدار بحثنا .

---

(٩٢) الاغاني ج ١٠ ص ٧٦ .
(٩٣) الاغاني ج ١٠ ص ٧٧ . ط . دار الكتب .
(٩٤) الفهرست . ابن النديم ص ٢٣٤ ط . الاستقامة . ويريد ابن النديم في مقدار الورقة ان تحوي عشرين سطراً في صفحتها .

ومن شعراء هذه الاسرة السمط بن مروان بن أبي حفصة . ومن شعره قوله مخاطباً صديقه عياش بن حنيفة الخثعمي وقد عتب عليه لأنه لم يعده حين مرض : (٩٥)

تعيشت ياعياش من فضل كسبها (٩٦) وعـدت سمينا بعد طول هزالـكا
يعاتبني عيّـاش ان لا اعـوده فأهون ّ بـه خيا عليّ وهالـكا
وأني لا ستحيي من النـاس كلهم ومن خالقي من ان أرى بفنائـكا

وكان ابنه ابو الجنوب يحيى شاعراً ايضاً وقد دخل على موسى الهادي وأخيه هارون وعلي الامين فيما بعد . وقد تعرّض ابو الجنوب لغضب الهادي لأنه قال شعراً طلبه الخليفة بسببه فهرب من العراق الى البادية ، ومن شعر أبي الجنوب قوله يمدح الرشيد : (٩٧)

امير المؤمنـين اليوم موسى وانت غـدا أمير المؤمنينـا
ستختار الخلافة بعـد موسى وأن رغمت انوف الحاسدينـا
رأيت اباك اورثهـا بنيـه وانت كذاك تورثهـا البنينـا

وله أيضاً في مدح الخليفة الامين ابيات رفعها الى امه زبيدة حيث قال :

لله درّك يا عقيـلة جعفر ماذا ولدت من العلا والسؤدد
انّ الخلافة قـد تبيّن نورها للناظرين على جبـين محمـد

« فأمرت ان يملأ فمه دراً » (٩٨) .

ولأبي الجنوب شعر في الهجاء (٩٩) الى جانب مدح الخلفاء العباسيين

---

(٩٥) معجم الشعراء . المرزباني ص ١٢٩ ـ ١٣٠ . ط البابي الحلبي .
(٩٦) الضمير يعود على جارية لهما .
(٩٧) لطائف المعارف . الثعالبي ص ٧٠ .
(٩٨) العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٢ ط . لجنة التأليف والنشر .
(٩٩) معجم الشعراء . المرزباني ٤٩٠ .

وامرائهم ، وفي شعره قال ابن المعتز العباسي حين قوّم شعر هذه الأسرة « ثم انتهى — يريد الشعر — الى أبي الجنوب وقد نقص حرّه »(١٠٠) .

وهذا يعني أنّ شاعرية ابي الجنوب لم تكن من القوة والأجادة بحيث تبلغ ما كان عليه مروان بن ابي حفصة من عنفوان وتحليق في قول الشعر .

وقال الشعر بعد أبي الجنوب ابنه مروان الاصغر ، وكان يلقب — غبار العسكر (١٠١) — ويكنى ابا السمط (١٠٢) وقد سلك سبيل جده مروان بن أبي حفصة في معارضة ابناء علي بن أبي طالب (ع) . وقد كان مروان بن ابي الجنوب أثير المكانة عند المتوكل ، اذ خص به ونادمه ، وقد قلّده الخليفة العباسي اليمامة والبحرين وطريق مكة (١٠٣) . وهذه المنزلة الرفيعة التي حازها — غبار العسكر — لدى المتوكل لم ينلها جده مروان بن أبي حفصة على ما كان من الحظوة في بلاط الرشيد خاصة . وقد كان مروان بن أبي الجنوب مدح المأمون والمعتصم قبل خلافة المتوكل . ومما انشد في المأمون قوله : (١٠٤)

ولو علمت فوق الخلافة غايـة ... تنـال بمجد في الحياة لنالها

وذكر حظوته عند المعتصم وعطاياه له فقال : (١٠٥)

لمـا دخلت على معصوم امته ... خليفـة الله أدناني وأغنـاني

مثل العطايا التي أعطى ابوه أبي ... وجدّه المصطفى المهدي اعطاني

(١٠٠) لطائف المعارف . الثعالبي ص ٧٠ .
(١٠١) معجم الشعراء . المرزباني ص ٣١٢ ط . دار احياء الكتب العربية .
(١٠٢) ذكرنا في ترجمة حياة مروان بن أبي حفصة انه كان يكنى بهذه الكنية أيضاً .
(١٠٣) معجم الشعراء : المرزباني ص ٣٢١ .
(١٠٤) (١٠٥) لطائف المعارف . الثعالبي ص ٧٠ .

وأنشده كذلك : (١٠٦)

ألا يا دولـة المعصوم دومـي   فأنك قلت للدنيـا استقيمي

وقد وقف موقف جده في الدفاع عن حقّ العباسيين في وراثة الخلافة بعد النبي الكريم دون بني عمّهم الطالبيين • وكان فيما ردده من معان في هذا المقام عيالاً على جدّه مروان بن ابي حفصة •

ومما حاجّ به مروان بن أبي الجنوب العلويين قوله : (١٠٧)

الصهر ليس بـوارث   والبنت لا ترث الامامه

لو كان حقـكم لهـم   قامت على الناس القيامه

اصبحت بـين محبكم   والمبغضين لـكم علامـه

فأكرمه المتوكل واسنى جائزته •

وله من قصيدة امتازت بالسهولة والرقة قالها يوم أخذ المتوكل العهد لبنيه الثلاثة وهم المنتصر والمعتز وابراهيم المؤيد ومنها قوله : (١٠٨)

ثلاثة امـلاك فأما محمد (١٠٩)   فنور هدى يهدي به الله من يهدي

وأما ابو عبد الاله (١١٠) فأنه   شبيهك في التقوى ويجدي كما تجدي

وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة   تقي وفي بالوعيـد وبالوعـد

فأوّلهـم نور وثانيهم هـدى   وثالثهـم رشد وكلهم مهـدي

وقد وصله المتوكل على هذه القصيدة عطاء ضخماً وهبات كثيرة فقال

---

(١٠٦) الاغاني ج ١٢ ص ٨٤ •
(١٠٧) هامش معجم الشعراء • المرزباني ص ٣١٢ •
(١٠٨) مروج الذهب ج ٤ ص ١٣٦ ط • السعادة •
(١٠٩) يريد الخليفة المنتصر •
(١١٠) كنية الخليفة المعتز بالله •

ابن أبي الجنوب يشكره : (١١١)

تخير ربّ الناس للناس جعفراً (١١٢) وملّكه أمر العبـاد تخيّرا
فأمسك ندى كفيك عني ولا تـزد فقد كدت ان اطغى وأن اتجبرا

فقال المتوكل : لا والله لا أمسك حتى اغرقك » .

وقد قامت بين مروان بن أبي الجنوب وبين الوزير ابن الزيات خصومة شديدة وعداء مستحكم ، فلما سخط المتوكل على ابن الزيات وقتله قال مروان في ذلك : (١١٣)

وقيل لي الزيات لاقى حمامـه فقلت اتاني الله بالفتح والنصـر
لقد حفر الزيات بالغـدر حفرة فألقاه فيها ما نواه من الغدر (١١٤)

وكان لحظوه مروان بن أبي الجنوب في بلاط المتوكل أثرها الكبير في منافسة الشعراء له وحسدهم لموضعه من الخليفة . وكـان علي بن الجهم ــ الشاعر المعروف ــ في طليعة أولئك الذين طعنوا على مروان ونافسوه . وقد هجاه مروان بن أبي الجنوب يوماً بأمر الخليفة المتوكل فقال : (١١٥)

ان ابن جهـم في المغيب يعيبني ويقـول لي حسناً اذا لاقاني
صغرت مهابتـه وعظم بطنـه فكأنمـا في بطنـه ولـدان
ويح ابن جهم ليس يرحم أمـه لو كان يرحمها لمـا عاداني

(١١١) الاغاني ج ١٢ ص ٨١ .
(١١٢) اسم المتوكل العباسي .
(١١٣) مروج الذهب ج ٤ ص .
(١١٤) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ١٥٣ ط . السعادة . وهو يشير في هذا البيت الى تعذيب ابن الزيات للمغضوب عليهم في تنور من حديد ايام المعتصم والواثق فأمر المتوكل بأدخاله في ذلك التنور .
(١١٥) الاغاني ج ١٢ ص ٨٢ .

فاذا التقينا .... شعري شعره ونزا على شيطانـه شيطاني

وهجا ابن ابي الجنوب علي بن الجهم فأثقل في الطعن والشتم اذ قال : (١١٦)

لعمرك ما الجهم بن بـدر بشاعر وهذا عليّ بعده يدّعي (١١٧) الشعرا
ولـكن ابي قـد كان جاراً لأمـه فلما أدعى (١١٨) الأشعار اوهمني أمرا

وله في هجاء علي بن الجهم اشعار كثيرة غير ما اثبتناه . ويبدو ان هجاء مروان بن أبي الجنوب لابن الجهم ولغيره كان بأمر المتوكل طلبا للعبث وللنكتة فقد امره الخليفة كذلك ان يهجو علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم نديم المتوكل المشهور برواية الاشعار والاخبار . فقال ابن ابي الجنوب يهجوه : (١١٩)

ألا أن يحيى لا يقـاس الى ابي وعرض ابن يحيى لايقاس الى عرضي

وفي هذه القصيدة قال الاصبهاني في اغانيه « وهي ابيات تركت ذكرها صيانة لعلي بن يحيى » وقد اجابه علي فقال : (١٢٠)

صدقت لعمري ما يقـاس الى أبي ابوك ، ومن قاس الشواهق بالخفض
وهـل لـك عرض طاهر فتقيسـه اذا قيست الاعراض يوما الى عرضي
ألستم موالي للعـين (١٢١) ورهطه اعادي بني العباس ذي الحسب المحض
توالون من عادى النبي ورهطـه فترمون من والى أولي الفضل بالرفض
وليس عجيبا ان أرى لـك مبغضا لأنك أهـل للعـداوة والبغض

وساءت حال مروان بن أبي الجنوب في عهد خلافة المنتصر ، فقد أقصاه

---

(١١٦) الأغاني ج ١٢ ص ٨٣ .
(١١٧) في العمدة « يضع الشطر » .
(١١٨) في العمدة (فلما تعاطى الشعر أوهمني أمراً) .
(١١٩) (١٢٠) الاغاني ج ١٢ ص ٨٥ .
(١٢١) يريد مروان بن الحكم لأن آل أبي حفصة من مواليه » .

وجفاه وأخرجه من بين جلسائه ، ذلك ان المنتصر دفع الاذى عن الطالبيين ، وكفه عن مطاردتهم ، وترك التعرض لشيعتهم ، واظهر خلافاً لأبيه المتوكل في سائر مذاهبه حتى في التشيع ، فطرد ابن أبي الجنوب لنصبه ولمعاداته آل ابي طالب (١٢٢) .

أما مكانة مروان بن أبي الجنوب بين شعراء اسرته فالمثل التي قدمناها له تنبيء عن شاعرية متمكنة مجيدة . ويبدو لي أن ابي الجنوب كان اقرب شعراء اهله الى جده مروان بن أبي حفصة في ملكته الشعرية ، وفي احتذائه حذو جده في اظهار الولاء والتأييد لبني العباس . وعنه قال الاصبهاني في اغانيه « وكان مروان بن أبي الجنوب آخر من بقي منهم يعد من الشعراء » . (١٢٣)

وقد ذكر ابن النديم أن اشعار مروان هذا تبلغ مئة وخمسين ورقة (١٢٤).

وورث الشعر عن مروان بن ابي الجنوب ابناؤه وهم : محمد ومحمود ويحيى .

أما محمد فلم يصلنا شيء من شعره وكل ما نعرفه عنه هو ما ذكره ابن النديم اذ قال عنه :

أنه شاعر ومجموع اشعاره نحو خمسين ورقة . (١٢٥)

واما محمود فقد دخل على الخليفة المنتصر وانشده : (١٢٦)

---

(١٢٢) الاغاني ج ١٢ ص ٨٠ .

(١٢٣) الاغاني ١٢ ص ٨٠ .

(١٢٤) الفهرست ص ٢٣٥ .

(١٢٥) كذلك .

(١٢٦) لطائف المعارف : الثعالبي ص ٧٠ .

لقــد طال عهــدي بالامام محمــد وما كنت اخشى ان يطول به عهــدي
فاصبحت ذا بعد وداري قريبــة فيا عجبا من قرب داري ومن بعدي

ويذكر المرزباني أن اسم محمود (يحيى) وسماه المتوكل محموداً لغمزه على الطالبيين .(١٢٧)

وأما يحيى فما بين أيدينا من اشعاره بيت واحد انشده الجاحظ وهو قوله : (١٢٨)

قــل لــلألى جعلوني نصب اعينهم لا تجعلوني من اعراضكم غرضا

وقال الشعر بعد يحيى بن مروان بن أبي الجنوب ابنه مروان بن يحيى ، وكان ناصبياً كأجداده . وله من قصيدة ناظر فيها العلويين وحاجّهم ومطلعها:(١٢٩)

سلام على جمل وهيهات من جمــل ويا حبذا جمــل وأن صرمت حبلي

وفيها يقول :

وحكتم فيها حاكمين ابوكــم هما خلعاه خلع ذي النعل للنعل
وقد باعها من بعده الحسن ابنه فقد ابطلا دعواكم الرثة الحبل
وخليتموهــا وهي في غير اهلها وطالبتموها حين صارت الى الاهل

فالشاعر يشير في بيته الأول الى مسألة التحكيم يوم صفين حين خلع كلّ من ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص علياً من الخلافة ، وهو يشير في بيته الثاني الى تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ، وعلى هذين الاساسين فليس للعلويين من حقّ في المطالبة بالخلافة ، ولكن الشاعر يفتري على الحقيقة حين

---

(١٢٧) معجم الشعراء : المرزباني ٤٩٢ .
(١٢٨) (١٢٩) لطائف المعارف : الثعالبي : ٧١ .

يزعم ان الطالبيين قعدوا عن المطالبة بالخلافة يوم كانت في ايدي بني أمية ، اذ ان الثورات العلوية في عهد الامويين معروفة ومشهورة • والملاحظ هنا ان معظم الشعراء الحفصيين الذين وصلنا شيء من شعرهم السياسي ورثوا عن آبائهم ملكة الشعر ومناصبة العلويين العـــداء والوقوف في صف بني العباس كذلك •

ومن شعراء هذه الاسرة أيضاً متوّج (١٣٠) بن محمود بن مروان بن أبي الجنوب ، ولكننا لم نعثر له على شيء من الشعر ، واشعاره كما نصّ ابن النديم نحو مئة ورقة (١٣١) • وفي شعر متوّج هذا قال الأصبهاني : كان ساقطا بارد الشعر ، (١٣٢) وفي هذا المعنى قال ابن المعتز حين قوّم شعراء هذه الأسرة : ان شعرهم حين انتهى الى متوّج فقد قوته وحرارته (١٣٣) •

ومن شعراء هذه الأسرة أيضاً ادريس بن أبي حفصة ، وقد يكون هذا هو نفسه الذي قال عنه صاحب الفهرست ــ ابو سليمان ادريس بن أبي حفصة وان شعره نحو مئة ورقة (١٣٤) ••• ولأدريس هذا ابيات حسنة المعنى جيدة النظم قالها حين اخذ المتوكل العهد لابنائه الثلاثة وقد تقدمت الاشارة

(١٣٠) يذكر ابن النديم في الفهرست ص ٢٣٥ ان اسم هذا الشاعر(فتوح) وهو كما أرى تصحيف لكلمة (متوّج) الذي اثبتناه عن الاغاني ج ١٢ ص ٨٠ وعن اشعار اولاد الخلفاء للصولي ص ١١٦ ــ ١١٧ وعن لطائف المعارف ص ٧٤ •

(١٣١) الفهرست • ابن النديم ص ٢٣٥ •
(١٣٢) الاغاني ج ١٢ ص ٨٠ ط • دار الكتب •
(١٣٣) لطائف المعارف ص ٧٤ •
(١٣٤) الفهرست ص ٢٣٥ •

الى ذلك ، وهذه الابيات هي قوله : (١٣٥)

ان الخلافــة مالهــا عن جعفر　　نور الهــدى وبنيه من تحويل
فأذا قضى منهــا الخليفة جعفر　　وطراً ومل وليس بالممــلول
فمحمد بعــد الخليفة جعفر　　للناس لا فقدوه خــير بديــل
فبقاء ملكك وانتظــار محمد　　خير لنــا وله من التعجيــــل

ومن شعراء هذه الأسرة أيضاً :

محمد بن ادريس وهو شاعر مقلّ كذلك وشعره نحو مئة (١٣٦) ورقة ولم يصلنا منه شيء .

وممن قال الشعر من ابناء هذه الاسرة عاصم بن الوليد بن يحيى بن ابي حفصة ولسنا نعرف مقدار شعره ، وهو القائل يوم سار يزيد الى الوليد ابن طريف الشاري : (١٣٧)

كأنك اذ سار الاغرّ ابن مزيــد　　على الجسر في ريح برأس وليــد

وكانت اخت عاصم آمنة بنت الوليد بن يحيى بن أبي حفصة شاعرة كذلك ولكنها مقلّة (١٣٨) . وليس لدينا من هذه القلة شيء .

ثم كان بين الشعراء الحفصيين عبد الله بن السمط وشعره في نحو مئة ورقة (١٣٩) . وكان شعره دون شعر مروان بن أبي حفصة قوة وحرارة (١٤٠) .

---

(١٣٥) مروج الذهب ج ٤ ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(١٣٦) الفهرست ص ٢٣٥ .

(١٣٧) (معجم الشعراء) . المرزباني ص ١١٩ ط . البابي الحلبي لم يورد المرزباني بيتا ثانياً يكمل معنى البيت المتقدم .

(١٣٨) الفهرست ص ٢٣٥ .

(١٣٩) كذلك ص ٢٣٥ .

(١٤٠) اشعار اولاد الخلفاء . الصولي ص ١١٦ — ١١٧ . ط . الصاوي

وللرزين بن سليمان شعر (١٤١) ولكننا نجهل كمّه ونوعه .

وممن ورد ذكرهم من شعراء هذه الأسرة علي بن الرزين وشعره في نحو خمسين ورقة (١٤٢) .

وروى المرزباني شعراً للمؤمّل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة ، وكان يلقب « قتيل الهوى » . وهو القائل : (١٤٣)

قلن من ذا فقلت هذا اليماني قتيـــل الهوى ابـــو الخطاب
قلن بالله أنت ذاك يقينـــــا لا تقل قول ما زح لعتّـــاب
إن تكن انت هو فانت مـــكانا خالياً كنت أو مـــع الاصحاب

وفي هذه الأسرة الشاعرة قال المبرد : « كان يقال : اعرق الناس في الشعر آل حسان فأنهم معتدّون ستة في نسق كلهم شاعر ، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، حتى جاء آل ابي حفصة ، وتوارثوا الشعر كابرا عن كابر وتناسق منهم عشرة على الولاء مذكورون بالشعر انشدوا الخلفاء وأخذوا الجوائز (١٤٤) . وقد لفت تناسق شعراء هذه الأسرة في سلسلة مترابطة متصلة الحلقات ، اليهم انظار مؤرخي الأدب العربي وآثار اهتمامهم ، فكان النقّاد القدامى اذا ما تذكروا قضايا الشعر والشعراء عرّجوا عليهم ووازنوا بينهم وقوّموا اشعارهم ، من ذلك ما حكاه ابو بكر محمد بن يحيى الصولي عن مجلس ادبي ضمّه وجماعة من طبقته عند ابن المعتز العباسي ، ودار بين المجتمعين حديث الادب وقرئ في حضرة ابن المعتز شعر لمتوّج بن محمود بن مروان بن أبي الجنوب ، وكان

(١٤١) (١٤٢) الفهرست ص ٢٣٥ ط . دار الكتب العربية .

(١٤٣) معجم الشعراء . المرزباني ٢٩٩ .

(١٤٤) لطائف المعارف : الثعالبي ٨٠ .

شعرا رديئاً ليس بشيء ، فشبه ابن المعتز شعر آل ابي حفصة وتناقصه حالاً بعد حال فقال : كأنه ماء سخن لقليل في قدح ثم استغني عنه فكان ايام مروان على حرارته ثم انتهى الى أبي الجنوب وقد نقص حرّه ، ثم انتهى الى مروان الثاني وقد فتر ، ثم انتهى الى يحيى وقد زاد فتوره ، ثم انتهى الى أبي السمط وقد برد ، ثم انتهى الى محمود وقد ثخن برده ، ثم انتهى الى متوّج هذا وقد جمد فلم يبق بعد الجمود شيء » (١٤٥) .

حقاً ، لقد اصاب عبد الله بن المعتز حين قدّم مروان بن أبي حفصة على سائر شعراء أسرته فمروان كان واسطة العقد المتلألئة بين الشعراء الحفصيين، فهم لم يلحقوا به ولم يبلغوا شأوه ، فكان مروان القدوة التي حذا حذوها شعراء هذه الاسرة ، اذ ترسموا خطاه في مذهبه السياسي القائم على الانتصار للعباسيين في موقفهم من العلويين ، وقد رأينا ذلك في شعر مروان بن ابي الجنوب وفي شعر مروان بن يحيى ، وقد ذهب الشريف المرتضى مذهب ابن المعتز في تفضيل مروان على كثير من شعراء اهل زمانه وطبقته وعلى جميع شعراء أسرته (١٤٦) . وفي تقديم مروان بن أبي حفصة على شعراء اهله يقول الكسائي : « إنما الشعر سقاء تمخض فدفعت الزبدة الى مروان بن أبي حفصة » (١٤٧) .

أما دعبل الخزاعي الشاعر العلوي الهوى الذي هجا مروان لنصبه فقد قال في شعراء الاسرة الحفصية : « كل من قال الشعر من آل ابي حفصة بعد مروان وأخوته وولده وولد ولده فمتكلف وقد جهدنا ان نجد لهم بيتاً

---

(١٤٥) لطائف المعارف . الثعالبي ص ٧٤ ط . دار احياء الكتب العربية .
(١٤٦) امالي المرتضى ج ١ ص ٥١٨ ط . دار احياء الكتب العربية .
(١٤٧) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ١٤٥ ط . السعادة .

نادراً فلم نجده » (١٤٨) .

فدعبل ، أذن ، خص مروان بالتفضيل والتقديم ، والفضل ما شهدت به الاعداء .

وبعد ، فهذه مجموعة من الاحكام النقدية صدرت عن نخبة متبصرة في تقويم الشعر والشعراء — فيهم المؤرخ والنحوي والشاعر — وكلها حكمت لمروان بن أبي حفصة بالاجادة والفحولة وبأنه القمة الشماء بين شعراء أهله.

٦ — رحلات مروان بن أبي حفصة : تحدثنا فيما تقدم عن الصلة الوثيقة التي كانت تربط بين خلفاء بني أمية وبين اسرة مروان بن أبي حفصة ، واذن فقد كان طبيعيا أن يفد الشاعر على خلفاء دمشق ، وهكذا كان . وقد كانت رحلة مروان الاولى الى الشام في عهد الوليد بن يزيد بصحبة اعمامه . وقد تلطف الخليفة الوليد مع مروان فغمز لمته بقضيب في يده وذكره — بأم حفصة — زوجة مروان ابن الحكم التي وهبها ابن الحكم لأبي حفصة بعد معركة يوم الدار (١٤٩) . ويروي لنا مروان بن ابي حفصة أبياتاً سمعها من الوليد ايام خلافته يذكر فيها عمه هشام بن عبد الملك وتحامله عليه وكيف كان هشام يزمع نقض ولاية الوليد وهي قوله (١٥٠) :.

ليت هشاما عاش حتى يرى مكتله (١٥١) الأوفر قد أترعا
كلنا له الصاع التي كالهـا وما ظلمناه بهـا أصوعـا

(١٤٨) الورقة . الجراح ص ٤٦ ط . دار المعارف بمصر .
(١٤٩) الاغاني ج ١٠ ص ٨١ ط . دار الكتب .
(١٥٠) الاغاني ج ١٠ ص ٨١ ط . دار الكتب .
(١٥١) المكتل : زبيل يعمل من الخوص فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً .

وما اتيتنا ذاك عن بدعـــة احله الفرقان لي اجمعـــا

وقد وفد مروان على الوليد بن يزيد ثانية بصحبة الحسين بن مطير وطريح بن اسماعيل الثقفي لينشدوه اشعارهم (١٥٢) • وفي هذه الرحلة التقي مروان بحمّاد الراوية الذي كان يسمع مع الوليد بن يزيد قصائد الشعراء ويدله على المواطن التي اخذ منها الشعراء معانيهم والفاظهم • ويبدو ان موقف حمّاد هذا قد ساء مروان بن ابي حفصة فوقف امام الخليفة الاموي وقال : ماكلام هذا ـ يعني حمادا ـ في مجلس امير المؤمنين وهو لحنة لحانة »(١٥٣) • وأذن فقد حكم مروان على حمّاد بالخطأ واللحن ، وهو حكم لم ينفرد به الشاعر ، ففي حماد هذا قال يونس بن حبيب النحوي أيضاً « أني لأعجب كيف اخذ الناس حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويصحف ويكذب » (١٥٤) وحين ردّ حمّاد على ما اتهمه به مروان من اللحن ، اعترف بأنه لا يلتزم العربية الفصحى في جميع كلامه ، ذلك انه كان يكلم العامة بعاميتهم والعرب الفصحاء بعربيتهم الفصحى حين قال لمروان : « يا ابن اخي اني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها » (١٥٥) •

ويبدو ان مروان قال شعره في خلفاء بني أمية وامرائهم بعد الوليد بن يزيد أيضاً ، فقد نصّ الجاحظ على أن مروان « كان من شعراء الدولتين الأموية والعباسية وله مدائح في خلفائها وامرائهما » (١٥٦) وأذا كان الشاعر

---

(١٥٢) الاغاني ج ٦ ص ٧١ •
(١٥٣) الاغاني ج ٦ ص ٧٢ •
(١٥٤) المزهر • السيوطي ج ٢ ص ٤٠٦ •
(١٥٥) الاغاني ج ٦ ص ٧٢ •
(١٥٦) البيان والتبيين • الجاحظ ج ٣ ص ٢٨٩ ط • الاستقامة •

قد وفد على خلفاء بني أمية وامرائهم وقال شعره فيهم ، فأنه لابد ان نسأل: أين هو شعر مروان في خلفاء الدولة الاموية وأمرائها ؟ والجواب هو : كان لمروان بن ابي حفصة شعر في هؤلاء ، ولكن هذا الشعر أصابه الضياع وامتدت أليه يد البلى ولم يصل الينا من شعره الاموي الموثوق به غير بيته الذي ذكر فيه عتق مروان بن الحكم لجده ابي حفصة اذ قال (١٥٧) :

بنو مروان قوم أعتقوني وكلّ الناس بعد لهم عبيد

ونحن نرجّح ضياع شعره في هذا العصر للأسباب الآتية :

١ ــ أن مجموعة كبيرة من اشعاره لمّا تزل مفقودة ، وقد يكون شعره الأموي بين هذه المجموعة التي اضاعتها ايام الخراب والدمار وعبثت بها عاديات الزمن ، ذلك ان أبن النديم في فهرسته يذكر أن شعر مروان نحو ثلاثمئة ورقة تشمل عشرين سطراً » (١٥٨) .

فاذا كان شعر مروان بهذه الكثرة وان الذي تيسرّ لنا جمعه من شعره قد بلغ الستمئة بيت ألا قليلاً ، ظهر لنا مقدار ما فقد من شعره .

٢ ــ أن المدة الباقية من الحكم الأموي منذ مقتل الوليد بن يزيد حتى سقوط الدولة الأموية كانت فترة حافلة بالاحداث الجسام والثورات الداخلية، وقد شغل ولاة الأمور في هذه الفترة بقمع الحركات المناهضة ، وعلى هذا فليس من المعقول أن يعقد الخلفاء والامراء المجالس الادبية وأن يستنشدوا الشعراء الشعر . فهذه الفترة من الحكم الأموي لم تكن فترة سفر واقامة مجالس . ولو فرضنا أن مروان ابن أبي حفصة كان قد قصد القصائد في الأمويين فأن الايام لم تسمح له بالوفود على دمشق لينشد الخلفاء ما قاله

(١٥٧) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٤٢ ط . دار المعارف بمصر .
(١٥٨) الفهرست . ابن النديم ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ط . الاستقامة .

فيهم . ولما كانت هذه الاحداث قد انهت حياة دولة بني أمية ، فقد كان لا بد للشاعر ان يكتم اشعاره هذه ـ وهي لم تذع بعد بين الناس ـ خوفاً من الحكام الجدد .

٣ ـ وربما اغفل المؤرخون ورواة الشعر رواية مجموعة من شعره واضاعوها لسبب من الاسباب .

وحين سقطت الدولة الأموية في الشام قبع مروان بن أبي حفصة في اليمامة ينتظر انجلاء المستقبل عما يفيده ويطمئنه . ومرّت الاعوام الثقال الكئيبة على مروان ، حتى كانت سنة ١٤١ هـ اذ ولى ابو جعفر المنصور معن بن زائدة الشيباني (١٥٩) . وكان معن فارسا شجاعا جواداً جزيل العطاء كثير المعروف ، عاش في ايام بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد ابن هبيرة الفزاري أمير العراقين (١٦٠) . وقد شارك معن يزيد هبيرة في الدفاع عن ملك بني أمية وحين حاصر المنصور يزيد بن هبيرة وصحبه في مدينة واسط أبلى معن في هذا الحصار بلاء حسنا وحين قتل يزيد خاف معن من المنصور فأستتر عنه (١٦١) . وبعد ان تولى المنصور الخلافة جدّ في طلب معن ووضع الجوائز الثمينة لمن يقبض عليه . ولم يظهر معن لأبي جعفر حتى كان يوم الهاشمية اذ هجمت جماعة من اتباع ابي‌مسلم الخراساني سنة ١٤١هـ على ابي جعفر المنصور في مدينة الهاشمية وقد كاد ان يقتل المنصور في هذا اليوم لولا أن تقدّم لنجدته معن وهو معتم متلثم فقاتل قتالاً شديداً حتى فرقهم عن الخليفة وحينئذ قال له ابو جعفر : من انت ؟ فحسر معن عن وجهه

(١٥٩) وفيات الاعيان . ابن خلكان ج ٤ ص ٣٣١ ط . السعادة .
(١٦٠) كذلك .
(١٦١) كذلك .

وقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة » فأمنه المنصور واكرمه[١٦٢].

واشتهر امر معن في اليمن وذاع صيته في الجود والسماحة والبأس وأضحى منتجع الوافدين وملاذ الخائفين ، فقصده الشعراء بعد أن بهرهم نداه الفياض فانقطع اليه جمع من الشعراء كان بينهم مروان بن أبي حفصة أذ اصبح صنيعة صلاته ونفحاته . ويبدو أن جملة اسباب دفعت بالشاعر الى ان يفد على معن وهو في اليمن ، هي :

١ ـ كان مروان محتاجاً الى المال وكان محبًّا له ، فدفعته تلك الحاجة ودفعه هذا الحبّ الى البحث عن معين يغرف منه فهداه تفكيره الى ان يقصد معنا ، فأمّه ووجد عنده الثروة والحظوة .

٢ ـ ان الأمويين في الشام وكان يقصدهم لحاجته الى المال ، قد ذهبوا وادال الله من دولتهم لبني العباس . فكان لابد له ان يبحث عن مرعى خصب فكان هذا المرعى ديوان معن بن زائدة الشيباني .

٣ ـ ان الصلة الوثيقة التي كانت تربط كلا من معن ومروان بن ابي حفصة بالامويين في الايام الغابرة مهّدت امام الشاعر طريق الوصول الى مكان يتوفر فيه الامان والغني .

٤ ـ أن صلة مروان وآله ببني أمية كانت سبباً قويا منع الشاعر من الوفود على بني العباس في أيامهم الاولى ، وهم ما زالوا يطاردون الامويين ومواليهم ، ولهذا آثر مروان الابتعاد عن العباسيين وترك للأيام المقبلة أمر وفوده عليهم .

أما علاقة مروان بمعن فقد كانت حسنة طيبة ، إذ ان مروان مدح معنا بمدائح جليلة تعتبر من آيات المديح العربي ، خلّدت ذكر معن على مرّ

(١٦٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ط ثالثة . السعادة .

الدهور والعصور ، وكان معن يحبوه على هذه المدائح بالنفحات الكبيرة والسخاء الكريم • حتى أن صنيع معن هذا أثار عليه حفيظة ابي جعفر المنصور ، فقد دخل معن يوماً على الخليفة العباسي فقال له المنصور : هيه يامعن : تعطي مروان ابن أبي حفصة مئة الف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت بـــه ... شرفا على شرف بنو شيبـــان

فقال : كلا يا أمير المؤمنين أنما اعطيته على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلمـــا ... بالسيف دون خليفة الرحمـــن

فمنعت حوزته وكنت وقـــاءه ... من وقـــع كـــل مهند وسنان

فأستحيا المنصور وقال : إنما اعطيته ما اعطيته لهذا القول ? قال نعم يا امير المؤمنين ، والله لولا مخافة النقمة منك لامكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته أياها • فقال له المنصور : لله درك من اعرابي : ما اهون عليك ما يعز على الرجال واهل العزم » (١٦٣) • هذه المحاورة بين معن وبين ابي جعفر تظهر مدى الأثر الذي احدثته مدائح مروان في نفس معن كمـــا تكشف عن مكانة الشاعر لدى معن ومقدار عطاياه •

ولست أريد ان اعرض هنا لمديح مروان في معن فلهذا موضعه في غير هذا الفصل ، وقد ظلت علاقة الشاعر بمعن قوية متينة حتى كانت سنة ١٥٢ هـ حين قتل معن بيد الخوارج (١٦٤) ، وبموت معن ذوت آمال مروان وتكدّر صفو هنائه ونعيمه • وبقيت صلة مروان بابناء معن من بعده وثيقة إذ قصدهم ومدحهم بمثل ما كان يمدح به أباهم من قبل ، على أن الذي حظي به مروان عند معن لم يحظ بمثله عند أبنائه من بعده ، فآثر أن يولي

(١٦٣) الاغاني ج ١٠ ص ٨٦ ط • دار الكتب •

(١٦٤) وفيات الاعيان • ابن خلكان ج ٤ ص ٣٣١ ط • السعادة •

وجهه ناحية اخرى ، فبدا له أن يفد على بغداد وكان له ما أراد .

قدوم مروان الى بغداد : — قلنا فيما تقدم إن مروان بن أبي حفصة كان موفور الحظ ، عظيم الجائزة في ديوان معن بن زائدة . ولكن معن مات، واصبح مروان مضطرا الى أن يطرق بابا اوسع وارحب فقرر أن يفد على خلفاء بغداد . وكان اسمه وشعره قد سبقاه الى بغداد منذ عهد المنصور بفضل شهرة معن . وقد كانت رحلة مروان الى مقر الخلافة العباسية في عهد الخليفة محمد المهدي ، وكان المهدي يعرف مروان وهواه الأموي ومدائحه في معن قبل أن يراه .

وفد الشاعر على الخليفة العباسي — المهدي — في الموسم المعين مع جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر ، وبعد أن مثل بين يديه وأنشده مديحه فيه قال له المهدي : ألست القائل (١٦٥) :

أقمنا باليمامة بعد معن مقاما لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال فيما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا جرّوا برجله فجروا برجله حتى أخرج » . كان المهدي — إذن — واجداً على مروان لأنه أجاد المديح في معن كما وجد ابوه المنصور عليه من قبل . وكان المهدي حاسداً لمعن لما قاله فيه مروان من عيون المديح وعيون الرثاء كما غضب المنصور على معن من قبل لأنه اجزل العطاء للشاعر . وبسبب هذا الوجد وهذا الحسد أهان المهدي مروان وحرمه جائزته . ورب سائل يسأل ؟ أيّ قصائد مروان في مدح المهدي أنشدت اول دخول له عليه ؟ ونحن نرجّح ان تكون أولى قصائد مروان في المهدي القصيدة اللامية التي مطلعها :

(١٦٥) الاغاني ج ١٠ ص ٨٧ .

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله   واقصرن عنه حين اقصر باطله

وذلك لسببين : أولهما أن صاحب الاغاني ذكر عن مروان نفسه انه انشد الخليفة المهدي في اول سنة قدم فيها عليه قوله (١٦٦) :

أمر واحلى ما بلا الناس طعمه   عذاب أمير المؤمنين ونائله

فإن طليق الله من أنت مطلق   وأنّ قتيل الله من انت قاتله

كأنّ أمير المؤمنين محمداً   ابو جعفر في كل أمر يحاوله

والبيتان الأول والثاني جزء من القصيدة المذكورة اثبتها الشريف المرتضى في أماليه (١٦٧) .

وثاني السببين : أنّ هذه القصيدة تخلو من هذا النضال السياسي الذي خاضه مروان فيما بعد . ذلك لأن الشاعر لم يكن قبل قدومه الأول الى بغداد قد عرف التيارات السياسية فيها . ولم يكن أيضاً قد عرف طريق الوصول الى رضا الخليفة العباسي إلا بعد زيارته الاولى . وقد مهدّت له هذه الزيارة سبيل الأطلاع على المذاهب الحزبية وعلى المحاجّات والصراع العنيف بين العباسيين الحاكمين وبين العلويين المعارضين لهم وهكذا وجد مروان أنه لن يظفر برضا الخليفة وحظوته وعطاياه إلا اذا سار في الخط السياسي المرسوم ، وإلا اذا تبنى النظرية العباسية في الخلافة ، وقد أهتبل مروان الفرصة ليفيد ويغنم فقرر أن يجند نفسه في خدمة البيت العباسي ، وقبل ان يبدأ رحلته الثانية الى بغداد اعدّ نفسه للانغماس في حياتها السياسية مناضلاً بشعره عن مذهب العباسيين في الحكم ومخاصماً الحزب العلوي

(١٦٦) الاغاني ج ١٠ ص ٨٨ .

(١٦٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٣٢ — ٥٣٣ ط . دار احياء الكتب العربية .

المعارض .

منزلة مروان في بغداد ومنافسة الشعراء له :

توطدت مكانة مروان في بلاط العباسيين بعد ان كافح عنهم بشعره وبعد أن وقف يرد على دعوى العلويين في الخلافة ، وظـل الشاعر أثيرا عند العباسيين طوال خلافة المهدي وخلافة ابنيه الهادي والرشيد من بعده. وفي عهد هارون الرشيد لمع نجم الشاعر وبرزت شخصيته ، وحظي بالدنيـا التي كانت بين يدي هارون . ولأجل أن تتبين حقيقة منزلته عند الرشيد نرجع الى ما رواه الجاحظ في ذلك حيث قال : « اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره : وزراؤه البرامكة ، وقاضيه ابو يوسف ، وشاعره مروان ابن أبي حفصة ، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه ، وحاجبـه الفضل ابن الربيع أنبه الناس واعظمهم ، ومغنيه ابراهيم الموصلي وزوجته بنت عمـه زبيـدة » (١٦٨) .

فهذا الذي حدثنا به الجاحظ يوضح بجلاء مبلغ الحظوة التي نالهـا مروان لدى الخليفة العباسي فهو شاعره المقدم على سواه . ومما يؤيد منزلة مروان الأثيرة عند الرشيد أن الخليفة العباسي كان يصحبه في بعض غزواته لبلاد الروم ليشهد معه انتصارات المسلمين في ثغورهم الشمالية . وهذه المكانة الطيبة التي بلغها مروان في بغداد ، وتلك الجوائز السنية التي فاز بها في عهود المهدي والهادي والرشيد ، اغرت الشعراء فذهبوا مذهب مروان في تأييد العباسيين ليظفروا ببعض ما ظفر به مروان . وقد كانت الغيرة من مروان وكان الطمع بمثل جوائزه من الاسباب المباشرة في دفـع أبان اللاحقي الى الوقوف في صف العباسيين وفي حمله على ان يستحل ما لم

(١٦٨) النجوم الزاهرة . ابن تغري بردي ج ١ ص ١٤٣ ط . دار الكتب

يكن يستحله من قبل فردّ على العلويين وحاجتّهم (١٦٩) . ومثل أبان ، فعل منصور بن سلمة النمري اذ أظهر العباسية طمعا بمال العباسيين وهو المعروف بتشيّعه للعلويين (١٧٠) .

واتخذت المنافسة بين مروان بن ابي حفصة وبين سلم الخاسر شكلا ظاهرا مكشوفا ، اذ كان كلّ واحد منهما يفخر على الآخر بالجائزة الكبيرة التي ينالها ويظهر شماتته بالآخر .

ولسلم الخاسر في ذلك أبيات بعثها الى مروان توضح هذه المنافسة بينهما ، وهي قوله (١٧١) :

من مبلغ مروان عني رسالة | مغلغلة (١٧٢) لا تنتهي في لقائكا
حباني امير المؤمنين بنفحة | ثمانين ألفا طأطأت من حبائكا (١٧٣)
ثمانين الفا نلت من صلب ماله | ولم تك قسما من أولي وأولئكا

فهذه الأبيات تصور لنا سلما الخاسر مزهوا بهذه النفحة الكبيرة التي حازها من صلب مال الخليفة العباسي ، وتظهره مباهيا مروان بهذه الجائزة التي قبضها دفعة واحدة ولم تكن مجزّأة ، كل جزء من معط ومن واهب .

وأما مروان بن ابي حفصة فقد نقض على سلم أبياته المتقدمة وردّ عليه ردّاً عنيفاً اتسم في بعضه بطابع الهزء والسخرية ، قال مروان (١٧٤) :

أسلم بن عمرو قد تعاطيت خطة | تقصر عنها بعد طول عنائكا

(١٦٩) أخبار الشعراء . الصولي ص ١٣ ــ ١٤ ط . الصاوي .
(١٧٠) الاغاني ج ١٠ ص ١٤١ ط . دار الكتب .
(١٧١) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٨٥ ط . السعادة .
(١٧٢) رسالة مغلغلة : محمولة من بلد الى بلد .
(١٧٣) الحباء : العطية .
(١٧٤) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٨٥ .

وإني لسباق أذا الخيل كلتفت   مدى مائة او غاية فوق ذلكا
فدع سابقاً أن عاودتك [١٧٥] عجاجة   سنابكه اوهين منك سنابكا
رأيت امرءاً نال السها [١٧٦] فحسدته   فلم يبق إلا أن تموت بدائكا
طلبت من المهدي شطر حبائه   فقال لك المهدي لست هنالكا
فما اعولت أم علي ابن ولا بكى   على يوسف يعقوب مثل بكائكا
عضضت على كفيك حتى كأنما   رزئت الذي أعطيت من صلب مالكا
حبيت باوقار [١٧٧] البغال وانما   سراب الضحى ما تدّعي من عطائكا
وما نلت حتى شبت ألا عطية   تقوم بها مصرورة في ردائكا
وما عبت من قسم الملوك لشاعر   به خص عفواً من أولى واولئكا
واقسمّ لولا ابن [١٧٨] الربيع ورفده   لما ابتلت الدلو التي في رشائكا [١٧٩]

فمروان فاخر سلما الخاسر بأنه سبقه في المكانة الرفيعة والجائزة الكبيرة، وان سلما إنما حسد مروان لأنه نال النفحات العظيمة ، ثم ردّ على سلم ما كان عيّره به وهو أخذه جائزة الخلفاء مقسمة مجزأة • فقال : إن ذلك خصّ به عفواً • وقد صور لنا مروان سلما نكد الحظ يندب حظه المشؤوم مع المهدي الذي حبس عليه شطر حبائه ، فراح الخاسر يعول بأحر مما تفعله الأم الثكلى ، وباشد مما فعله يعقوب على ابنه يوسف • وهزيء مروان بسلم فيما أدعاه من عطاء المهدي له فشبه عطيته بسراب الضحى الخادع اذ أن سلما لا ينال غير العطية الصغيرة المصرورة ينفحه إياها الفضل بن الربيع •

(١٧٥) اخذتك فكرة حمقاء للمفاخرة بالعطاء •
(١٧٦) كوكب خفي من بنات نعش الصغرى كثير الارتفاع •
(١٧٧) اوقار واحدها وقر : حمل ثقيل •
(١٧٨) حاجب الرشيد •
(١٧٩) الرشاء : الحبل •

انّ هذه المناقضة بين مروان وسلم الخاسر توضّح لنا مبلغ المنافسة بين الشعراء من اجل العطايا والصلات .

وبرغم هذه المنافسة الشديدة التي تعرّض لها مروان من قبل الشعراء فأن مكانته عند الرشيد وجائزته منه لم تتأثرا بذلك . فقد دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر ومنصور النمري على الرشيد فأنشده مروان قصيدته التي قال فيها :

انى يكون وليس ذاك بكائن   لبني البنات وراثة الاعمام

وانشده سلم :

حضر الرحيل وشدت الاحداج (١٨٠)   وحدا بهنّ مشمر مزعاج (١٨١)

وانشده منصور :

ان المكارم والمعروف أودية   احلتك الله منها حيث تجتمع

فأمر الرشيد لكل واحد منهم بمئة الف درهم ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : يا امير المؤمنين مروان شاعرك خاصة قد الحقته بهم ؟ قال : فليزد مروان عشرة آلاف (١٨٢) » .

فهذه الالتفاتة من قبل يحيى ما كانت لتصدر عنه لو لا أنه عارف بمكانة مروان الأثيرة عند الخليفة الذي بادر الى تقديمه على الشاعرين بالجائزة .

وقد اشار مروان الى ما تعرض له من حسد الشعراء وغير الشعراء فقال : (١٨٣)

---

(١٨٠) أحداج واحدها حدج : الحمل .

(١٨١) الشطر الثاني من تاريخ بغداد . البغدادي ج ٩ ص ١٣٧ .

(١٨٢) العقد الفريد . ابن عبد ربه ج ١ ص ٣٥٩ ط . لجنة التأليف والنشر .

(١٨٣) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٤٧ ط . دار المعارف بمصر .

ما ضرّني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

فالشاعر لم يلتفت الى اولئك الذين حسدوا عليه نعمته ، لأنهم قصروا عن اللحاق بفضله وبمكانته • ومرة أخرى قال (١٨٤) :

وحسدت حتى قيل اصبح باغيــا في المشي مترف شيمة مختالهــا

ولو لم يكن مروان رفيع المنزلة اثير المكانة في بلاط العباسيين لما داخل الحسد قلوب أقرانه ومنافسيه •

وفاة مروان بن أبي حفصة : كان الموقف السياسي الذي وقفه مروان في تأييد العباسيين ومناصرتهم من جهة ، وفي الردّ على العلويين من جهة أخرى سبباً مباشراً في القضاء عليه • ذلك ان احد العلويين وهو صالح بن عطية الاضجم قد اغضبه كما اغضب كل العلويين بيت مروان :

انى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام

فقد عاهد هذا العلوي الله على أن يقتل الشاعر انتقاما منه لموقفه المعادي للعلويين • وقد استطاع صالح بن عطية أن يخادع مروان بما اظهر له من لطف وصحبة طيبة حتى انس به ولازمه طوال وقته ، حتى انه كان يكتب لمروان اشعاره بعد أن اختص به • وقد خدع بنو حفصة أيضاً بهذه الصحبة وبهذه الصلة المتينة التي ربطت بين مروان وبين الاضجم • وانتظر صالح بن عطية الأضجم الفرصة المواتية لتنفيذ ما عاهد الله عليه ، حتى إذا مرض الشاعر من حمى اصابته انتهز الاضجم العلوي ذلك فزاد من لطفه نحو مروان ومن ملازمته له حتى إذا خلا بالشاعر ذات يوم وثب عليه وأمسك بحلقه ولم يتركه حتى قضى عليه ، ثم تركه جثة باردة وخرج • ولم يعد صالح بن عطية حتى ارتفعت صيحات اهل الشاعر بالبكاء والعويل فتباكى ابن عطية

(١٨٤) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٠ •

واظهر الجزع مع الباكين والجازعين ، ولم يفطن اهل مروان بما كان دبره صالح هذا (١٨٥) . وسواء كانت هذه الحكاية عن وفاة مروان صحيحة أم غير صحيحة، فإن وفاته كانت في أيام الرشيد، وقيل إنه جاوز الثمانين من العمر (١٨٦) ولكن هـذا القول لا يمكن التسليم به ذلك ان مولد الشاعر كـان سنة ١٠٥ هـ (١٨٧) والروايات التي بين أيدينا حددت تاريخ وفاة الشاعر بين سنتي ١٨١ هـ ــ ١٨٢ هـ ، وعلى هذا يكون الشاعر قد عمّر ستاً وسبعين سنة أو يزيد قليـلا . فالجاحظ يقول : إنـه مات سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ للميلاد (١٨٨) ويروي المرزباني في معجمه ان وفاة مروان كانت في شهر ربيع الاول سنة ١٨٢ هـ وانه دفن في مقابر نصر بن مالك الخزاعي وهي المعروفة بالمالكية (١٨٩) .

وعن ادريس بن سليمان بن أبي حفصة أنه قال : ان وفاة مروان كانت سنة ١٨١ هـ (١٩٠) . وقد جعل ابن الأثير في كامله هذه السنة كذلك تأريخا لوفاة الشاعر (١٩١) . أما ابن خلكان في وفياته فلم يحدد أحد هذين التأريخين لوفاة مروان وإنما قال : توفي ــ يريد مروان ــ سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٢هـ

(١٨٥) الاغاني ج ١٠ ص ٩٥ ط . دار الكتب .

(١٨٦) (١٨٧) معجم الشعراء . المرزباني ص ٣١٧ ط . دار احياء الكتب العربية .

(١٨٨) البيان والتبين . الجاحظ ٣ / ٢٨٩ .

(١٨٩) معجم الشعراء المرزباني ٣١٧ .

(١٩٠) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ١٤٥ ط . السعادة .

(١٩١) الكامل . ابن الاثير ج ٥ ص ١٠٦ ط . المنيرية .

ودفن في مقبرة نصر بن مالك الخزاعي [١٩٢] .

والملاحظ ، أن الروايات الكثيرة التي حدثتنا عن وفاة مروان لاتختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً في تحديد سنة وفاته . فاذا لم يكن هلاك الشاعر في أواخر سنة ١٨١ هـ اذ انه دخل على الرشيد يوم الاحد لثلاث خلون من شهر رمضان من هذه السنة [١٩٣] فانه في أوائل سنة ١٨٢ هـ كما ذكر المزرباني ، واذا عرفنا أنه لم يحدث في هذه الفترة أمر ذو خطر في حياة مروان او في شعره ، فليس من المهم جداً ان نجزم بأحد هذين التأريخين .

(١٩٢) وفيات الأعيان . ابن خلكان ج ٤ ص ٢٧٩ ط . اولى . السعادة
(١٩٣) الطبري ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .

الفصل الثاني

أثر الحالة السياسية في شعر مروان :

إن انقسام الهاشميين الى علويين وعباسيين أدى الى أن يكون لكل من الحزبين شعراؤه المدافعون عن رأيه في الخلافة . فقد كان للشعر وما زال أثر كبير في استنهاض الهمم واستحثاث العزائم لتأييد الحركات السياسية ولمؤازرة الثورات الاجتماعية . ذلك ان الشعر اعمق أثراً في النفوس ، وانجح اسلوباً في اثارة العواطف وتهييجها ، وهو بعد كل ذلك أسرع انتشاراً في الآذان . ومن اجل هذا كله استخدم الحاكمون في كل زمان هذا الفن الجميل لتحقيق اغراضهم واطماعهم السياسية والاجتماعية . وقد كان للشعر السياسي أثر خطير في حياة الامة الاسلامية منذ وفاة النبي (ص) حتى عصرنا الحديث. فقد استخدمه الامويون لتوطيد اركان دولتهم ولتمكين السيادة لهم . ثم جاء العباسيون بعدهم فاستغلوا الشعر ايضاً لتثبيت اسس ملكهم ولتأييد نظريتهم في الخلافة التي تقوم على اساس انهم اولى من العلويين بوراثة النبي العظيم ، والرد على المعارضة العاوية لحكمهم . ومن اجل تحقيق هذه الغايات ابتاعوا الضمائر بالمال الوفير واصطنعوا الشعراء ، وأطلقوا لألسنتهم الأعنة للدفاع عن حكمهم . وطمع الشعراء بجوائز العباسيين السنية وبنفحاتهم الكبيرة فأندفعوا في تأييدهم أيما اندفاع ، وحاجوا العلويين وناظروهم . وكان مروان بن أبي حفصة ومنصور النمري وابان اللاحقي اشهر من نادي من شعراء هذا العصر بالحق العباسي في وراثة الخلافة بعد النبي (ص)

دون العلويين .

وربما قام هنا سؤال هو : كيف اندفع مروان في تأييد العباسيين وهو معروف بولائه الاموي ؟ ونحن نقول : لم يكن مروان بن أبي حفصة ومن لف لفه من الشعراء مخلصين في عباسيتهم . لأن هذه العباسية لم تكن عقيدة صادقة متأصلة في نفوسهم ، فأندفاعهم الظاهر في مؤازرة اولي الأمر لم يكن مبعثه الايمان القلبي الراسخ ، ولكن هؤلاء الشعراء وجدوا سوق النفاق والخداع نافقة فدخلوها يخادعون وينافقون . ويحسن بنا ان نتبين حقيقة هذا التعصب الذي اظهره مروان للعباسيين ، فقد مرّ بنا فيما تقدم أن مروان بن أبي حفصة درج في بيت معروف بموالاة بني مروان بن الحكم. وان الولاء الذي كان يربط بين اسرة الشاعر وبين المراونيين في الشام تمتد جذوره الى ما قبل قيام دولة بني أمية . ونحن نذكر جيدا الصلة المتينة التي كانت تربط بين عبد الملك بن مروان وبين يحيى جد الشاعر ، وبين مروان ابن الحكم وبين أبي حفصة جد الشاعر الاكبر قبل ذلك . وهذا يعني ان ولاء مروان للامويين عميق الجذور شديد التأصل في نفسه . ويتجلى صدق ولاء الشاعر لبني أمية في اننا لا نجد في شعره ما يمس الأمويين من قريب أو من بعيد فهو لم يشر مثلاً الى ان الامويين اغتصبوا الخلافة من بني هاشم كما انه لم يحاول التقرب الى العباسيين بأن يعرض ببني امية وبأن ينعى عليهم سياسة القسوة والعنف التي اتبعوها تجاه المعارضة الهاشمية . فشعر مروان بن أبي حفصة يخلو من كل هذا خلواً تاماً . بل اننا نجده على العكس من هذا يكني نفسه بـ « اخو أمية » في رثائه لمعن بن زائدةالشيباني حين قال :

حبـــاك أخو أميـــة بالمراثي مع المدح اللواتي كان قالا [١]

واذن نقد كان مروان امويا ، ولكن اقراره بواقع الحال وطمعه بأموال العباسيين دفعاه لأن يقف هذا الموقف .

هذا الذي تقدّم يقوّي اعتقادنا بأن مروان لم يكن مخلصاً لعباسيته قدر اخلاصه لسادته بني امية . ذلك أن مروان لاتربطه ببني العباس صلة ولاء قديمة ، ولا يجمعه واياهم نضال مشترك من أجل عقيدة معينة . وقد كان ذهاب الدولة الأموية وموت معن بن زائدة وحاجة مروان الى المال هي الدوافع الحقيقية التي أدت الى ان يشد الشاعر حبال رحله صوب بغداد . وفي بغداد وجد في التناحر السياسي القائم بين العلويين والعباسيين اسهل الطرق وأقربها الى بلوغ غايته وهي الحصول على العطايا والهبات . ولهذا نجد الشاعر ينتفض عباسيا متطرفا أكثر من العباسيين انفسهم . وفي خلال فترة قصيرة اصبح مروان شاعر العباسيين انفسهم وفي خلال فترة قصيرة اصبح مروان شاعر العباسيين غير منازع . واضحى مذهبه في مناصرة بني العباس والرد على ابناء علي مذهباً سياسيا معروفا اقتدى به الكثيرون من الشعراء . ولم يكن مروان ــ كما قلت ــ من شعراء الاحزاب السياسية الذين يزهدون بمغريات الحياة من أجل مبدئهم السياسي وعقيدتهم الراسخة ، وانما كان شاعراً أحسن انتهاز الفرصة فكسب المال الذي احبه اكثر من حبه لبني العباس . وكان موقفه من العباسيين موقف انسان اقرّ بالأمر الواقع فدار مع الايام ووجد في ذلك مغنما فأندفع في تأييد العباسيين اندفاعهم في عطائه .

أما موقف مروان المعروف من العلويين ، فقد سئل الشاعر نفسه عنه

---

(١) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ٢٤١ ط . السعادة بمصر .

فأجاب : بأن الذي حمله على هذا الموقف لم يكن بغضاء لهم [٢] • واذا لم يكن بغض العلويين سبب هذه الخصومة العنيفة ، فما هي الدوافع التي ادت به الى ان يقف هذا الموقف منهم ؟ وما اظن الاجابة عن ذلك بالامر العسير ، فهذه الدوافع التي لم يشأ مروان ان يصرح بها حين سئل عنها قد تنحصر فيما يأتي :

١ ــ ان موقف مروان المعادي للعلويين ما هو إلا امتداد طبيعي لمواقف آله من البيت العلوي • تلك المواقف التي أملتها عليهم موالاتهم الشديدة لبني أمية ، فالعداء المستحكم بين العلويين والامويين اوجب النفرة بين مواليهما واشياعهما •

٢ ــ كان العلويون اول الساعين والمضحين في سبيل هدم دولة بني امية أسياد الشاعر واولي نعمته • وحين نجحت الثورة الهاشمية استأثر العباسيون بالخلافة دون العلويين ثم قسوا عليهم وبطشوا بهم ، ولهذا انتهز مروان الفرصة فناصر اعداء العلويين لأن هؤلاء كانوا السبب المباشر في اسقاط دولة اسياده ومواليه ، وليسرّي ــ بعد ذلك ــ عن نفسه الشامتة بمصير العلويين الذي انتهى افضع نهاية على يد بني عمهم العباسيين •

٣ ــ وبعد أن سقطت الدولة الأموية في الشام ، وبعد أن مضى معن ابن زائدة لسبيله ، اضحى مروان ــ وقد انقطعت به سبل الحياة ــ مضطراً الى القدوم على بغداد • ولما كان الخلفاء العباسيون يريدون من الشاعر أن يصل مدحه فيهم يتبنّي نظريتهم الدينية والسياسية في الخلافة وان يدافع عنها ، وان يرد دعوى العلويين فيها ، فقد اضطر مروان ــ وهو الطامع بأموال بني العباس ــ الى ان يحطب بحبل العباسيين وان يسلك هذا المسلك

(٢) تاريخ بغداد البغدادي ج ١٣ ص ١٤٢ •

الذي نهجه حتى بعض الشعراء المتشيعين كأبان اللاحقي ومنصور النمري • واذن فقد كان مروان في حاجة الى عطاء بني العباس كما كان بنو العباس في حاجة الى من يناصرهم على العلويين • وقد كانت القرابة من النبي (ص) مدار الجدل والنقاش بين العلويين والعباسيين في هذا العصر بعد تجدد الصراع من أجل الخلافة بين بني العمومة ، واذا كان كل من العلويين والعباسيين يدعي بأنه احق من الآخر بالخلافة بحجة انه اقرب رحما للنبي الكريم ، فقد كان على الشعراء الذين أخذوا انفسهم بالدفاع عن الحزبين المتناصرين أن يدوروا حول نظرية القرابة وهي : آلعلويون اقرب رحما للنبي ام العباسيون؟ وكان على الشعراء في سبيل ذلك أن يدعموا حجتهم بما يستنبطونه من القرآن الكريم لأنه المصدر المعول عليه في احكام الوراثة الاسلامية • وكان مروان ابن أبي حفصة اول شاعر عباسي استعان بالقرآن واقتبس منه ما يتفق ومذهب العباسيين في وراثة الخلافة ونجد هذا في قصيدته اللامية المشهورة التي ألقاها امام المهدي ومطلعها : (٣)

طرقتك (٤) زائرة فحيّ خيالهـــــا   بيضاء تخلط بالجمـــال دلالهـــا
قادت فؤادك فاستقاد ومثلهـــــا   قاد القلوب الى الهوى فأمالهـــا

وبعد ان أطمأن الشاعر الى انه ملك على الحاضرين قلوبهم بجودة لفظه وقوته ، وانه حاز اعجابهم بجزالة أسلوبه وصفاء ديباجته ، وانه تمكن من قياد نفوسهم اليه تحول بعنف المهاجم وقوته الى الموضوع السياسي فحاج العلويين في دعواهم في وراثة الخلافة وأيّد حق العباسيين فيها متخذاً من القرآن الكريم سنداً ودعما ، اما ابياته التي علقت انظار الناس به وأثارت

(٣) الاغاني ج ١٠ ص ٨٧ ط • دار الكتب •
(٤) طرق يطرق القوم : اتاهم ليلاً •

اعجاب المهدي وهو مبهور بما سمع ، وجعلته يزحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط وهو مأخوذ بها فهي قوله : (٥)

هل تطمسون من السماء نجومها   بأكفكم ام تسترون هلالها ؟
او تجحدون مقالة عن ربكم   جبريل بلّغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر اية   بتراثهم فأردتم ابطالها

بهذه القصيدة الرنانة دخل مروان المعركة السياسية وخاضها بنباهة وقوة ، مستخدماً البرهان من القرآن الكريم لتأييد حق بني العباس في الخلافة . ذلك انه أشار في بيته الاخير الى قوله تعالى « وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وقد احتج مروان بهذه الآية ليظهر ان العباسيين أولى رحماً للنبي العظيم من العلويين لأن العباسيين بنو عم النبي وان العلويين اسباطه والعم اقرب اليه من الاسباط .

وقد استطاع مروان بعد هذا الموقف أن يصبح شاعر العباسيين المقرب ولسانهم السياسي اذ اندفع بحماس ذي العقيدة المتأصلة يؤازر العباسيين ويخاصم العلويين .

ويوم عقد المهدي البيعة لأبنه موسى الهادي وقف مروان وانشده قوله : (٦)

يا ابن الذي ورث النبي محمدا   دون الأقارب من ذوي الارحام
الوحي بين بني البنات وبينكم   قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة   نزلت بذلك سورة الانعام (٧)

(٥) الاغاني ج ١٠ ص ٨٧ .
(٦) العقد الفريد . ابن عبد ربه ج ١ ص ٣٥٩ ط . لجنة التأليف والنشر
(٧) ليس في سورة الانعام آية واحدة تتحدث عن الوراثة .

انى يكون وليس ذلك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام
الغى سهامهم الكتاب فحاولوا ان يشرعوا فيها بغير سهام
ظفرت بنو ساقي الحجيج (٨) بحقهم وغررتم بتوهم الاحلام

فمروان بن أبي حفصة ذهب في ابياته المتقدمة الى أنّ بني العباس اولى بأرث النبي (ص) لأنهم ابناء عمه العباس والعم احق بأرث ابن أخيه من أبناء بنته فاطمة . وانى يكون لهؤلاء الابناء ان يرثوا النبي (ص) كوراثة اعمامه له . واذن فالعباسيون قد ظفروا بحقهم الذي يؤيده الكتاب الكريم ، اما العلويون فانهم قد غرتهم احلامهم فراحوا يطالبون بأرث النبي (ص) ويدّعون احقيتهم بالخلافة وليست لهم فيها سهم .

اما بيت مروان :

انى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام

فقد نال رضا بني العباس وحاز اعجابهم اذ ان الشاعر صاغ فيه نظريتهم في الخلافة صياغة شعرية فقهية محكمة ، ولكنه من جهة ثانية أثار على الشاعر حفيظة العلويين اذ سخطوا عليه ولعنوه وأضمروا له العداء ومازالوا يتربصون به حتى قتلوه بسببه كما مرّ بنا فيما تقدم . ولم يقف العلويون عند حدود الغضب والسخط واللعنة وانما انبرى لمروان شاعرهم محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلبي فنقض عليه ابياته بنفس اسلوبه البرهاني فقال : (٩)

لِمْ لا يكون وان ذاك لكائن لبني البنات وراثة الأعمام
للبنت نصف كامل من ماله والعم متروك بغير سهام

---

(٨) يريد العباس بن عبد المطلب لأنه تولى سقاية الحجيج في الجاهلية .
(٩) الاغاني ج ١٠ ص ٩٥ ط . دار الكتب . وتروى لجعفر بن عفّان الطائي .

ما للطليق [١٠] وللتراث وانما　　　صلى الطليق مخافة الصمصام

فبنو البنات في رأي التغلبي يرثون كالاعمام لأن للبنت نصيبا في ميراث ابيها قد يكون نصفه احياناً لقوله تعالى « فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف » وعلى هذا الاساس فالبنت قد تحوز نصف الارث ويترك العم بغير سهام ، ولم يكتف محمد بن يحيى التغلبي بهذا الرد حسب ، وإنما راح يعير العباسيين بأن جدهم العباس كان من الطلقاء ، واذا كان كذلك فما له ووراثة الخلافة وهو الذي اظهر الأسلام — كما زعم التغلبي — خوفاً من السيف المسلط وليس ايماناً بالأسلام ؟

وقد وقع عند المبرّد ان مروان بن أبي حفصة اخذ بينيه :

اني يكون وليس ذاك بكائن　　　لبني البنات وراثة الأعمـــام

الني سهامهم الكتاب فحاولوا　　　ان يشرعوا فيهـــا بغـير سهام

من بيتي مولى تمّام بن العباس بن عبد المطلب كان خاطب بهما عبيدالله ابن ابي رافع مولى النبي (ص) الذي اتى الحسن بن علي وقال له:انا مولاك فغضب مولى تمام من قولة عبيد الله هذه وقال يخاطبه معنّفاً

جحدت بني العباس حقّ أبيهم　　　فما كنت في الدعوى كريم العواقب

متى كان اولاد البنات كوارث　　　يحوز ويدعى والدا في المناسب [١١]

وقد عزا المبرد ما ذهب اليه الى ان احد الثقفيين انشد مروان بن ابي حفصة البيتين المتقدمين فأغار مروان على معناهما • وقد يكون ما رآه المبرد صحيحة ومع ذلك يبقى للشاعر الفضل في هذه الصياغة المتينة ، وفي هذا

---

(١٠) يريد العباس بن عبد المطلب لأنه كان من أسرى بدر ثم اطلقه الرسول (ص) •

(١١) الكامل المبرد ج ٢ ص ٤٣٧ ط • البابي الحلبي •

الاسلوب الجزل والأداء الحسن •

واذا لم يكن هذان البيتان المنسوبان لمولى تمام بن العباس مصنوعين لغرض سياسي ، وانهما قد قيلا حقاً بعد وفاة النبي الكريم بفترة من الزمن ، فنحن نذهب الى ان أبا جعفر المنصور قد سبق مروان بن أبي حفصة في الاشارة على معاني هذين البيتين ، وانه ضمّن هذه المعاني رسالته الى محمد بن عبد الله العلوي (١٢) فمن معاني المنصور التي يمكن ردّها الى البيت الثاني قوله مخاطباً « ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ولا كالعصبة والأولياء لأن الله جعل العم أبا وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا » وقوله ايضاً « ولكنكم بنو بنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الأمامة فكيف تورث بها » (١٣) فهاتان العبارتان اللتان احتج بهما المنصور على « النفس الزكية » شرح مفصل للبيت الثاني من بيتي مولى تمام بن عبد المطلب وهو قوله :

متى كان اولاد البنات كوارث   يحوز ويدعى والدا في المناسب

فالوارث الذي يحوز الميراث ويدعى والدا في المناسب إنما هو العم وهو يريد به هنا العباس عم النبي (ص) وأراد بأولاد البنات الذين لا يجوز لهم ان يرثوا كوراثة العم ، ابناء فاطمة الزهراء •

وظل العباسيون متمسكين بحجتهم القائمة على اساس ان العم اقرب

---

(١٢) هو المعروف بالنفس الزكية وقد ثار على المنصور داعياً لنفسه بالخلافة فكتب اليه المنصور يخوّفه مغبة خروجه وقد كتب (النفس الزكية) الى المنصور كتاباً اشار فيه الى انه احق بالخلافة من المنصور ومما جاء فيه قوله (فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم بهذا الحق بنا • وخرجتم بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإنّ اباتا علياً كان الوصي وكان الامام فكيف، ورثتم ولايته وولده احياء) •

من الأسباط مدة نزاعهم مع العلويين من اجل الخلافة ، فهذا ابن المعتزالعباسي يخاطب بعض العلويين فيقول : : (١٤)

فأنتم بنو بنته دوننـــا ونحن بنو عمـــه المسلم

وهو يشير هنا الى أن جد العلويين أبا طالب مات دون ان يستجيب للدعوة المحمدية بينما استجاب لها العباس بن عبد المطلب ، واستجابة العباس هذه مفخرة عباسية أشار اليها المنصور في رسالته الى « النفس الزكية » ويرى صاحب « معاهد التنصيص » ان ابن المعتز انما أخذ بيته المتقدم من قول مروان : (١٥)

خلوا الطريـق لمعشر عاداتهم حطم المناكب يوم كـل زحام
أرضوا بما قسم الاله لكم به ودعوا وراثة كل اصيد(١٦) سامي
انى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمـــام

أما مروان بن أبي حفصة فإنه ظل يردد في مدائحه للخلفاء العباسيين دفاعه عن حق بني العباس في وراثة الخلافة دون العلويين ، بعد ان عرف انه لن يكسب رضا الخليفة العباسي الا بأن يقرن مديحه له بالدفاع عن هذا الحق. وانه لن يظفر بالهبات والصلات إلا بأن يرد على العلويين ويحاججهم فيحجهم. ولما كان غرض مروان ان يظفر بالدنيا التي بين يدي الخليفة العباسي ، فأنه لم يترك فرصة مواتية إلا دافع فيها عن الملك العباسي وعرّض بالمطالبة

(١٣) الطبري ٦ / ١٩٨ / ١٩٩ الاستقامة .
(١٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : عبد الرحيم العباسي ج ٢ ص ٢٤ ط . السعادة .
(١٥) معاهد التنصيص : عبد الرحيم العباسي ج ٢ ص ٢٤ .
(١٦) صيد يصيد صيدا : رفع رأسه كبراً فهو اصيد . والاصيد الملك او الأسد .

العلوية .

وحين تولى الرشيد الخلافة بعد أبيه محمد المهدي ، استطاع مروان ان يظفر برضا الخليفة الجديد ، ونال عنده مكانة اثيرة لم يظفر بمثلها في عهد ابيه . ومدح الرشيد ووصل مديحه بأقرار الحق العباسي وبأن الرشيد هو الوارث للخلافة بعد النبي (ص) لأن أباه العباس ولي النبي دون سائر قريش وبني هاشم ، وان الخلافة انما انتهت الى بني العباس لأنهم اهلها واصحابها الشرعيون ، وفي هذا المعنى قال مروان يخاطب الرشيد . (١٧)

على ثقة القت اليـك أمورها　　قريش كما ألقى عصاه المسافر

أمور بميراث النبي وليتهـا　　فأنت لها بالحزم طاوٍ وناشر

اليكم تناهت فأستقرت وانما　　الى أهـله صارت بهن المصاير

ابوك ولي المصطفى دون هاشم　　وان رغمت من حاسديك المناخر

وهذا الذي قاله مروان للرشيد عن حقه في وراثة الخلافة كان قاله لأبيه المهدي من قبل ، وماذا ننتظر من الشاعر من جديد في موضوع « وراثة الخلافة » وهو موضوع محدود الجوانب والمعاني وليس للشاعر إلا ان يجدد في قالبه الشعري وفي اسلوبه والفاظه للتأثير في الخليفة العباسي وبمن انجرفوا في تيار السياسة العامة للدولة .

قلنا : ان مروان لم يترك فرصة الا استغلها للدفاع عن العباسيين تجاه المعارضة العلوية والتأكيد على احقيتهم بأرث الرسول العظيم . وها هو الشاعر يشير الى هذا الحق في قصيدة مدح بها الفضل بن يحيى البرمكي — قائد الرشيد — فقال (١٨) :

(١٧) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .

(١٨) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٦٢ .

ما الفضل الا شهاب لا افول له   عند الحروب اذا ما تأفل الشهب.(١٩)
حامٍ على ملك قوم غرٌّ سهمهم   من الوراثة في ايديهم سببُ
امست يد لبني ساقي الحجيج بها   كتائب ما لها في غيرهم أرب
يقارعون عن القوم الذين هم   اولى باحمد في القرآن إنْ نسبوا

فالفضل البرمكي اذن ، إنما يدافع عن ملك العباسيين وهم قوم غرٌّ أمجاد سهمهم في ارث النبي (ص) اساس توليهم خلافة المسلمين دون سائر الناس لانهم اذا نسبوا الى رسول الله كانوا اقرب الناس اليه بحكم القرآن الكريم ، وما اظن الشاعر اشار الى غير الآية الكريمة « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وهي آية سبق لمروان ان اشار اليها في ابيات مرت بنا .

هكذا دافع مروان عن الحق العباسي في وراثة الخلافة ، وبهذا الاسلوب نفى دعوى العلويين بانهم اولى بالخلافة من بني العباس . وقد اضحى موقف مروان المؤيد للعباسيين ومذهبه القائم على اساس الدعوى للعباسيين وتاييدهم والرد على العلويين قدوة اقتدى بها شعراء آخرون طمعوا بأموال الرشيد ، وحسدوا مروان على ما كان يقبضه من بني العباس ثمنا لموقفه السياسي هذا . وكان منصور بن سلمة النمري المعروف بتشيعه للطالبيين واحدا من اولئك الذين نهجوا نهج مروان ، وقد كان النمري ـ أول امره ـ مصافيا للبرامكة منقطعا لهم (٢٠) . وهم الذين مهدوا له سبيل الوصول الى بلاط الرشيد بعد ان عرف مذهب الخليفة في الشعر ، وهو ان يصل الشاعر مديحه للخليفة بالدفاع عن العباسية والرد على الدعوى العلوية فيها .

---

(١٩) الشهب واحدها الشهاب وهو الكوكب المضيء .
(٢٠) الاغاني ج ١٣ ص ١٤١ ط . دار الكتب .

وكان هذا هو المذهب الذي سلكه مروان بن ابي حفصة من قبل • ولم يكن امام النمري الا ان يطرق المعاني التي افاض فيها مروان والتي تدور حول ارث النبي (ص) واي الحزبين المتنازعين اولى به وفي هذا المعنى قال منصور في حضرة الرشيد : (٢١)

فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور

وان قالوا بنو بنت فحق وردّوا ما يناسب للذكور

وما لبني بنات من تراث مع الاعمام في ورق الزبور

فمنصور بن سلمة في ابياته المتقدمة يتحدث عن فضل الرشيد على العلويين ، ثم يحتج بان الاعمام احق بالوراثة من الاسباط • وهو بذلك يحطب بالحبل الذي حطب به مروان بن ابي حفصة من قبل ، فهذا المعنى سبقه اليه شاعرنا في قصيدته الميمية التي اثبتنا قسماً منها فيما تقدم •

ودخل النمري مرة اخرى على هارون الرشيد فمدحه بانه ابن الاوصياء والأئمة وبان العباس بن عبد المطلب احق بني هاشم في وراثة الخلافة بعد النبي (ص) وانه لولا ابو بكر وعمر بن الخطاب لما انتقلت الخلافة الى بني امية فتمتعوا بخبراتها ، وانتهى اخيرا الى القول : بان العم أولى من ابن العم بميراث النبي (ص) : (٢٢) •

يا بن الأئمة من بعد النبي ويا ابـــن الاوصياء اقرّ الناس أم دفعوا

(٢١) كذلك ج ١٣ ص ١٤٣ •

(٢٢) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ط • دار المعارف بمصر •

(٢٣) يريد عمر بن الخطاب لأنه من عدي •

لولا عدي [٢٣] وتيم لم [٢٤] تكن وصلت
الى أمية تمريهـــا [٢٥] وترتضــــع

انّ الخلافــة كانت أرث والدكم من دون تيم وعفو الله متســــع
وما لآل عــلي في امارتـــكم حق ومالهم في ارثـــكم طمع
يا أيها الناس لاتغرب [٢٦] عقولكم ولا تضفكم الى اكنافهــا البدع
العمّ اولى من ابن العم فاستمعوا قول النصيح فإن الحق مستمــع

واستعان النمري ــ كما فعل مروان من قبله ــ بالقرآن الكريم فاستنبط بعض معانيه من آياته المحكمات ومن ذلك قوله يردّ على دعوى العلويين انهم ابناء رسول الله (ص) : [٢٧]

إلا لله درّ بني علـــي وزور من مقالتهم كثـير
يسمّون النبي ابا ويأبى من الاحزاب سطر في سطور

وهو يشير بذلك الى قوله تعالى في سورة الاحزاب « ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شي عليما » وقد سبق ابو جعفر المنصور في ردّه على رسالة محمد بن عبد الله العلوي التي تقدم ذكرها النمريّ في الرد على دعوى العلويين من هذه .

وإذا كان لمروان عذر في تأييد العباسيين والرد على العلويين لأنه أموي الهوى مرواني الموالاة ، فليس لمنصور النمري أي عذر في موقفه المؤيد للعباسيين ذلك لأنه معروف بتشيعه للعلويين ، واذا استجاز بعضهم ان يتهم مروان بن

(٢٤) يريد أبا بكر لأنه من تيم .
(٢٥) مرى يمري الناقة : مسح ضرعها لتدر وهو يريد أن الأمويين تحلبوا خيرات الخلافة .
(٢٦) لا تغرب : لا تبعد .
(٢٧) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٢٤٦ .

أبي حفصة « بالنفاق السياسي » فإن النمري احق بهذا الاتهام لأن من يبطن العلويه ويظهر العباسية ـ كالنمري ـ يصدق عليه هذا النعت .

ولم يكن أبان اللاحقي احسن حظاً من منصور النمري ، اذ انه استحل ما لم يكن يستحله ، ذلك انه طمع بأموال الرشيد فعاتب البرامكة ـ وكان منقطعا اليهم ـ لأنهم لم يسعوا الى ايصاله الى الرشيد حتى يصيب من عطائه ما كان يصيبه مروان بن أبي حفصة . اذ قال لهم « اريد ان احظى منه بمثل ما يحظى مروان بن ابي حفصة » (٢٨) فقال له الفضل البرمكي : « ان سلكت مذهب مروان اوصلت شعرك وبلغتك ارادتك » قال ابان : «ما استحل ذلك» فقال الفضل : « كلنا يفعل مالا يحل ولك بنا وبسائر الناس اسوة » (٢٩) واصبح أبان فسلك مسلك مروان واستحل ما لم يستحله بالأمس وقال منتصراً للعباسيين : (٣٠)

نشدت بحق الله من كان مسلماً ... اعمّ بما قد قلته العجم والعرب
اعم رسول الله اقرب زلفة ... لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وأيهما اولى به وبعهده ... ومن ذا له حق التراث بما وجب
فإن كان عباس احق بتلكم ... وكان عليّ بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه ... كما العم لابن العم في الارث قدحجب

فقال له الفضل « ما يرد علي امير المؤمنين اعجب من ابياتك » (٣١) .

وهذه المعاني التي صاغها أبان لا تختلف بمحتواها عما وجدناه عند

(٢٨) الاغاني ج ٢٠ ص ٧٥ ـ ٧٦ ط . ساسي .
(٢٩) الاوراق قسم اخبار الشعراء : محمد بن يحيى الصولي ص ١٣ ـ ١٤ ط . اولى الصاوي .
(٣٠) (٣١) الاغاني ج ٢٠ ص ٧٥ ـ ٧٦ ط . ساسي

مروان • فهو لم يخرج عن نطاق تقليد من سبقه الى هذه المعاني • وأبياته بعد ذلك تخلو من قوة التأثير ومن الجمال الشعري اللذين نجدهما في شعر مروان السياسي • ذلك أن اللاحقي ناظر بأسلوب أهل المنطق ، ودافع عن النظرية العباسية دفاع الفقهاء • فقصيدته بأسلوبها التفصيلي التحليلي أقرب الى الحديث النثري منها الى الشعر السياسي المتين بألفاظه ومعانيه •

وبالرغم من أن مروان بن أبي حفصة لم يكن وحده الذي وقف في صف العباسيين تجاه الدعوى العلوية فإنه لقي مصرعه على أيدي العلويين كما مرّ بنا ، وهوجم من قبلهم وتعرض لهجاء شاعرهم دعبل بن علي الخزاعي الذي زعم ان مروان قد ذمّ عليا وأولاد النبي (ص) • فمن هجائه لمروان قوله :(٣٢)

قــل لابن خائنــة البعــول   وابن الجوادة (٣٣) والبخيــل
انّ المذمــــة للوصي (٣٤)   ي هي المذمّــة للرســول
أمــودة القربــى تحا   و لهــا بذم مستحيل
أتــذمّ اولاد النبـــي   وانت من ولــد النغول (٣٥)

وحرى بنا ان نقف قليلاً عند هذه الابيات ، فقد ورد فيها ما يشير الى ان مروان كان يذمّ علياً وابناءه ، ولكن الناظر المتمعن في شعر مروان الذي وصل الينا لايجد فيه بيتاً واحداً يستشف منه ذما للطالبين او طعنا عليهم • فشعر مروان السياسي لم يتعدّ اسلوب المناظرة الشريفة وحدود الرد المنطقي والجدل العفيف في تأييد العباسيين والردّ على العلويين ودعواهم في الخلافة

(٣٢) ديوان دعبل الخزاعي ص ١٧٣ ط • المجمع العلمي بدمشق •
(٣٣) لعله يريد الجوادة بعرضها •
(٣٤) الوصي : يريد به الامام علي (رض) •
(٣٥) النغل : فاسد النسب •

بأسلوب بعيد عن الطعن والتهجم ، فشعره السياسي يخلو من الفحش ويبرأ من الشتم . واذا لم يكن طبع مروان وخلقه قد أمليا عليه ان يقف موقفاً يتناسب ومكانة اولئك الذين حاجهم وان يسلك مسلكاً خلقيا رفيعاً ، اقول اذا لم يمنعه ذلك عن ذمهم وسبهم ، فإن الدين الاسلامي وعواطف الناس وكرامة الخلافة العباسية تأبى على مروان ان يعرّض بالعلويين ويشتمهم . فصلة الرحم التي تجمع بين العلويين والعباسيين كانت اقوى رادع منعه من الطعن على العلويين . ولا اشك في ان العباسيين كانوا يأنفون من ان يطعن على ابناء عمومتهم وأولي رحمهم ، اذ ان هجاء الطالبين لم يكن أمراً يسيراً ، فهم من بني هاشم وهجاؤهم هجاء للعباسيين . وحسبنا دليلاً على ذلك ان منصوراً النمري انشد الرشيد — ذات مرة — قصيدة مدحه بها وهجا آل علي (ع) وثلبهم فضجر هارون وقال له : « يا ابن اللخناء أتظن انك تتقرب الي بهجاء قوم ابوهم ابي ، ونسبهم نسبي ، واصلهم وفرعهم اصلي وفرعي ؟ »(٣٦)

إن ردود مروان العفيفة ومناظراته البريئة كانت ابلغ أثراً وانفع اسلوباً واعظم خطراً من الشتم والطعن لو انه اتخذهما سلاحاً في حربه الكلامية مع العلويين . واذا كان أسلوب الفحش والطعن سلاحاً ناجحا من المنازعات الفردية فإنه عديم الجدوى والفائدة في النقاش السياسي والصراع المذهبي . إذ أن انتصار مذهب على مذهب او فكرة على أخرى لا يكون بالطعن والشتم والكلمة الفاحشة وانما بالحجة الدامغة والرد المنطقي السليم . واذن اذ لم يكن مروان مختاراً في مسلكه البريء من السب والقذف ، فإنه كان مجبراً عليه .

وهذا الذي قلناه في الردّ على أبيات دعبل الخزاعي ، هو في الوقت

---

(٣٦) الاغاني ج ١٣ ص ١٤٤ ط . دار الكتب . واللخناء والرجل الالخن : اللذان لم يختنا .

نفسه ردّ على ما جاء في الاغاني من ان مروان كان يصرّح بهجاء العلويين وسبهم [٣٧] .

وكان من آثار السياسة العباسية في شعر مروان انه سجل لنا بعضا من الحوادث السياسية التي وقعت في عهد الرشيد والتي كانت في حقيقتها أثراً من آثار سياسة بني العباس في وجه المعارضة العلوية . ومن تلك الحوادث خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن سنة ١٧٦ هـ في بلاد الديلم . وفي هذه البلاد قويت شوكة يحيى وأزداد انصاره فندب هارون الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي لقتاله . ثم كانت ثمّة رسائل بين الرشيد وبين يحيى انتهت بعقد الصلح بينهما . وحين عاد الفضل الى بغداد وبصحبته يحيى بن عبد الله لقيهما الرشيد بالترحاب فقال مروان في ذلك : [٣٨]

وقالوا الطالقان [٣٩] يجن كنزا   سياتينا بـه الدهر المديـــل

فأقبـــل مكـــدياً لهم بيحيى   وكنز الطالقان بـه زميـل

وقد استبشر الناس بهذا الوفاق الذي تم بين يحيى العلوي وبين الخليفة العباسي وقد عبر مروان بن أبي حفصة عن اغتباطه بهذا الحدث التاريخي فقال من قصيدة مدح بها الفضل بن يحيى البرمكي : [٤٠]

ظفرت فـلا شلّت يد برمكيـة   رتقت بها [٤١] الفتق الذي بين هاشم

على حـين اعيى الراتقين التئامه   فكفوا وقالوا ليس بالمتـــلائم

---

(٣٧) الاغاني ج ١٣ ص ١٤١ ط . دار الكتب .

(٣٨) مقاتل الطالبين . الاصبهاني ج ٣ ص ٤٣٢ ط . دار احياء علوم الدين بيروت .

(٣٩) الطالقان في بلاد الديلم شمالي فارس .

(٤٠) تاريخ الامم والملوك . الطبري ج ٦ ص ٤٥١ ط . الاستقامة .

(٤١) رتق فتق بني هاشم : اصلح ذات بينهم .

فأصبحت قد فازت يداك بخطة　　من المجد باقٍ ذكرها في المواسم
وما زال قدح الملك يخرج فائزاً　　لكم كلما ضمت قداح المساهم

فهذا العمل الذي قام به الفضل كان عملاً فريداً وبادرة طيبة في تضييق الهوة التي كانت تفصل بين العلويين والعباسيين ، ومن اجل هذا انبرى مروان يمدح الفضل ويثني على مسعاه الحميد هذا ، ولكن استبشار الناس لم يدم طويلاً ، ذلك ان الرشيد نكث بعهده وقضى على يحيى في حبسه •

ومما تقدم يتبين لنا ان مروان بن أبي حفصة انساق في تيار السياسة العباسية وتبنى نظريتهم في الخلافة ،وقد كان لاتجاهه الجديد أثر كبير في توجيه شعره ، وفي تلاوينه بهذا النضال السياسي الأدبي/خاضه الشاعر في بغداد ، وبعد أن كان مروان في منأى عنه أيام انقطاعه الى معن بن زائدة في اليمن من قبل •

ويتضح لنا أثر العامل السياسي في شعر مروان في أسلوبه المحكم القائم على المناقشة والمناظرة وفي معانية الجديدة التي اقتبسها من القرآن الكريم بحكم اتجاهه الى الدفاع عن نظرية بني العباس في الخلافة ، اما الفاظه فقد بقيت هي هي من حيث جزالتها وقوتها وفصاحتها • وأما اوزانه الشعرية فقد كانت من الاوزان الطوال المديدة التي تتسع للنقاش والجدل وتستوعب الحوار والمناظرة التي يتطلبها الشعر السياسي في كل زمان لمقارعة الحجة ، وللرد على دعوى الخصوم السياسيين •

الفصل الثالث

أثر الحالة الاجتماعية في شعر مروان :

كانت الحياة الاجتماعية في القرن الثاني الهجري ذات لونين ، أولهما : اللون الحضاري الذي عاشته دمشق في أواخر أيامها وورثته عنها بغداد بعد استقرار الحكم العباسي فيها ، وجريان الثروات الطائلة في أيدي خلفاء بني العباس بعد وفاة الخليفة المنصور ، اذ تغلبت حياة المتعة والمرح على الخلفاء والامراء والوزراء وغيرهم • وثانيهما الحياة الجدية الحريصة على الاحتفاظ بالتراث الاجتماعي القديم الذي انبعث قويا ذتيا في البيئات البدوية وبخاصة في بوادي نجد والبصرة • وقد كان أمراً طبيعياً ان يسود هذا الطابع الجدي الحياة الاجتماعية في هذه البوادي لأنها بحكم مقومات حياتها وبحكم تقاليد الآباء والاجداد مضطرة الى التمسك بما كان يتمسك به الأولون من نزعات قديمة : كالعصبية القبلية والتفاخر بالأنساب والاحساب وحماية الجار ، مع النظر بعين الاعتبار الى الوازع الديني الذي كان ذا أثر في النفس العربية وهو مؤثر جديد لم تخضع لمثله حياة العرب القديمة •

ولم يكن لحياة اللهو والعبث في هذا العصر أثر كبير في حياة مروان بن أبي حفصة او في شعره ، على الرغم من زياراته المتعددة الى دمشق أيام بني العباس • فنحن اذ نقرأ اشعاره التي وصلت الينا لا نلمس في اغراضها أو معانيها او أساليبها ما يشير الى تأثر الرجل بالحياة الحضارية المترفــة التي كان يحياها الوليد بن يزيد الاموي وأضرابه او الحياة المسرفة باللهو والمجون

التي انغمس فيها خلفاء بغداد وطبقتها الغنية المترفة • فشعره يخلو من أنغام الغزل العابث وألحان الحان • ولعل عزوف مروان عن اللهو والعبث بالخمرة الصافية والمرأة الغانية على الرغم مما كان بين يديه من مال كثير ، يرجع الى الاسباب الآتية : —

١ — كان مروان ذا طابع جاد ونفس حريصة على التمسك بالسيرة الحسنة والخلق القويم ، وهذا يستلزم منه الابتعاد عن اللهو والعبث •

٢ — كان مروان انساناً بخيلاً ، حريصا على جمع المال ، وهذا البخل وهذا الحرص يحتمان عليه أن يعزف عن طلب اللهو والعبث ، اذ أن طالب اللهو والعبث لابد له من ان ينفق وان يبذل بسخاء •

٣ — ولعل عدم اقامته في دمشق أولاً وفي بغداد فيما بعـد كان سببا مؤثراً في ابتعاد مروان عن اللهو اذ انه حين يفد على الخلفاء كان يعود مسرعاً الى قريته في اليمامة حيث الحياة الجادة المتقشفة •

٤ — كانت نشأة مروان في بيت لم يعرف العبث والمجون اليه سبيلاً ، وفي بيئة بدوية يعتز ابناؤها بما كان لديهم من تراث اجتماعي قديم محافظ

هذه الاسباب — وربما غيرها — كانت سبباً في ابتعاد مروان بن أبي حفصة عن الانغماس في الحياة الحضارية الجديدة • ومن هنا تأثر الشاعر بالجانب الجاد من الحياة الاجتماعية دون جانبها المترف • وقد ظهر صدى ذلك واضحاً في شعره كما سنرى • ويمكن حصر أهم المؤثرات الاجتماعية في شعر مروان بالدين الأسلامي والتقاليد والعادات العربية التالية :

١ — اصالة النسب •

٢ — التفاخر بالاحساب وهذا يشمل :

أ — البأس والشجاعة •

ب ـ الكرم والعطاء .

جـ ـ حماية الجار .

٣ ـ الدين (القرآن الكريم) .

وحرى بنا بعد هذا أن تتبين أثر هذه المؤثرات في شعره :

١ ـ النسب : هو كما ورد في القاموس المحيط القرابة أو في الاباء خاصة ، وقد تطورت معاني النسب حتى اصبح من جهة الأب دون الام ، ولكن القبائل والأفراد كانوا ـ يعنون بأنسابهم من جهة الأب ومن جهة الام كذلك . فهم اذ يفخرون فإنما يفخرون بنسبهم من جهة آبائهم وامهاتهم ، وهم اذ يطعنون او يعيرون فإنما يطعنون ويعيرون من جهة آبائهم وامهاتهم أيضاً .

ولأهمية النسب واصالته في حياة العرب الاجتماعية اضحى ظاهرة لها أثرها الكبير في الشعر العربي وبخاصة في فنون المديح والفخر والهجاء . فالشاعر اذا مدح او فخر فإنما يمدح ويفخر بالاعمام والاباء وبالأخوال والأمهات . فهذا السيد الحميري يفتخر بنسبه من جهة آبائه وأخواله فيقول: (١)

اني امرؤ حميري غـير مؤتشب　　　جدي رعين وأخوالي ذوو يزن (٢)

ومدح ابن المولى الخليفة المهدي بنسبه المجيد من جهة أبيه وامه ايضاً فقال : (٣)

---

(١) البيان والتبيين . الجاحظ ج ٣ ص ٣٦٠ ط . لجنة الترجمة والنشر

(٢) مؤتشب : غير صريح في نسبه . رعـين : هو ذو رعين ملك من ملوك اليمن ، ورعـين : حصن له . ذو يزن أراد أبنـاء ذي يزن . وذو يزن : والد سيف بن ذي يزن وهو أحد ملوك اليمن الذي استنقذ اليمن من حكم الحبشة .

(٣) الاغاني ج ٣ ص ٢٩٩ ط . دار الكتب .

خليفة الله عبد الله والـــده وأمـــه حرة تنمى لأمجـــاد

وأثنى اشجع السلمي ، على نسب الرشيد من جهة ابيه وامه كذلـك فقال : (٤)

ملك ابوه وأمـــــه من نبعـــة منها سراج الأمة الوهَّـــاج

شربا بمكة في ذرا بطحائهـــا ماء النبوة ليس فيه مـــزاج

وقد كان لظاهرة الأهتمام بالنسب الصريح والأصل العريق أثرها الكبير في شعر مروان إذ انعكس صداها في مدائحه لخلفاء بني العباس ولمعن بن زائدة الشيباني ولقومه وفي مراثيه لمعن فيما بعد •

فحين مدح مروان الخليفة المهدي أطرى نسبه الهاشمي فقال (٥) :

احيـــا امير المؤمنين محمـــد سنن النبي حرامها وحــلالـها

ملك تفـــرَّع نبعـــة من هاشـــم مدَّ الاله على الانام ظـــلالهـــا

وامر طبيعي ان يطرب المهـــدي لمثل هذا المديح ، ذلك انه وآله انمـــا يفخرون بنسبهم الهاشمي فلولا هذا النسب لما قدِّر لهم ان يتولوا خلافة المسلمين •

ومن مديحه بالنسب العريق قوله (٦) :

تشابهتما حلمـــا وعـــدلا ونائلا وحـــزما اذا امر اقام واقعـــدا

تنازعتما نفسين هـــذي كهـــذه على أصـــل عرق كان افخر متلدا

كما قاس نعـــلا حضرمي فقدَّها عـــلى اختها لم يأل ان يتجودا

ومدح مروان معنا بانه هدَّ قوى اعدائه ودوَّخهم ببأسه وبطولتـــه

(٤) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٣٥٢ ط • المعارف بمصر •
(٥) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ ط • دار احياء الكتب العربية •
(٦) كذلك ج ١ ص ٥٧٢ •

ناضحوا واقواهم لا يستطيع ان يدفع عن نفسه الذل والهوان ، وذلك ان معنا هو ابن السادة الجحاجح النجب الذي ينتهي نسبه إلى نزار فقال[٧] :

لقد دوّخ الاعــداء معن فأصبحوا — وأمنعهم لا يدفع الذلّ مدفعــا
نجيب مناجيب وسيد ســادة — ذرا المجــد من فرعي نزار تفرّعــا

واثنى مروان على معن ايضا ، بانه الربيع ذو الخير العميم لأولئك الذين ظفروا بمعروفه وعطائه وبانه الباطش المنكل بأولئك الذين شاءت الاقدار ان يتسلط عليهم سيف معن الذي لم تشهد الحروب أجرأ منه ولا امضى ، ولا اشرف نسبا ولا اكرم أرومة ، فقال [٨] :

وقوم قد جُعلتَ لهم ربيعــا — وقوم قــد جعلت لهــم نكــالا
فمــا شهد الوقائــع منك امضى — واكرم محتدا [٩] واشــــد آلا

ومـمــا ذكر فيه مروان نسب معن قوله [١٠] :

جرى سابقا معن بن زائــدة الذي — بــه يفخــر الحيّــان بكر وتغلبُ
فبرّز حتى ما يجــاري وإنمــا — الى عرقــه ينمى الجواد وينسبُ

ومدح مروان ابن معن بانه سيد شجاع ينتمي الى بني مطر وهم قوم سادة كرام وهو قؤول لا يقرب الخنا والفواحش ، وقد بزّ الملوك ذوي المعالي والمكارم وعــلا نسبه الذي ينتهي الى نزار وهو خير اصــل وافضــل عرق اذ قال [١١] :

---

(٧) كذلك ج ١ ص ٥٧٨ .
(٨) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ٢٤١ ط . حجازي .
(٩) المحتد : الاصل .
(١٠) حماسة ابن الشجري . ص ١١٠ ط . دائرة المعارف العثمانية .
(١١) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٤٨ ــ ٤٩ ط . دار المعارف بمصر

يا بن معن يفـــــكّ كل اسير ... مسلم لا يبيت يرجو الفكاكـــا
مطــريّ اغرّ تلقـــاه بالعر ... ف فؤولا وللخنا تراكا (١٢)
رفعت في ذرا المعالي قديمـــا ... فوق ايدي الملوك طرا يداكـــا
وسما الفرع منك في خير اصـل ... من نزار فطاب منه ثراكـا (١٣)

وهكذا نرى تأثر مروان بظاهرة الاعتزاز بأصالة النسب ، فراح من جانبه يتغنى بشرف المتحد وكرم الارومة في مدائحه للخلفاء العرب وامرائهم . ومما تحسن الاشارة اليه في هذا المقام، ان الشاعر اذ مدح البرامكة ــ وزراء الرشيد ــ لم يطر نسبهم الاعجمي كما فعل في مدائحه لذوي النسب العربي كخلفاء بني العباس ومعن بن زائدة الشيباني ، وقد يكون هـذا الذي نشير اليه صدر عن الشاعر عفواً ، أو انه تعمّد ذلك لئلا يتهم بالأنحراف في تيار المنافسة بين العرب والفرس التي اشتدت في هـذا العصر .

٢ ــ الحسب : هو كما ورد في القاموس المحيط ما نعدّده ، من مفاخر آبائك او المال او الدين او الكرم او الشرف في الفعل او الفعـال الصالح أو الشرف الثابت في الآباء . وجاء أيضا : الحسب والكرم قد يكونان لمن لا آباء له شرفاء . والشرف والمجد لا يكونان الأ بهم . ومما تقـدم يتضح لنا ان تعريف الحسب قـد شمل معاني كثيرة . وطبيعي ان يفخر المرء بما كان لآبائه من فعل صالح وكرم غامر ودين ثابت ، وطبيعي أيضـا أن يفخر المرء بما له من فعال كريمة وأمجاد طريفة،ولا اظن ان فخر الرجل بمآثر آبائه يحول دون اعتزازه وفخره بمكارمه ومآثره الذاتيـة ، اذ ان كثيرا من الناس لا يكونون كآبائهم فقد يكون الانسان ممدوحا بآبائه دون ان

(١٢) مطري : نسبه الى بني مطرفوم الممدوح . الخنا : الفحش .
(١٣) نزار : الاصل الذي ينتهي اليه نسب الممدوح .

يكون ممدوحا بنفسه • وعلى هذا فالجمع بين التغني بمآثر الآباء والأجداد وبين الافتخار بالمكارم الشخصية يجعل لكل طرف منهما حظاً في الفخر • ومن هذا اللون قول المتوكل الليثي مفتخرا بنفسه وباحساب آله (١٤) :

إنّا وان احسابنـــا كرمت   لسنا علـى الأحساب نتـكل

نبني كمـــا كانت أوائلنـــا   تبني ونفعـل مثل ما فعلوا

وقد كان لظاهرة التفاخر بالاحساب والمدح بها أثر بعيد في شعر مروان بن ابي حفصة نجد هذا في فخره بآبائه وفي مدائحه للذين وفد عليهم طلبا لعطائهم • وطبيعي الا يترك الشاعر مأثرة كريمة الا تغنى بها في مدائحه خاصة ، فقد مدح مروان هؤلاء بالشجاعة وحماية الجار والكرم والمجـد التليد والطارف وبالتمسك بالدين وما الى ذلك •

أ ــ البـأس والشجاعة :

وقد كانت مدائح مروان في خلفاء بني العباس وولاتهم مجالا رحبا للاشادة ببأسهم وقوتهم ودحرهم لاعداء الدولة والمتربصين بهـا • فمن ذلك قوله يمدح معن بن زائدة الشيباني بأنه حمى الدين والدولة من الخطر الخارجي الذي كان يتهددها اذ أقام في الثغور وهي موضع المخـافة وموطن الخطر الذي يخاف منه هجوم العـدو ، ومن اجل هذا فالدولة ــ أي دولة ــ تحرص كل الحرص على سد ثغورها وفروج بلدانها في وجه اعدائها بان توكل امر حمايتها الى رجال ذوي جرأة وتضحية واقدام ــ قال مروان (١٥) :

تنزعا

تدارك معن قبة الدين بعـدما   خشينا على أوتادهـا أن تتطـ...

أقـام على الثغر المخوف وهاشم   تساقى سماماً بالأسنّة منقعـــا

مقام امريء يأبى سوى الخطة التي   تكـون لدى غب الاحاديث أرفعا

(١٤) العمدة • القيرواني ج ٢ ص ١٤٦ ط • السعادة •

(١٥) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٨ ط • دار احياء الكتب العربية •

ومدح مروان بني مطر — وهم قوم معن — بالبأس والشجاعة وشبههم بالاسود الضارية التي تدافع عن أشبالها ، والاسد في حالة دفاعها عن صغارها أعظم ما تكون شراسة وقوة وجرأة فقال :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم   اسود لها في بطن خفّان [١٦] أشبلُ
لهاميم[١٧] في الاسلام سادوا ولم يكن   كأولهم في الجاهلية أول [١٨]

ولما كان للخيول — أنذاك — أثرها الخطير في حروب العرب القديمة فقد وصف مروان خيول معن — التي خاض على صهواتها حروبه ومعاركه — بأنها خيول عوابس ضامرة البطون وانها جلبت من العراق جردا تسير الى جانب غيرها من الخيول السريعة المنقادة ، وهي بعد ذلك خيول طويلة العنق تظهر في نحورها طعنات الرماح ، وقد شبهها لضمور بطونها بالسرحان مرة وبكواسر العقبان مرة أخرى ، نجد هذا في مدحه لمعن اذ يقول [١٩] :

جلب الجياد من العراق عوابسا   قبّ البطون يقدن بالارسانِ [٢٠]
جردا مجنّبة تعاضد في السرى   بالبيد كل شملّة مذعان [٢١]
من كل سلهبة يبين بنحرها   وقع القنا وأقبّ كالسرحانِ [٢٢]

(١٦) مأسدة قرب الكوفة .
(١٧) لهاميم واحدها لهموم : السيد الصالح .
(١٨) الاغاني ج ١٠ ص ٩٠ ط دار الكتب .
(١٩) حماسة ابن الشجري ص ١١٠ — ١١١ .
(٢٠) قبّ البطن : ضامره . الارسان واحدها الرسن : حبل يوضع في رقبة الدابة لقيادها .
(٢١) جردا : لايعتليها أحد . مجنبة : تقاد الى جانب غيرها . شملة : سريعة . مذعان : منقادة .
(٢٢) سلهبة : طويلة . السرحان : الذئب .

حتى أغرن بحضرموت شوازبا مقورة ككواسر العقبان (٢٣)

واشاد مروان ببأس معن وبأنه اذا خاض الحرب ـ وقد ارتفع في جوها غبار المعركة وحملت المنايا على أسنّة الرماح ـ اقبل على الحرب بوجه مشرق لا يعلوه ما يعلو وجوه اعاديه من خوف ووجل . فقال (٢٤):

تمضي أسنته ويسفر وجهه في الحرب عند تغيّر الالوان
نفسي فداك أبا الوليد اذا بدا رهج السنابك والرماح دواني

وإذا كان الإعلام في الحرب عنوان الجرأة ورمز الشجاعة فقد مدح مروان معنا بذلك وقد جاء في القاموس : اعلم في الحرب نفسه : وسمها بسيماء الحرب . ورجل مُعلِم : اذا علم مكانه في الحرب بعلامة . اعلمها واعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان فهو مُعلِم . واذن فليس يعلم في ساحة الحرب غير الشجعان الاشداء الذين يريدون ان تعلم مكانتهم في الحرب وشدة بأسهم وقوتهم وفي هذا المعنى قال مروان (٢٥) :

ما زلتَ يوم الهاشمية مُعلِما بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعتَ حوزته وكنت وقاءه من وقع كلّ مهنّد وسنان

واذن ، فقد اعلم معن نفسه بالسيف لتعرف صولته بالحرب ، وقد وقف يحمي حوزة الخليفة المنصور يوم هجم الخراسانيون في مدينة الهاشمية فردّ معن عن ابي جعفر وقعة السيف وطعنة الرمح . واذ كان العصر العباسي عصر ثورات داخلية وحروب خارجية فقد اقتضى ذلك من العباسيين ان يقفوا بحزم وقوة في وجه اعدائهم والمتربصين بدولتهم . وقد اشاد مروان بشجاعة

(٢٣) شوازب واحدتها شازب : ضامر . مقورة : ضامرة .
(٢٤) العمدة ابن رشيق ج ٢ ص ١٤٢ ط . السعادة .
(٢٥) الاغاني ج ١٠ ص ٨٦ .

المهدي واقدامه حين غزا الروم على خيوله التي امتازت بطول الظهر والعنق وقد شمر عن ساقه مستعدا للامر ماضيا فيه، حتى اذا ورد ارض العدو وبثّ فيها جنده وعسكره واستباحها فحمى بذلك بلاد المسلمين فقال (٢٦) :

طلع الدروب مشمرا عن ساقه ... بالخيل منصلتا يُجدّ نعالَها (٢٧)
قودا تريع الى اغرّ لوجهه ... نور يضيء امامها وخلالَها (٢٨)
حتى اذا وردت اوائل خيله ... جيحان بثّ على العدو رعالها (٢٩)
احمى بلاد المسلمين عليهم ... واباح سهل بلادها وجبالها

وقد اثنى مروان على يقظة العباسيين واستعدادهم لحماية حدود دولتهم من المعتدين ، فهم مهيأون بسلاحهم وخيولهم لصد العدوان ومواجهة كل شدة وامرداهم ، فمدح الرشيد بانه حمى ثغور البلاد من هجوم الاعداء ووصف جيشه بالقوة اذ انه شتت جيوش العدو وفرقها فقال (٣٠):

وسدّت بهارون الثغور فأحكمت ... به من أمور المسلمين المرائر (٣١)
وما انفك معقودا بنصر لواؤه ... له عسكر عنه تشظّى العساكرُ (٣٢)
حصون بني العباس في كل مأزق ... صدور العوالي والسيوف البواترُ
فطورا يهزّون القواطع والقنا ... وطورا بايديهم تهزُّ المخاصر

(٢٦) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٦٩ .
(٢٧) الدروب : يريد دروب الروم . المنصلت : الماضي في الامر .
(٢٨) قود : واحدها : اقود قوداء : الفرس الطويلة العنق والظهر .
(٢٩) رعال : واحدها رعيل : قطعة من الجيش .
(٣٠) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .
(٣١) المرائر واحدتها المريرة : القوة والعزم .
(٣٢) تشظي : تتفرق وتتشتت .

ومدح المهدي بالاباء والحزم فقال (٣٣) :

أبيٌ لما يأبى ذوو الحزم والتقى   نعول اذا ما جد بالامر فاعله

ومما تقدم يتضح لنا ان ظاهرة الاعتزاز والاعجاب باولي البأس والشجاعة كانت ذات أثر بيّن في شعر مروان بن ابي حفصة وبخاصة في مديحه لخلفاء الدولة العباسية وقوادهم .

ب — حماية الجار :

وهي ظاهرة اجتماعية قديمة كان ظهورها صدى للحياة الاجتماعية الجاهلية ، وقد بقيت هذه الظاهرة مأثرة نبيلة من مآثر العرب في كل عصورهم حتى يومنا هذا . وقد كان الدفاع عن النفس والخوف من العدوان والاحساس بالضعف امام القبائل والافراد ، سببا في اضطرار العربي الى ان يحتمي بالافراد الاقوياء او بالقبائل المعروفة ببأسها وعزتها . وقد كان العرف الاجتماعي يوجب على المستجار به ان يفنى في سبيل الدفاع عمن استجار به . وقد تطول الاستجارة وقد تقصر بحسب احوال المستجير وظروفه . واذا كانت حماية الجار مكرمة عربية يعتز بها العربي ويفخر ، فقد كان لهذه المكرمة التليدة أثرها في شعر مروان بن ابي حفصة ونجاحه في مدائحه في معن بن زائدة وقومه . واذا قيل لِمَ لم يمدح مروان خلفاء بني العباس ووزراءهم بهذه الظاهرة كما مدح بها معنا وقومه ؟ فالجواب هو: ان الخلفاء العباسيين ووزراءهم كانوا رأس حكومة حضرية لها نظامها الاداري والقضائي ، وان ظاهرة حماية الجار لا تسود الا في البوادي والبيئات التي تسيطر على حياتها الاجتماعية النزعات والتقاليد العربية القديمة كبوادي

(٣٣) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٣٣ ط . دار احياء الكتب العربية .

نجــد والبصرة .

لقد مدح مروان معنا بانه المــلاذ الذي يحتمي به الخائف من صروف الدهر وعادياته ، وبانه الكريم الذي يلجأ اليه المعوز المعدم ، اذ ان المحتمي بمعن يجد عنده ما يذهب عنه خوفه ويزيل روعه ، فيعود الى نفسهــامنها وطمأنينتها ومعن بعد هذا يبتاع المجد والعز بأغلى ثمن ، وفي ذلك يقول مروان (٣٤) :

قد آمن الله من خوف ومن عــــدم　　من كان جارا له من جور ذا الزمنِ
معن بن زائدة الموفي بذمتــــــه　　والمشترى الحمد بالغالي من الثمنِ

ومدح الشاعر معنا كذلك بانــه الملاذ الذي يلوذ بــه الخائف المترقب والمعتاف ذو الحاجة فقــال (٣٥) :

الى المجتــدى معن تخطّت ركائبنــا　　تنائف فيما بينها الريح تلغبُ (٣٦)
الى باب معــن ينتهي كــل راغب　　يرجّى النــدى او خائف يترقّبُ

واثنى مروان على بني مطر بأنهم قوم شجعان ذوو رأي صائب سديد ، وبأنهم يجيبون الصريخ ويجزلون العطاء ، وهم بعــد هذا يحمــون جارهم ويمنعون عنه العــدوان . فاللائذ بهم لا يناله طالبه فهو بعيد المنــال عزيز المقام كأنما منزله ــ لعزتهم وعلو مكانتهم ــ بين الكواكب النيّرة فقال (٣٧):

بنو مطــر يوم اللقــاء كأنهــم　　أسود لها في بطن خفان أشبلُ

(٣٤) وفيات الاعيان . ابن خلكان ج ٤ ص ٣٣٤ ط . السعادة .
(٣٥) حماسة ابن الشجري ص ١١٠ ــ ١١١ ط . دائرة المعارف العثمانية
(٣٦) تنائف واحدتها تنوفة : البرية لا ماء فيها ولا انيس . لغبت الريح: ضعفت .
(٣٧) الاغاني ج ٦٠ ص ٩٠ ط . دار الكتب .

هم القوم إن قالوا اصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين [٣٨] منزلُ

واشاد الشاعر بزائدة بن معن بن زائدة ومدحه بحمايته للمستجير به • فهذا المستجير في عزة ومنعة فان من يريد الوصول اليه هو كمن يمدّ يديه لينال بهما النجم الثاقب العالي وهو أمر محال فقال [٣٩] :

مطرى أغرّ تلقاه بالعسر في قؤولا وللخنا تراكا [٤٠]
من يرم جاره يكن مثل مارام بكفّيه ان ينال السماكا

وصفوة القول : فان ظاهرة حماية الجار ــ وهي ظاهرة بدوية المنشأ قبلية العرف ــ كانت ذات اثر كبير في شعر مروان الذي مدح به معن ابن زائدة وعشيرته وابناءه دون رجال الحكومة العباسية في بغداد الذين كانوا يمثلون حكومة مركزية تأخذ الجاني بجنايته وتعاقب المذنب بذنبه •

ج ــ الجود والعطاء : ــ

جود العربي وعطاؤه ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الحياة البدوية• وهذه الظاهرة لم تزل ابرز سمة واظهر صفة يتميز بها العربي اليوم • ولاشك في ان السماحة كانت وما تزال عنوان السيادة والزعامة ، وقد قيل لقيس بن عاصم المنقري السعدي : بماذا سُدت ؟ قال بثلاث ، بذل الندى وكف الاذى ونصر المولى [٤١]•

---

(٣٨) السماكان : كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك إلا عزل •
(٣٩) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٤٩ ط • دار المعارف بمصر •
(٤٠) الخنا : الفحش •
(٤١) امالي المرتضى ج ١ ص ١١٣ •

فكرم المرء اذن ، سبب من أسباب سيادته وشهرته وعلو مكانته ، وقد حفل تاريخنا العربي بقصص كثيرة وشوبيرة حدثتنا عما كان يتحلى به العربي من حب للندى والعطاء .

واذا كان عصر مروان بن ابي حفصة عصر غنى وثراء تسابق فيه الخلفاء والأمراء والولاة الى البذل والعطاء كي يطير صيتهم ويشيع ذكرهم في الآفاق فيظفروا بالمجد والفخار . ومن هنا كان لهذه الظاهرة الاجتماعية الاصيلة أثرها في مديح مروان وفخره . ومن قوله يمدح معنا بأنه ذو عطاء غامر لايكون الغيث العميم الذي شمل البلاد اوسع منه واغزر (٤٢) .

وما الغيث اذ عمّ البـلاد بصوبه　　على الناس من معروف معن بأوسعا

ومدح الفضل بن يحيى البرمكي بأنه جواد معطاء يبذل ما في كفيه من دراهم وذهب وهو ذو عرف غامر جزل لا يعادله غيث عميم او بحر زاخر فياض فقال : (٤٣)

ان الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق (٤٤)　　يبقى على جود كفيـه ولا ذهب

قـد فاض عرفـك حتى ما يعـادله　　غيـث مغيث ولا بحر له حـدب

ومدح المهدي بأنه ذو اكف فياضه معطاءة تندى بجودها اكف المحتاجين والمعتاذين ، وبأن نعم بني العباس جزلة غامرة على كل راغب وطالب فقال: (٤٥)

اليك أمـير المؤمنـين تجاذبت　　بنا الليل خوص (٤٦) كالقسي شوارد

الى ملك تنـدى اذا يبس الثرى　　بنائـل كفيـه الاكف الجوامـد

---

(٤٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٨ .
(٤٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٦٢ ط . السعادة .
(٤٤) الورق : الدراهم المضروبة .
(٤٥) امالي المرتضى ج ١ ص ٥١٩ .
(٤٦) خوصت العين : غارت من التعب .

ايادي بني العباس بيض سوابـغ على كل قوم باديات عوائـــد

ومما يتصل بعادة العطاء والكرم ظاهرة انهاب المال ، وهي ان يجعل المرء ماله نهبا يغار عليه ، وقد كان الفرزدق التميمي واحداً من أولئك الذين نهبوا مالهم مبالغة في الكرم والسماحة . وقد كان لهذه الظاهرة أثرها في الشعراء فراحوا يمدحون بها أولي نعمتهم ، مثـال ذلك قول ابي الخطـاب البهدلي في موسى الهادي (٤٧) .

موسى الذي بذل المعروف ينهبه في الناس فالجود من كفيه ينهمر

واذا كانت ظاهرة انهاب المال مفخرة يعتز بها العربي فقد مدح بها مروان ابن أبي حفصة يزيد بن مزيد الشيباني بأنه يفني ماله بالبذل والعطاء وبأن يجعله نهبا يغير عليه كل مستوهب محتاج فقال : (٤٨)

يا اكرم الناس من عجم ومن عرب بعد الخليفة ياضرغامة (٤٩) العـرب
أفنيت مالـك تعطيـه وتنهبـه يا آفـة الفضة البيضاء والـذهب

وفخر مروان بجوده وقراه فزعم بأنه ذو قرى دائم فهو يعقر لاضيافه أكبر نياقه واضخمها ليوفر لهم ولكل الجياع قدورا مترعة في كل حين وهو بعد هذا صاحب عطاء جم يتبرع به مرة بعد اخرى وهذا شيء ليس بالكثير عليه فقال : (٥٠)

أروي الظمـاء بكل حوض مفعـم جوداً واترع للسغاب قـد ورى (٥١)

---

(٤٧) طبقات الشعراء : لابن المعتز ص ١٣٣ .
(٤٨) العقد الفريد : لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٩٤ ط . لجنة التأليف والنشر .
(٤٩) الضرغامة : الاسد .
(٥٠) طبقات الشعراء : لابن المعتز ص ٤٦ .
(٥١) السغاب : الجياع .

وتظـــل للأحسان ضامنـــة القرى   من كل تامـكة السنام عقـير (٥٢)
أعطي اللهى (٥٣) متبرعا عوداً على   بـدء وذاك عليّ غـير كـثير

ولا شك بأن أجواد العرب اذ كانوا يهبون ويجزلون العطاء انما فعلوا ذلك طلباً للذكر الحميد الخالد وخوفاً من مذمة الشح والبخل . ولهذا فقد أشاد مروان بكرم السري بن عبد الله الهاشمي الذي أبقاه خالد الذكر على مرّ الزمان . والممدوح بعد هذا ذو أيادٍ كريمة سابغة ، أما اولئك الذين بخلوا وغلوا ايديهم فلهم الذم الخالد الذي لا يبيد فقال : (٥٤)

أصاب الردى قوما تمنوا لك الردى   لأنـك أعطيت الجزيل وصردوا (٥٥)
سيذهب ما ضمت عليـه أكفهـم   ويبقى لهم في النـاس ذمّ مخلـد
وتبقى أياديك الكريمـة بعـدما   يواريـك والجود الصفيح المنضد

ومن الأمثلة المتقدمة يتضح لنا أثر ظاهرة الجود والعطاء في شعر مروان، إذ ان الصلات الكبيرة والنفحات الضخمة التي نالها من الخلفاء والولاة حتمت عليه ان يطري هؤلاء الأجواد ويثني على عطاياهم في مدائحه لهم ، هذا الى جانب تغنيه بجوده الواسع وعطائه الجزيل .

٣ ــ الدين (القرآن الكريم) :

قامت الخلافة الاسلامية على أساس ديني ، فالخليفة ظل الله في أرضه ، وهو الحامي للدين والقائم بأمره والناشر لتعاليمه والحاكم وفق ما فرضته

(٥٢) تامكة السنام : ضخمة السنام . الناقة العقير . الذبيحة .
(٥٣) اللهى . جمع اللهوة : العطية .
(٥٤) حماسة : ابن الشجري ص ١١٠ ط . دائرة المعارف العثمانية .
(٥٥) صرّد العطاء : قلّله .

الشريعة الأسلامية وما جاء به القرآن من الفضائل الجديدة كالعدل والحق والمساواة • وكان الخليفة من يقوم معه بتصريف أمور الدولة يسرهم جميعاً أن يذاع عنهم في كل الامصار بأنهم حماة الدين وبأن حكمهم قائم على اساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • وقد كان الخلفاء حريصين جداً على أن تصطبغ خلافتهم بالصبغة الدينية • وكان الحديث عن اعزاز الدين وحمايته معنى استجد في العصر الاسلامي وتناوله الشعراء في مدائحهم للخلفاء ورجالهم بأعتباره معنى جديداً يرفع من مكانة الممدوح في النفوس • وقد لهج الشعراء العباسيون — ومنهم مروان بن أبي حفصة — بهذا المعنى الجديد فأفاضوا فيه في مدائحهم لخلفاء بني العباس وأمرائهم ورجال دولتهم •

واذ كادت مدائح مروان أن تقتصر على الطبقة الحاكمة ، فطبيعي أن يضفي على ممدوحيه ثوب الورع ولباس التقوى ، فهو قد مدح الخليفة المهدي بصيانته للدين واعزازه له ، وبأنه متمسك بالحق لا يسخط إلا له ، ولا يحكم إلا به ، لأن مرّ الحق عند المهدي افضل من حلاوة الباطل ،وهو ينتهي بعد كل هذا الى القول بأن الخليفة هو الحاكم العدل بعد الله ، وانه انما يحكم بأمره فقال : (٥٦)

هو المرء اما دينه فهو مانع — صؤون وأما ماله فهو باذله
تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضا — لدى موطن إلا على الحق حامله
يرى أن مرّ الحق أحلى مغبة — وانجى ولو كانت زعافاً مناهله
وانك بعد الله للحكم الذي — تصاب به من كلّ أمر مفاصله

ومدح الشاعر المهدي أيضاً بأنه أحيا سنن النبي (ص) فحرّم منها ما كان حراما وحلّل منها ما كان حلالا ، وفي سنة النبي تحريم الحرام

(٥٦) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٣٣ ط • دار احياء الكتب العربية •

وتحليل الحلال ، وعلى هذا فالخليفة متبع للسنة النبوية مهتدٍ بسيرة النبي الكريم فقال : (٥٧)

أحيا أمير المؤمنـــين محمـــد سنن النبي حرامها وحلالهـــا

وفي هذا المعنى كذلك قال مروان : (٥٨)

احيــا لنــا سنن النبي سميه قدّ الشراك به قرنت شراكـــا

ومدح المهدي أيضاً بأنه أحلّ الحلال فأحياه وحرّم الحرام فأماته فقال : (٥٩)

بمحمد بعـــد النبي محمد حيي الحلال ومات كـــل حرام

وأثنى مروان على بني العباس بأنهم القواعد الراسخة التي يمنع بهـا الاسلام ويصان ، وبأنهم بناة عزّ المسلمين ومجدهم ، وأما الخليفة المهدي فإنه ساهر على الدين شديد الحذر من اجل حمايته ، وهو بعد ذلك شديد الرأفة بالناس كالأب الحاني على ولده ، على ان هذه الرأفة بالرعية من جانب المهدي تقابلها الشدة والحزم اذ ان سيف عدل الخليفة العباسي ينتصف ممن يخرج على الحق ويخالفه .. قال الشاعر : (٦٠)

أيادي بني العباس بيض سوابـغ على كلّ قوم باديات عوائـــــد

وهم يعدلون السمك من قبة الهدى كما تعدل البيت الحرام القواعـــد

سواعـد عزّ المسلمـــين وإنمـا تنوء بصولات الاكفّ السواعد

يــكون غراراً نومــه من حــذاره على قبــة الاسلام والخلق راقد

(٥٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٦٦ .
(٥٨) كذلك ج ١ ص ٥٧٢ .
(٥٩) تاريخ الخلفاء : السيوطي ص ١٦٧ ط . اولى المشيرية .
(٦٠) (٦١) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٢٠ . ط دار احياء الكتب العربية.

كأن أمير المؤمنين محمدا
لرأفته بالناس للناس والد

على أنه من خالف الحق منهم سقته يد الموت الحتوف الرواصد

وأشاد مروان بمعن بن زائدة اذ حمى الدين وصانه وتداركه بعد ان تهددته الاخطار فقال : (٦١)

تدارك معن قبة الدين بعد ما خشينا على اوتادها أن تنزعا

وإذا كان العدل من مقومات الدين الأسلامي وأحد المعاني التي جاء بها القرآن الكريم وهو دستور الدين الاسلامي الذي يهتدي المسلمون بمعانيه الانسانية الجديدة ويحرصون على التمسك بها وقد أمر الله تعالى به أولي الأمر حين قال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » فقد اكثر مروان من مدح الخلفاء العباسيين به وبأنهم أولوا حلم جمّ لايغضبون إلا للحق ولا يحكمون إلا بما يرضي الله . ومن ذلك قوله يمدح المهدي : (٦٢)

ومالي الى المهدي لو كنت مذنباً سوى حلمه الضافي على الناس شافع

ولا هو عند السخط منه ولا الرضا بغير التي يرضى بها الله واقع

وفي هذا المعنى قال في المهدي أيضاً : (٦٣)

تروك الهوى لاالسخط منه ولاالرضا لدى مواطن إلا على الحق حامله

وأثنى على الرشيد بأنه خلف أباه المهدي بالعدل فكان حكمه عادلاً لاجور فيه ولا ظلم فقال : (٦٤)

(٦٠) (٦١) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٢٠ . ط دار احياء الكتب العربية.
(٦٢) كذلك ج ١ ص ٥٧٩ .
(٦٣) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٢٤ .
(٦٤) كذلك ج ١ ص ٥٣٣ .

خلفت لنـا المهدي بالعدل والندى فـلا العرف منزور ولا الحكم جائر

وكما مدح مروان الخلفاء العباسيين بالعدل فهو قد مدح بعض رجالهم بهذه الصفة كذلك فقال في الفضل بن يحيى بن خالد : (٦٥)

تخيرت للمدح ابن يحيى بن خالـد فحسبي ولـم أظـلم بأن اتخـيرا
له عادة ان يبسط العـدل والندى لمـن ساس من قحطان او من تنزّرا

ومدح الفضل أيضاً بأنه طرد العدو من بلاد خراسان وشتته فأزال المظالم وفكّ المقيّدين والاسارى ونشر العدل واقام الحق وازال المخاوف من النفوس وأجدى على الايتام واحسن اليهم فكان اعظم رأفة واكثر رحمة بهم من آبائهم ، وهو بعد كل هذا اذلّ المشركين واهل الضلالة والنفاق فكانت انتصاراته عزاً للدين وأهله ، وقد قام الفضل البرمكي بما قام به ليبسط سلطة الخليفة في خراسان وليخضع الخارجين عليه لأمره فمن أطاع الخليفة أمن سيف الفضل ومن عصاه فسيفه لا شك والغ في دمائه فقال : (٦٦)

حمدنا الذي ادّى ابن يحيى فأصبحت بمقدمـه تجري لنـا الطير أسعدا
نفى عن خراسان العـدو كمـا نفى ضحى الصبح جلباب الدجى فتعردا
لقـد راع من أمسى بمرو مسـيره الينا وقالوا شعبنـا قـد تبـدّدا
على حـين القى قفل كـل ظلامـه واطلق بالعفو الأسير المقيـدا
وأفشى بلا منّ مـع العـدل فيهم ايادي عرف باقيـات وعـوّدا
فأذهب روعات المخاوف منهـم واصـدر باغي الأمن فيهم وأوردا
واجدى على الايتـام فيهم بعرفـه فـكان من الآباء احنى واعـودا
يلين لمن اعطى الخليفة طاعـة ويسقي دم العاصي الحسام المهنـدا

(٦٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .
(٦٦) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٢٠ .

أذلّت مع الشرك النفاق سيوفه   وكانت لأهل الدين عزّاً مؤيدا

ولم يكن أثر القرآن الكريم في شعر مروان مقتصراً على تناول معانيه الانسانية الجديدة كالعدل والتمسك بالحق وتحليل الحلال وتحريم الحرام فحسب ، بل أن مروان تأثر بأسلوب هذا الكتاب العظيم فراح يضمن بعضاً من معانيه وألفاظه في شعره كغيره من الشعراء الذين اقتبسوا كثيراً من معاني القرآن الكريم الجديدة في العصر العباسي والعصور التى سبقته ، ذلك ان الروح القرآني سيطر على النفوس وكان الشعراء أسبق الناس تأثراً بهذا الروح . فالحطيئة على رقة اسلامه ـ كما يذكرون ـ تأثر بالقرآن الكريم واستمد من الآية الكريمة « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه » قوله :(٦٧)

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وجرير في عصر بني أمية أخذ قوله :(٦٨)

نال الخلافة اذ كانت له قدرا   كما اتى ربه موسى على قدر

من قوله تعالى في سورة طه « ثم جئت على قدر ياموسى » .

وظل الشعراء العباسيون ينهلون من منهل القرآن العذب ويضمنون شعرهم بعضا من آياته ، ومن ذلك قول السيد الحميري :(٦٩)

اذا انا لم احفظ وصاة محمد   ولا عهده يوم الغدير المؤكدا (٧٠)

فأني كمن يشري الضلالة بالهدى   تنصّر من بعد التقى او تهوّدا

---

(٦٧) الأغاني ج ٢ ص ١٧٣ ط . دار الكتب .

(٦٨) ديوان جرير ص ٢٧٥ . جمع وشرح محمد اسماعيل الصاوي .

(٦٩) الاغاني ج ٧ ص ٢٦٣ .

(٧٠) يريد الشاعر بالغدير « غدير خم » وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة . وقد روي عن ابن عباس (ر) ان النبي (ص) قال بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم واخذ بيده وقال : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه » .

فالشطر الاول من بيته الثاني مأخوذ معنى ولفظا من قوله تعالى « أولئك الذين أشتروا الضلالة بالهدى » •

أما مروان بن ابي حفصة فنستطيع ان نجد أثر القرآن الكريم في كثير من شعره فمن ذلك قوله يهجو قوماً يروون الشعر ولا يفقهونه : (٧١)

زوامل للاشعار لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر (٧٢)

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ... بأوساقه اوراح ما في الغرائر (٧٣)

فقد أستمد الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » فمروان شبه هؤلاء الذين يحفظون الشعر ويروونه وهم لا يفقهون منه شيئا بالبعير الذي يروح ويغدو مثقلاً بأحماله وهو لا يفقه شيئا مما يحمله ، وقد نهج الشاعر في تشبيهه هذا نهج القرآن اذ شبه اولئك الذين حملوا التوراة وهم لا يعون شيئا مما أحتواه هذا السفر السماوي بالحمار الذي لايفهم شيئا مما حمله على متنه من كتب العلم والأدب • والذي نلاحظه هنا أن الشاعر اقتبس هذا المعنى القرآني دون لفظه •

ومما قاله مروان متأثراً بالقرآن الكريم قوله ساخراً من الشاعر سلم الخاسر : (٧٤)

رأيت امرءاً نال السها فحسدته ... فلم يبق إلا ان تموت بدائكا

عضضت على كفيك حتى كأنما ... رزئت الذي أعطيت من صلب مالكا

---

(٧١) العقد الفريد • ابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٨٤ ط • لجنة التأليف والترجمة والنشر •

(٧٢) الزوامل : جمع زاملة وهي التي يحمل عليها من الابل وغيرها •

(٧٣) الأوساق : جمع وسق وهو حمل البعير او ستون صاعاً •

(٧٤) العمدة • ابن رشيق ج ١ ص ٨٥ ط • السعادة

ففي هذين البيتين معنيان اقتبسهما الشاعر من قوله تعالى في سورة آل عمران « وإذا خلوا الى أنفسهم عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم » فالشطر الثاني من البيت الاول تضمين لقوله تعالى « قل موتوا بغيظكم » أما الشطر الاول من البيت الثاني فقد نحا فيه الشاعر نحو قوله تعالى «عضوا عليكم الأنامل من الغيظ» وسلم الخاسر ـ كما يرى مروان ـ إنما عضّ كفيه من الغيظ أيضاً •

فالمعنى في الآية الكريمة وبيت مروان واحد • وفي بيتي مروان المتقدمين تضمين للآية الكريمة معنى ولفظاً •

ومما أخذه مروان من معاني القرآن الكريم قوله متحدثا عن فرط خوفه من الوعيد : (٧٥)

أبيت وجنبي لا يلائم مضجعا   اذا ما اطمأنت بالجنوب المضاجع

وهذا معنى مقتبس من قوله تعالى في سورة السجدة « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا » فحال مروان الخائف المرتجف الذي لا يطمئن به مضجعه كحال اولئك الخائفين من بارئهم العظيم •

هذا الى جانب ما كنا ذكرناه في الفصل السابق عن استنباط الشاعر لبعض معانيه من القرآن الكريم في دفاعه عن العباسيين في وجه المعارضة العلوية ، يوضح لنا الأثر الكبير للقرآن الكريم في شعر مروان من حيث معانيه وألفاظه • ذلك ان القرآن الكريم كان وما يزال عاملاً عظيم الاثر في نفوس الشعراء •

ومما تقدم يتبين لنا أثر الحياة الاجتماعية بطابعها الجاد في شعر مروان • فهو قد تناول في شعره الذي قدمناه مثلاً منه المقومات الاجتماعية والعادات العربية القديمة التي انبعثت من جديد في عصر مروان بن أبي حفصة •

(٧٥) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء : الراغب الاصبهاني ج ١ ص ١١٤ ط • المطبعة العامرة الشرفية •

الفصل الرابع

أثر الحالة الادبية واللغوية فى شعر مروان

تمهيد بحث

تقدم بنا في فصل سابق أن بيئة مروان كانت تزخر بالنشاط العلمي وبالحركة الفكرية الشاملة التي قامت على بعث التراث العربي القديم والاهتمام باللغة والبحث عن غريبها في الشواهد الشعرية والعناية برواية الشعر القديم وعدم الاحتفال بالشعراء المحدثين واشعارهم.ورأينا كيف أن العلماء واللغويين كانوا لا يروون شعر المحدثين ولا يستشهدون به .

ولقد كان أثر اللغويين في توجيه الشعراء كبيراً ، وقد مرَّ بنا فيما تقدم كيف أن اهتمام علماء البصرة بغريب اللغة كان سبباً مباشراً في ان يخضع رؤبة بن العجاج شعره لارادة النحاة وأن يحشوه بالشواهد الغريبة لتكون متوناً لغوية يفيد منها رجال اللغة والنحو .

وقد مرَّ بنا كذلك كيف أن النحاة والنقاد كانوا يترصدون الشعراء ويشيرون الى اخطائهم النحوية والمعنوية كما رأينا في موقف الاخفش من بشار بن برد وأبي عمرو بن العلاء من ذي الرمة وخلف الأحمر من أبيات جرير .

وقد رسم النقاد للشعراء طريق تقليد الاقدمين واقتفاء آثارهم ، ونجد ذلك في قول الاصمعي مثلاً « طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة ... » [1] فهذا القول وغيره دفع الشعراء الى أن

(١) الموشح . المرزباني ص ١٩٨ .

يحذوا حذوا الاقدمين ويتلمذوا لهم .

واذا كان لسلطان النحاة والنقاد هذا الأثر الكبير في توجيه شعراء هذه البيئة نحو تقليد القدامى واحتذائهم ، فإن هذا السلطان القوي هو الذي دفع مروان بن أبي حفصة الى أن يقلد الاقدمين وأن يحافظ في شعره ويأخذ بمذاهب الاوائل ويأتم بزهير بن أبي سلمى فيسلك طريقته في بناء القصيدة فيحككها ويطيل الصبر عليها ، ومن أجل هذا شبهه الاصمعي بزهير والحطيئة (٢) .

مروان بهذه البيئة المحافظة فيما يلي :

١ — احكامه على الشعراء : لم يكن النقد الأدبي عند العرب في عصورهم الأولى قائماً على تحليل وافٍ للشعر ، وانما كانت الأحكام النقدية على النصوص الادبية تعتمد كل الاعتماد على الذوق والسليقة والفطرة . فالقدماء اذ كانوا يحكمون على نص أدبي ، بالجودة أو الرداءة فأنهم لا يقدّمون تعليلاً شافياً لهذا الحكم .

وقد ظلّ سلطان الذوق الفردي والاعجاب الشخصي قوياً طوال العهدين الاسلامي والأموي تقريبا .

ومنذ أواخر القرن الأول الهجري وحتى القرن الثالث الهجري وما بعده — حيث بدأ التأليف في نقد الشعر على يدي محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء ، وابن قتيبة مؤلف « الشعر والشعراء » وقدامة بن جعفر صاحب « نقد الشعر » ، فمنذ ذلك التاريخ كانت هنالك طائفتان تتصدران نقد الشعر ، أولاهما : طائفة اللغويين والنحويين كأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والاصمعي وخلف الأحمر وغيرهم ، وقد قام نقد هؤلاء على شيء من التعليل والشرح تناولوا فيهما شكل القصيدة وعيوب

(٢) الاغاني ج ٣ ص ١٤٩ ط . دار الكتب .

الوزن والقافية وفصاحة اللغــة وجمال المعنى • وثانيتهما طائفة الخلفــاء والقواد والشعراء • ونقد هؤلاء ذوقي قائم في أغلبه على الفطرة والسليقة •على أنه لا يخلــو في بعض الاحيان من تعليل وتوضيح •

اما احكام مروان بن ابي حفصة على بعض الشعراء فانها تناولت الاغراض الشعرية التي طرقها الشعراء فأجادوا فيها ، من حيث استقصاء المعنى وقوته• فاحكامه تقوم في بعضها على شيء من التعليــل ومقارعة بالحجة ، وهي تقوم في بعضها الآخر على الطبع والذوق الفردي • هذا الى أن احكام مروان على الشعر والشعراء لم تتصل بما له علاقة باللغة والنحو والعروض فهو لم يكن لغويا ولا نحويا ولا عروضيا •

وأرى أن الشاعر قد جرى في بعضها احكامه في ~~الخلط~~ الخط الذي جرى فيه نقاد الشعر في بيئته الثقافية وأنه اقتفى آثرهم في بعض هده الاحكام •من ذلك مثــلا ، ان يونس بن حبيب النحوي سئل عن أشعر النــاس فقال : لا أوميء الى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغــة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب » [٣] فحكم يونس المتقدم يتصل بالاغراض الشعرية التي اجاد فيها كل شاعر من أولئــك الشعراء ، فامرؤ القيس أشعرهم في شعر الحماسة والقوة • والنابغة أجودهم في فن الاعتــذار وسؤال العفو ، وزهير أبرز الجميع في فن المديح ، أما الأعشى فأشعرهم في وصف الخمرة وما يتصل بها • وقد نحا مروان هذا النحــو حين سئل عن جرير والاخطل والفرزدق فحكم فيهم بشعر ، وهذا الاسلوب في النقد جديد ، اذ أن الاحكام النقدية تقوم على النثر دائما• قال مروان[٤]:

(٣) الاغاني ج ٩ ص ١٠٨ •

(٤) طبقات فحول الشعراء • ابن سلام ص ٣١٨ ط • دار المعارف للطباعة والنشر •

ذهب الفرزدق بالفخار وانما حلو الكلام ومرّه لجرير
ولقد هجا فأمضّ أخطلُ تغلب وحوى اللهى بمديحه المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير

فهذا الحكم مبني على أساس الاغراض التي اجاد فيها كل من الشعراء الثلاثة • فهم قد أحسنوا في فني المديح والهجاء • ولكن الفرزدق استقل بفن الفخر فكان أشعرهم فيه ، اما الاخطل فقد هجا هجاء مرا وكان ذا مديح مشهور • وأما جرير فانه اجاد في جميع الاغراض الشعرية •

ومن احكام مروان التي اتصلت بشيء من التوضيح والتعليل تقديمه لكثّير عزة على جرير والفرزدق في المديح ، فهو قد علل ذلك بأن كثّيراً كان يستقصي المديح وبأنه امدحهم للخلفاء (٥) • ومثل هذا الحكم قول أبي عبيدة في مروان نفسه « مروان أمدح للملوك » (٦) •

وحين عاب محمد بن سلام على كثير قوله في عبد الملك بن مروان (٧):

فإنّ أمير المؤمنين هو الذي غزا كامنات الصدر مني فنالَها

وقوله فيه أيضاً :

ترى ابن ابي العاصي وقد صُفّ دونه
ثمانون ألفا قد توافت كمولها
يقلّب عيني حية بمحارة اذا أمكنته شدة لا يقيلُها (٨)

(٥) الموشح • المرزباني ص ٢٢٨ ط • دار نهضة مصر •
(٦) الاغاني ج ٣ ص ١٤٤ ط • دار الكتب •
(٧) الموشح • المرزباني ص ٢٢٧ •
(٨) المحارة : المكان الذي يحار فيه أو اليه أي يرجع • الشدة : الهجمة والحملة على العدو •

فقد قال ابن سلام لمروان : من جودة مديحه هذا جعل دونه ثمانين ألفا وجعـله يقلب عيني حية بمحارة ، وجعل أمير المؤمنين غزا كامنات صدره ، فأجابه مروان معتذراً عن كثيّر ومدافعاً عنه ، وقال : هذا النابغة قال لملك العـرب :

احكم كحكم فتاة الحيّ اذ نظـرت الى حمام سراع وارد الثمد [٩]

فأمره أن يحكم بحكم فتاة ، وهكذا ناقش مروان ابن سـلام وقارع حجته بحجة استقاها من الشعر القديم .

وقد كانت بعض الاحكام النقدية على الشعراء في عصر مروان والعصر الذي سبقه تدل دلالة قاطعة على اختلاف الاهواء وتباين الأذواق . فقـد كان أبو عمرو بن العلاء يقول : أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس والنابغـة وطرفة ومهلهل . وقد سئل الفرزدق فقال : امرؤ القيس اشعر النـاس ، وقال جرير : النابغة أشعر الناس ، وقال الاخطل : الاعشى أشعر النـاس، وقال ابن أحمر : زهير اشعر الناس ، وقال ذو الرمة: لبيد أشعر الناس. وقال الكميت : عمرو بن كلثوم اشعر الناس [١٠] ، فهذه الاحكام تدل على عدم الاتفاق واختلاف الآراء . وقد حكم مروان حكما يضارع هذه الاحكام فقد انشد مروان يوما شعر زهير فقال : زهير والله أشعر الناس ، ثم انشد للاعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم انشد شعرا لأمريء القيس فقال : أمرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر الناس ، اي ان اشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد حتى ينتقل الى شعر غيره [١١].

(٩) الثمد : الماء القليل .

(١٠) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٩٧ ط . السعادة .

(١١) الاغاني ج ١٠ ص ٨٣ .

فحكم مروان المتقدم يؤيد ما نذهب اليه من أن الاعجاب الآني والذوق الشخصي هما مبعث الاحكام النقدية في ذلك العصر • فمروان مثلا حكم على الشاعر بأنه اشعر الناس حين وجده قد أجاد في قصيدة ما ، فاذا ما انتقل الى شاعر آخر ووجده قد أجاد كذلك حكم له بأنه الاشعر وهكذا • ويبدو لي أن ليس في حكم مروان المتقدم تناقض أو تضارب اذ أن الشاعر حين يعجب بأبيات شاعر ما يحكم عليه بأنه أشعر من غيره في مثل المعاني التي طرقها • •

ومما يدل على تأثر مروان بذوق علماء عصره أنه حين وجد أبا عمرو ابن العلاء يقول : عليكم بشعر الأعشى فأني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب والكركي (١٢) ، حكم مروان للأعشى بأنه اشعر الناس ، حين سئل عن اشعرهم فقال الذي يقول : (١٣)

كلا أبويكم كان فرع دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

ومما تقدم يتضح لنا أن مروان بن أبي حفصة قد تأثر بعلماء عصره في كثير من احكامه على الشعراء وقد كانت بعض هذه الاحكام مدعومة بشيء من التعليل والتوضيح بينما خلا بعضها الآخر من هذا التعليل وهذا التوضيح•

٢ — اقتداؤه بزهير في تنقيح شعره :

لقد كان من نتائج تأثر مروان بذوق علماء عصره أن نحا نحو زهير بن أبي سلمى في تنقيح شعره وتهذيبه وقد كانت تلمذته لزهير نتيجة من نتائج هذا التأثر • ويكاد يجمع النقاد الاقدمون على أن أي شاعر ، وان كان ذا شاعرية فذة وعبقرية منطلقة يقف عند قصيدته فيهذبها وينقحها ويغيّر من

(١٢) الاغاني ج ٩ ص ١١٠ •
(١٣) الاغاني ج ٩ ص ١١٠ •

عباراتها حتى تنقاد وتسلس ويبدل في قوافيها اذا كانت قلقة نافرة ، ويكمل معانيها ويتم الربط بين ابياتها قبل أن يخرجها الى الناس ويذيعها فيهم • وقد كان مروان واحداً من أولئك الشعراء الذين كرروا النظر في القصيدة بعد اتمامها خوفاً من اللفظ المستكره والمعنى الغث الرديء •

وقد بالغ مروان ـ شأن زهير وأضرابه ـ في المعاودة ومراجعة النظر في القصيدة ليقوّم معوجها وليثقف منآدها ، فكان لا يخرجها الى الناس حتى تعمر عاماً • والى ذلك أشار مروان بقوله : كنت أعمل القصيدة في أربعة اشهر ، واحككها في أربعة اشهر ، وأعرضها في اربعة اشهر ثم اخرج بها الى الناس • فقيل له : « فهذا هو الحولي المنقح » (١٤) ومن أجل هذا شبهه الأصمعي بزهير والحطيئة كما مرّ بنا فيما تقدم • وقد كان الاصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين (١٥) » واذن فالأصمعي يرى في صقل الشعر وتجويده تكلفا لا يتفق والطبع • وقد ذهب ابن قتيبة مذهب الأصمعي هذا إذ خلط بين تثقيف الشعر وبين التكلف حين قال : ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ، فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة (١٦) » وكأن ابن قتيبة أراد بالكلام المطبوع ما جاء عفو الخاطر ولم يتكلف صاحبه فيه شيئاً من الكد واعادة النظر ليأتي به نقياً لا شائبة فيه • ويحسن بنا أن نردّ على زعم ابن قتيبة هذا بما جاء في « العمدة » حيث قال ابن رشيق : ولا يكون الشاعر حاذقا

---

(١٤) الخصائص • ابن جني ج ١ ص ٣٣٠ ط • الهلال •
(١٥) الشعر والشعراء • ابن قتيبة ج ١ ص ٢٣ ط • دار الثقافة •
(١٦) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢ •

مجوداً حتى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره فيسقط رديئه ويثبت جيده ويكون سمحا بالركيك منه مطرحاً له ، راغبا عنه ، فإن بيتا جيداً يقاوم ألفي رديء»[١٧]

فابن رشيق يرى أن من صفات الشاعر المجيد الناجح أن يهذب أشعاره فيطرح منها الرديء الركيك ليكون شعره سالماً من كل نقص وعيب • ويتسامح ابن رشيق مع الشاعر الذي يقول القصيدة في مراده وأمور ذاته من مزاح ومكاتبة دون تثقيف أو مراجعة ، ولكنه لا يرتضي منه هذا المسلك حين يكون قد أعد قصيدته لحفل أو مجلس يقوم بين سماطين ، فلايقبل من الشاعر في هذه الحالة من الشعر إلا ما كان محككا قد عاود فيه النظر ، جيداً لاغث فيه ولا ساقط ولا قلق [١٨] • وإذ كانت كثرة قصائد مروان قد أعدت لمجالس الخلفاء العباسيين ووزرائهم وولاتهم ، فقد كان من حق الشاعر أن يذهب فيها مذهب زهير من حيث تنقيحها وتنقيتها مما يعلق بها من لفظ نافر ومعنى غث وقافية قلقة •

وهذا الخلط بين تنقيح الشعر وتجويده وبين التكلف فيه هو الذي قاد الاصمعي الى أن يحكم على بشار بن برد بالطبع وعلى مروان بالتكلف فقد نقل عنه أنه « كان يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ويقول كان ــ يريد بشاراً ــ مطبوعا لا يكلف طبعه شيئاً متعذراً لا كمن يقول البيت ويحككه أياما • وكان يشبّه بشاراً بالاعشى والنابغة الذبياني ويشبه مروان بزهير والحطيئة ويقول هو متكلف [١٩] » وبشار نفسه يقرّ بأنه لا يقبل كل ما توره عليه قريحته ويأتيه به خاطره وانما كان يختار التشبيهات اللطيفة

(١٧) العمدة ابن رشيق ج ١ ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ط • السعادة •

(١٨) العمدة • ابن رشيق ج ١ ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ط • السعادة •

(١٩) الاغاني ٣ ص ١٤٩ ط • دار الكتب •

وينتقي الحقائق الاصيلة فقد سئل : بم فقت أهل عمرك وسبقت أهل عصرك! في حسن معاني الشعر وتهذيب الفاظه ؟ فقال بشار : لأني لم أقبل كل ماتورده عليّ قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري ، ونظرت الى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسمت اليها بفكر جيد وغريزة قوية فأحكمت سبرها وأنتقيت حرّها وكشفت عن حقائقها واحترزت عن متكلفها ولا والله ما ملك قيادي الأعجاب بشيء مما آتي به [٢٠] » فهذا الذي قاله بشار يظهر لنا انه كان يهذب الفاظه وينقحها ، وانه لم يجر مع خاطره ولم يرخ العنان لطبعه وإنما انتقى أحاسن التشبيهات وأختار من المعاني والحقائق ما رآه مقبولاً مناسباً • وقد كان بشار يردّ بعض ما يأتيه به فكره وما يناجيه به خاطره ، وهو في كل هذا يحرص على أن لا ينجرف مع فكره وخاطره فيقع في شعره المتكلف أو الرديء • وإذا كان هذا هو مذهب بشار في قول الشعر فهو ومروان يلتقيان في أنهما كان يختاران المعنى الحسن ويهذبان الألفاظ ويكبحان جماح الفكر والخاطر ، ليكون شعرهما جيد المعنى صافي اللفظ حسن الرصف شديد التلاحم لا استكراه في قوافيه •

واذا كان الأصمعي ومحمد بن داود يذهبان الى ان مروان لم يكن مطبوعاً لأنه كان ينقح شعره ويحككه [٢١] ، فأن خلفا الأحمر — وهو من كبار نقاد الشعر ورواته — عاب على جرير بعض ابياته وعلل ذلك بأن جريراً كان قليل التنقيح مشرّد الألفاظ [٢٢] • وعلى هذا فأن خلفا الأحمر لا يعتبر التنقيح في الشعر تكلفا وإنما هو سبب من أسباب إحكامه وجودته •

(٢٠) العمدة ج ٢ ص ٢٣٩ ط • ط السعادة •
(٢١) الموشح • المرزباني ص ٣٩١ ط • دار نهضة مصر •
(٢٢) المصدر السابق ص ١٩٩ •

ان إحكام الصنعة في الشعر والصبر عليه وتنقيته من الردى والغث خصيصة شعرية لا يكاد ينفرد بها شاعر مجود دون آخر ، فقد كان الشعراء الأوائل يصبرون على الشعر ويكررون فيه النظر فيحكمون صنعته ، وهذا ما فعله بعدهم كثير من الشعراء المولدين كمروان بن أبي حفصة . فأمرؤ القيس — وهو كما يقولون أول من لطف المعاني وأول من استوقف على الطلول وشبه النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرّق بين النسيب وما سواه من القصيدة وقرّب مأخذ الكلام فقيد الاوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه (٢٣) ، أمرؤ القيس هذا الذي فضلوه على الشعراء وقدموه عليهم قال :

أذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام جريء جرادا
فلما كثرن وعنّينه تخير منهن شتى جيادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درّها المستجادا

فاذا كان اشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه ، فكيف ينبغي لغيره أن يصنع ! (٢٤) .

وأمر زهير بن أبي سلمى في تنقيح الشعر معروف فهو قد عمل سبع قصائد في سبع سنين فكانت تسمى « حوليات زهير » لأنه كان يحكم صياغة قصيدته في سنة (٢٥) .

ونهج الحطيئة نهج استاذه زهير فثقف شعره وهذبه وكان يقول : « خير الشعر الحولي المحكك » (٢٦) .

---

(٢٣) المزهر . السيوطي ج ٢ ص ٤٧٩ .
(٢٤) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٢٠٠ ط . السعادة .
(٢٥) الخصائص . ابن جني ج ١ ص ٣٣٠ ط . الهلال .
(٢٦) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٢٠١ .

وسلك عدي بن الرقاع — وهو شاعر أموي — هذا المسلك فكان يقوّم معوّج قصيدته ويثقفها بأن يبعد عنها الرديء ويقوّم منها المائل وهو يقول في ذلك : (٢٧) .

وقصيدةٍ قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها (٢٨)

نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها (٢٩)

وإذا كانت القصيدة المحكمة الجيدة تقتضي الشاعر أن يقف عندها ويطيل النظر فيها ، فلا يجوز لنا أن نعدّ هذا الذي فعله امرؤ القيس وزهير والحطيئة وعدي بن الرقاع ومروان وغيرهم تكلفا وخروجا عن الطبع ذلك أن التكلف في الشعر هو أن يكدّ الشاعر نفسه ويعنيها مشقة تلمس الصناعة البديعة أو لزوم مالا يلزم ، أو أن يبذل الجهد من اجل الزخرفة اللفظية او المعنوية فيجهد نفسه ويضنيها من اجل أمور لا يوجب الفن الاصيل التزامها . وهذا ما لم يكن هدف أولئك الشعراء المنقحين . لأن أحدهم اذ كان يكرر النظر في شعره ويقف عنده بيتا بيتا انما كان يفعل ذلك من اجل السبك الحسن والصورة الجيدة والمعنى الواضح والتأثير القوي ، والاسلوب الجزل المتين، وبلوغ الغاية من القوة والكمال والجمال . قال ابن طباطبا العلوي : « فاذا كملت له — يريد الشاعر — المعاني وكثرت الابيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها ، وسلكا جامعا لما تشتت منها ، ثم يتأمل ما قد أداه اليه طبعه ونتجته فكرته فيستقصي انتقاده ويرمي ما وهى منها ، ويبدل بكل لفظة سهلة

(٢٧) الاغاني ج ٩ ص ٣١٧ ط . دار الكتب .

(٢٨) السناد هنا : العيب وهو عند العروضيين الحرف الذي قبل الردف والردف الذي يكون قبل الروي .

(٢٩) المنآد : المعوج .

نقية ، وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول نقلها الى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل ذلك البيت أو نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله » (٣٠) .

ويرى أبو هلال العسكري أيضاً أن تخير الالفاظ وابدالها بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وازين صفاته (٣١) .

واذن ، فالشاعر المجود هو الذي يستبعد من شعره الواهي الضعيف من الألفاظ والمعاني ، ويحرص على أن تكون قوافيه متفقة مع معانيه ، وهو بعد ذلك لا ينتهي من القصيدة حتى تكون قد انتظمها سمط جامع لما تشتت منها ، وهو بعد ذلك أيضا يقصي عن قصيدته كل معنى ضعيف أو لفظ غث أداه اليه فكره أو طبعه .

ومما تقدم يتبين لنا أن معظم النقاد القدامى كانوا يفضلون الشعر المنقح المهذب الذي أعاد فيه صاحبه النظر وصابره ولاطفه ، واذا كان الامر كذلك فإن مروان بن أبي حفصة لم يكن شاعراً متكلفا ، كما حكم عليه بذلك الأصمعي ومحمد بن داود ، وإنما هو شاعر يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب ومن أجل فصاحة الشعر وجزالته ، وبسط المعنى وأبرازه ، واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض (٣٢) ، وهو لا يرمي — من تثقيفه لشعره من ترك لفظة لفظة أومعنى لمعنى — الى الحصول على طباق أو تقابل أو تورية أو جناس وما الى ذلك

(٣٠) عيار الشعر . ابن طباطبا ص ٥ ط . المكتبة التجارية .
(٣١) كتاب الصناعتين : العسكري ص ١٤١ ط . البابي الحلبي .
(٣٢) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ١٠٨ ط . حجازي .

من الوان الزخرفة البديعية •

وإذا كان مروان بن أبي حفصة قد اقتدى بزهير وقلّده وسار على هديه ونهج نهجه فهو إنما فعل هذا لئلا يقال عنه بأنه يعتسف الفلاة بغير دليل كما قيل عن الراعي النميري ، ومروان إنما هذّب شعره ونقحه ليتجنب الوقوع في الخطأ والزلل ، وليأمن بعد ذلك سلطان النقد الأدبي المترصد له ولأمثاله من شعراء عصره •

٣ ـ عرضه لشعره على الآخرين : وكان من أثر بيئة مروان الادبية وتحكم النقاد والنحاة بالشعراء ، ان اكثر مروان من الاستئناس بآراء بعض النحاة والنقاد والشعراء ليقولوا رأيهم في شعره قبل ان يذيعه في الناس • فعلى الرغم من أن مروان كان يهذب شعره وينقحه كما مر بنا فيما تقدم ، فإنه كان يأتي البصره ـ مركز بيئته الادبية ـ حيث علماء اللغة ورجال النحو والنقد فيعرض عليهم نتاجه الأدبي ويسترشد بآرائهم ويستنير بأحكامهم وبذلك يتقي حججهم ونقداتهم • فهو حين اتم قصيدته اللامية المشهورة التي أولها :

طرقتك زائرة فحيِّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قصد خلفا الأحمر ـ رواية الشعر المعروف ـ وقال له : انشدتك الله يا أبا محرز الا نصحتني في شعري فان الناس يخدعون في اشعارهم ثم انشده قصيدته التي تقدم مطلعها فقال له خلف : انت اشعر من الأعشى في قوله :

رحلت سمية غدوة اجمالها • • • • • •

فقال له مروان : اتبلغ بي الأعشى هكذا ولا كل ذا ؟ فقال الأحمر : ويحك ان الأعشى قال في قصيدته هذه :

فرميت غفلة عينه عن شاته (٣٣)　　　فأصبت حبة قلبهـا وطحالهـا

والطحال ما دخل قط في شيء إلا افسده وانت قصيدتك سليمة كلها .

فقال مروان : اني اذا أردت ان اقول قصيدة رفعتها في حول ، أقولها في اربعة اشهر ، وانتخلها في اربعة اشهر وأعرضها في اربعة أشهر . (٣٤) فمروان اذن ، يعزو سلامة قصيدته من المعنى الغث الرديء الى أنه كان يهـذب شعره وينقحه .

ويبدو أن مروان أراد ان يتأكد من سلامة لغة هذه القصيدة وعـدم خروجها عن القواعد النحوية فقصد حلقة يونس بن حبيب وقال له : اصلحك الله اني ارى اقواماً يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم عن سوءته فيمشي في الطريق احسن منه من ان يظهر مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعراً أعرضه عليك ، فإن كان جيدا اظهرته وان كان رديئاً سترته وانشده :

طرقتك زائرة فحي خيالهـــا　　　. . . . . .

فقال له يونس : يا هذا ، اذهب واظهر هذا الشعر ، فانت والله فيه اشعر من الأعشى في قوله :

رحلت سمية غـــدوة اجمالهـــا　　　. . . . . .

فقال له مروان : قد سؤتني وسررتني:فأما الذي سررتني به فلأرتضائك الشعر ، وأما الذي سؤتني به فلتقديمك اياي على الأعشى . قال : نعم ، ان الأعشى قال :

فرميت غفلة عينه عن شاتـه　　　فأصبت حبة قلبهـا وطحالهـا

والطحال لا يدخل في شيء إلا افسده وانت لم تقل ذلك (٣٥) .

---

(٣٣) الشطر الاول من الموشح . المرزباني ص ٧٥ ط . دار نهضةمصر .
(٣٤) الاغاني ج ١ ص ٨١ — ٨٢ ط . دار الكتب .
(٣٥) الموشح المرزباني ص ٧٥ .

فمروان على سروره بسلامة شعره من الفساد اللغوي والخطأ النحوي وعلى فرحه بخلو قصيدته من اللفظ الرديء والمعنى الفاسد ، كان يعرف للشعراء مكانتهم الادبية ويسوؤه ان يقدم على شاعر كبير كالاعشى الذي حكم له مروان نفسه بأنه اشعر العرب في الجاهلية (٣٦) .

ولم يكتف مروان بما سمعه من رضا خلف الأحمر واستحسان يونس النحوي لقصيدته اللامية التي تقدم مطلعها ، وإنما قصد بشار بن برد وانشده اياها فقال له بشار : احسنت انت اشعر فيها من الأعشى في قصيدته التي على رويها (٣٧) وبذلك يكون مروان قد تثبّت من تلاحم كلامه بعضه ببعض،من فصاحة لغته ووضوح معناه وقد حكم له بالفصاحة والكمال راوٍ ونحوي وشاعر .

ويبدو ان مروان كان يعرّج على البصرة — وهو في طريقه الى بغداد — للقاء بشار بن برد فهو حين قال قصيدته الميمية التي قال فيها :

أنى يكون وليس ذاك بكائن   لبني البنــات وراثة الاعمــام

قدم على بشار وانشده اياها . فقال بشار : يعطونك عليها مئــة الف درهم (٣٨) وقول بشار هذا يفصح عن رضاه عن القصيدة وانه يتوقع لهــا قبولا حسنا في البلاط العباسي وقد صدق حدس بشار ، فقد اعجب الخليفة المهدي بهذه القصيدة ايما اعجــاب .

ومما يؤيد عرض مروان لاشعاره على بشار قول محمد بن بشار : رأيت

(٣٦) خزانة الادب البغدادي ج ١ ص ١٦٥ ط السلفية .
(٣٧) الموشح المرزباني ص ٥٦ ط . جمعية نشر الكتب العربية .
(٣٨) الاغاني ج ١ ص ٢٢٢ .

مروان يعرض على ابي اشعاره وان بشارا قال له — ان وفيتَ قيم اشعارك استغنيت — (٣٩) .

ان جميع الروايات التي حدثتنا عن زيارات مروان لبشار وعرضه لشعره عليه ، لم تشر الى ان بشارا كان يقوّم شعر مروان كما يزعم الاصمعي(٤٠)، فكلما اشارت اليه هذه الروايات هو ان بشارا كان يسمع قصائد مروان ويستجيدها ويستحسنها فلو كان بشار قد قوّم شعر مروان لما اغفلت ذلك كل الروايات المتقدمة ، ولكان محمد بن بشار اشار الى ذلك ، وهو لاشك قد شاهد جانبا من مجالس مروان وبشار وانما اكتفى محمد هذا بالقول بان مروان كان يعرض على بشار اشعاره وليس في عرض الشاعر لشعره على الاخرين ضير أو عيب . فتلك سنة درج عليها الشعراء من قبله وقصة عرض الكميت بن زيد الاسدي لشعره على الفرزدق معروفة ومشهورة (٤١).

وبعد . فمروان بن ابي حفصة اذ قصد يونس النحوي وخلفا الاحمر وبشارا الشاعر ، فهو انما فعل ذلك بتأثير البيئة الادبية التي تسقطت اخطاء الشعراء واوقفتهم عليها . فخاف مروان سلطان اللغويين والنحويين والنقاد فراح يستقصي طاقته الفنية ليظفر بالقصيدة السليمة الجيدة فينال رضا النقاد واعجابهم . ولئلا يكون هدفا لطعنهم في لغته وحسن تراكيبه الشعرية وضبطه للقواعد النحوية كما فعلوا مع بشار وذي الرمة وجرير ، وهو ما مر بنا في أول هذا الفصل .

(٣٩) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ١٤٥ ط . حجازي .
(٤٠) الموشح المرزباني ص ٢٥١ .
(٤١) امالي المرتضى ج ١ صفحة ٦٦ ط . دار احياء الكتب العربية .

٤ ــ مشافهته للأعراب :

لقد كان من اثر ظهور اللحن وفساد السليقة العربية ، أن قامت النهضة اللغوية والادبية في بيئة مروان لوضع القواعد النحوية التي تحفظ الالسنة من الخطأ والزلل ، ولجمع اللغة والبحث عن غريبها . وقد سعى العلماء والشعراء الى البادية يأخذون الفصاحة عن الاعراب والبدو الذين لم يختلطوا بالاعاجم ولم تفسد عربيتهم وبقوا محافظين على فصاحة لغتهم . فكان اللغويون يخرجون الى البوادي او الى سوق المِربَد ليأخذوا اللغة وليدونوا ما يسمعونه من كلام العرب السليم من الرطن والعجمة . وفعل النحويون فعل اللغويين اذا كانوا يشافهون الاعراب ليأخذوا عنهم ما يصحح قواعدهم ، وحذا الأدباء حذو اللغويين والنحويين في مشافهة أهل البادية . فالجاحظ مثلا اخذ النحو عن الاخفش واخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة عن الاعراب شفاها بالمِربَد (٤٢) ونحا الشعراء نحو هؤلاء جميعا ، فقد كان بشار بن برد وابو نواس وامثالهما يخرجون الى المربد والى القبائل البدوية لأخذ الفصاحة وسلامة اللغة هناك (٤٣) . وقد سلك مروان بن ابي حفصة هذا المسلك على الرغم من انه كان مقيما في بادية نجد بعيداً عن حواضر الشام والعراق التي كثر فيها الاختلاط بالاعاجم . فقد حرص على سلامة لغته وفصاحتها فخالط الاعراب وتلقف عنهم الفصاحة شفاها ، وبذلك امن

(٤٢) معجم الادباء . ياقوت الحموي ج ٦ ص ٥٦ ط . اولى . دار المأمون .

(٤٣) ضحى الاسلام . احمد امين ج ٢ ص ٨١ ط . مكتبة النهضة المصرية .

اللحن والفساد في التعبير ، وقد حكى مروان ذلك عن نفسه معتزا حيث قال: « انا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني »(٤٤) . ولاشك في ان مشافهته للاعراب هذه قد جعلته شاعرا فصيح اللغة لا يلحن ولا يخرج على ما سمعه عن العرب . ولكننا مع كل هذا ، وعلى الرغم مما ناله مروان من رضا يونس النحوي واستحسان خلف الاحمر نجد الاصمعي يقول فيه : كان مولدا ولم يكن له علم باللغة »(٤٥) ، ولكننا لا نجد في كل ما صدر عليه من احكام نقدية طعنا في لغته كما هو الحال مثلا في طعن الاخفش على بشار في بعض استعمالاته اللغوية كما تقدم بنا ، فلو كان مروان ضعيف اللغة فاسدها لما وجدنا عالما من اكابر ائمة اللغة — كابن الاعرابي — يختم به الشعراء ولا يدوّن لأحد بعده شعرا(٤٦) .

ويبدو لي ان الاصمعي كان يقف من مروان موقف الخصم المترصد ، اذ نعته بالتكلف تارة وبضحالة اللغة تارة ثانية . هذا الى ان الاصمعي لم يكن يرضيه مذهب رواة الكوفة الذين ختموا الشعراء بمروان لانه كان يرى ان يختم الشعراء ببشار بن برد(٤٧) ولعل احد الاسباب التي دعت الاصمعي الى ان يقف هذا الموقف من مروان هو ما يراه من ان بشارا كان اكثر تصرفا وفنون شعر واغزر واوسع بديعا من مروان(٤٨) . ونحن نقول: اما ان بشارا كان اكثر تصرفا وفنون شعر من مروان فذلك قول حق لان

---

(٤٤) امالي المرتضى ج ٢ ص ٢٧٤ .
(٤٥) الموشح المرزباني ص ٢٥١ جمعية نشر الكتب العربية .
(٤٦) الاغاني ج ١ ص ٩٠ ط . دار الكتب .
(٤٧) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٨ .
(٤٨) الاغاني ج ٣ ص ١٤٧ ط . دار الكتب .

مروان لم يقل الشعر في الاغراض الهازلة العابثة كبشار . واما ان بشارا كان اغزر شعرا من مروان ، فهذا ايضا قول حق لأن بشارا كان ينظم الشذرة ثم يجعل الى جانبها بعرة (٤٩) . ولكننا لا نجد هـــذه البعرة الى جانب شذرات مروان . واما انه اوسع بديعــا من مروان ، فان البديع لون من ألوان التكلف الذي لا نجده في شعر مروان . وقد يكون وقوف مروان الى جانب الفرزدق وتقديمه اياه على جرير في النقائض احد الاسباب التي ادت بالاصمعي الى ان يقف من مروان هذا الموقف . فقد قال مروان : كان جرير اذا اخذ الناس غلبهم واذا اخذ الفرزدق جريرا غلبه الفرزدق ، ومن نظر في النقائض تبين له ذلك ، وعلم ان جريراً لم يقم فيها للفرزدق (٥٠) وقد كان الاصمعي خصما للفرزدق لان هذا الأخير هجا باهلة قبيلة الأصمعي فكان هذا الهجاء سببا في تحامل الاصمعي على الفرزدق وقوله فيه : تسعة اعشار شعر الفرزدق سرقــة وكان يكابر . واما جرير فما علمتــه سرق الا نصف بيت (٥١) .

مما تقدم يتبين لنا ان هنالك اكثر من سبب واحد ادى بالاصمعي الى ان يحاول تأخير مروان والنيل منه ، على انني اظن ان الأصمعي كان يعــلم ان مروان يمثل البادية تمثيلا صحيحا ومن أجل هذا رضي عنه معظم علمـــاء اللغة ، ان لم أقل كلهم ، واذا كان وجه التفاضل بين مروان وبشار هـــو

(٤٩) الموشح المرزباني ص ٣٩٠ ط . دار نهضة مصر . والشذرة اللؤلؤ الصغير .

(٥٠) الموشح المرزباني ص ١٩٢ .

(٥١) المصدر السابق ص ١٦٧ .

المقياس اللغوي الذي يعني به علماء اللغة رصانة الاسلوب ومتانة اللفظ ، فمروان هو المقدم على بشار . واذا كان مقياس التفاضل بينهما قرب الماخذ والدنو من اذهان الناس والتصرف بالفنون الشعرية فبشار هو المقدم على مروان . ولكن الاصمعي وقف الى جانب بشار في الحالين .

ويجدر بنا ان تشير هنا الى ان صاحب العمدة يرى ان مروان بن ابي حفصة من طبقة بشار بن برد (٥٢) ومهما يكن من امر فان طلب مروان للفصاحة ومشافهته للاعراب كان اثرا من آثار بيئته اللغوية والادبية شأنه في ذلك شأن الكثيرين من أرباب اللغة والادب والشعر .

(٥) ولاشك عندي في ان مروان بن ابي حفصة شبّ على حب تراث الآباء والاجداد متعلقا باصوله ، بتأثير بيئته من حيث احوالها السياسة والاجتماعية والادبية ، وبتأثير نشأته البدوية واقامته بعيدا عن جديد الحواضر . وقد انعكست الوان حياته البدوية الجادة على اتجاهه الشعري فسلك طريق الأوائل وذهب مذهبهم في قول الشعر . فكان امتداداً لهم ، تلميذا لمدرستهم ، محافظا على سنن الاقدمين في نهجهم الشعري فكان بقية من عصر سالف بعيد ، على سهولة في اللفظ هي اثر من آثار الزمان الطويل بين العصرين . فهو دعامة من دعائم مدرسة الشعر المحافظ (٥٣) .

واننا لنجد في آراء الكثيرين من العلماء الاقدمين في مروان اتفاقا على انه كان قديما في عصر جديد . فالاصمعي يسأل عنه فيجيب : بان مروان لم يتجاوز مذاهب الاوائل (٥٤) واسحق بن ابراهيم الموصلي يسأل عنه ايضا

---

(٥٢) العمدة بن رشيق ج ١ ص ١٠١ ط . السعادة .
(٥٣) تاريخ الشعر العربي ــ نجيب محمد البهبيتي ٤٧٢ ــ ٤٧٣ .
(٥٤) الاغاني ج ٣ ص ١٤٧ ط . دار الكتب .

فيجيب : بان كلامه ومذهبه اشبه بكلام العرب ومذاهبها (٥٥) . فاذا كان مروان كذلك ، صح ان يكون قد غلب على شعره طابع التقليد والمحافظة الى حد كبير ، واننا اذ نقرأ قصائده نجد فيها سمات هذه الطابع في بناء القصيدة والاغراض الشعرية والمعاني والأوزان الطوال . وسنتناول كل هذا وغيره بالبحث عند الكلام عن خصائص شعر مروان .

(٥٥) الاغاني ج ٣ ص ١٥٦ ط . دار الكتب .

الفصل الخامس

اغراض مروان الشعرية

ان دراستي لفنون مروان الشعرية قائمة على ما توفر لي جمعه من شعره المتفرق في مصادر الأدب العربي القديمة ، مخطوطة ومطبوعة . ولعل ابرز اغراضه الشعرية هي : النسيب ، المديح ، الرثاء ، الوصف ، الهجاء ، الفخر وشعر الحرب .

١ ــ النسيب :

لم يكن مروان بن أبي حفصة عاشقاً او محبا مولهاً فليس بين ايدينا ما يشير الى هذا . واذن ، فلم يكن مبعث ذكره للمرأة او حديثه عنها الحب الصادق والعاطفة المشبوبة وانما استخدم مروان هذا الفن ليمهد به لأغراضه الشعرية الرئيسة كالمديح في أكثر الأحيان ، كما فعل الأوائل من قبله ، فنسيب مروان صورة من صور الاتباع وتقليد القدماء في نهجهم الشعري ومن هذا اللون قوله في صدر قصيدة مدح بها المهدي تحدث فيها عن الخيال العائد والذكرى المبكية والدمع الساجم والحنين الى الحبيب النائي ومعاناة جور الاحبة وقسوتهم . ثم يتحول بعد هذا الى التغني بجمال العيون وتلع الاعناق والحديث الندي الغض فيقول (١) :

(١) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥١٩ ط . لدار احياء الكتب العربية .

اعادك من ذكر الاحبة عائد اجل واستخفتك الرسوم البوائدُ
تذكرت من تهوى فابكاك ذكره فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد
تحن ويأبى ان يساعدك الهوى والموت خير من هوى لا يساعد
الا طالما انهيت دمعك طائعا وجارت عليك الآنسات النواهد
تذكرنا ابصارها مقل المها واعناقها أدمُ الضباء العواقد (٢)
تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در أسلمته المعاقدُ

لقد تناول الشاعر في الابيات المتقدمة ما يعانيه المحب من لوعة الفراق وشدة الصبابة ولاعج الشوق ، وهي عناصر استحسنها النقاد في النسيب لانها دليل على وجد المحب ومعاناته ولانهم نفروا من المحب الذي يحاول ان يظهر بمظهر الآباء والجلادة قال ابو هلال العسكري : وينبغي ان يكون النسيب دالا على شدة الصبابة وافراط الوجد والتهالك في الصبوة ويكون بريئاً من دلائل الخشونة والجلادة وامارات الاباء والعزة . (٣) ونسب مروان بهذه التي اقتحمت عليه مخدعه بجمال وغنج وهي تضوع بعطر روضة ندية شهية فانقاد لها قلبه . ومثلها يميل بحسنها ودلها وعطرها القلوب الى الهوى ويقودها الى الصبابة فقال (٤) .

طرقتك (٥) زائرة فحيِّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فأستقاد ومثلها قاد القلوب الى الهوى فامالها
وكأنما طرقت بنفحة روضة سحت بها (٦) ديم الربيع ظلالها

---

(٢) الآدم : السمرة . العواقد الظباء التي تميل بأعناقها .
(٣) الصناعتين . العسكري ص ١٢٩ ط . البابي الحلبي .
(٤) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ .
(٥) الطروق : الأتيان بالليل .
(٦) الديم واحدة الديمة . مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .

وقد اجاد مروان اذ حيا خيال الحبيبة الطارق .

وهو في هذا يفضل طرفه بن العبد لأن هذا الاخير طرد خيال حبيبته ورده اذ قال : (٧)

فقل لخيال الحنظلية ينقلب   اليها فأني واصل حبل من وصل

ويفضل جريراً كذلك لقوله :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

فقد قيل (كان ينبغي ان يأخذ بيدها ويرحب بها ويدني مجلسها ، اما هذا البيت فيدل على انه خارج من قلب لا يعرف الحب) (٨) .

وتحدث مروان عن الغواني الحسان وما فعلنه بعشاقهن وصرعاهن كعروة ابن حزام الذي أغرم بصاحبته عفراء والمرقش الأكبر وما أصابه من ذهول بسبب حبه لابنة عمه اسماء بنت عوف ، وابي ذؤيب صريع صاحبته ام عمرو وكثيّر المتبول بحب عزة بنت حميد وجميل قتيل بثينة وعمر بن ابي ربيعة الذي أخذ نفسه بحب الآنسات وربات الحجال فقال : (٩)

ان الغواني طالما قتّلننا   بعيونهن ولا يدين قتيلا
من كل آنسة كأن حجالها   ضمن احور في الكناس كحيلا (١٠)
أردين عروة والمرقش قبلة   كل اصيب وما اطاق ذهولا
ولقد تركن ابا ذؤيب هائما   ولقد تبلن كثيّراً وجميلا
وتركن لابن أبي ربيعة منطقا   فيهن اصبح سائرا محمولا

---

(٧) العمدة بن رشيق ج ٢ ص ١٢٥ ط . السعادة .
(٨) الاغاني ج ٨ ص ٣٨ ط . دار الكتب .
(٩) الكامل في اللغة والادب . المبرد ج ٢ ص ٤٣ ط . التقدم بمصر .
(١٠) الكناس : حيث تكنس البقرة والضبية وهو ان تتخذ في الشجرة كالبيت تأوى اليه .

إلاّ اكن ممــن قتلن فانني ممن تركن فؤاده مجبــولا

فمروان في هذه الأبيات يزعم ان هؤلاء الغانيات قد فعلن به مثلما فعلن بغيره، اذ تركن قلبه متبولاً متيما اسير هواهن وحبهن. وقد علق سيد بن علي المرصفي على أبيات الشاعر المتقدمة بأنها محمولة على ابيات لجميل بثينة تحدث فيها عن العاشقين الذين ذهبوا صرعى الهوى والغرام كالمرقش وعروة . وجميل في ابياته يتأسى بهؤلاء الذين سبقوه الى العشق فماتوا في سبيله وبسببه وهو يعلم انه لابد وارد الحوض الذي نهلوا منه فقال (١١) :

لمــا أطالوا عتابي فيــك قلت لهم لا تفرطوا بعد هذا اللوم واقتصدوا

قد مات قبلي أخــو نهد وصاحبه مرقش واشتفى من عروة الكمد

وكلهم كـــان من عشق منيته وقد وجدت بها فوق الذي وجدوا

اني لأرهب او قــد كدت اعلمــه أن سوف توردني الحوض الذي وردوا

وإذا كان مروان عيالاً على جميل في هذه الأبيات ــ كما يرى المرصفي ــ فإن الدافع على قولها عند مروان غيره عند جميل ، فجميل إنما أراد بما قال كف العاذلين ولوم اللائمين الذين أفرطوا في محاولاتهم لرده عما هو فيه من دنف وكمد . فهو يتأسى بنهاية اولئك العشاق ويرى انه أحق منهم بتلك النهاية لانه وجد فوق وجدهم وهام فوق هيامهم. اما مروان فلم يقصد الى ما قصده جميل فشتان بين هوى جميل وتقوّل مروان بالغرام . فمروان إنما أراد بأبياته الحديث عن النساء الحسان وما فعلنه بالمغرمين الذين عانوا من كمد العشق وليشير الى ما أصابه من الهوى الذي أصاب سابقيه وإذا لم يكن نسيب مروان خارجا من قلب عاشق ، فانه صادر عن نفس رقيقة الحواشي غضة الإهاب .

---

(١١) رغبة الأمل من كتاب الكامل سيد بن علي المرصفي ج٦ ص٨٢ ط. التقدم.

أن المثل المتقدمة من نسيب مروان تمتاز بوضوح المعاني وتآلف الالفاظ ورقتها وخلوها من الكلمات الغثة الثقيلة • وأسلوبه الغزلي ليّن سهل في غير ابتذال ذلك ان النسيب تعبير عن العواطف الرقيقة ، وهذه العواطف تقتضي الشاعر أن يصورها بألفاظ ندية عذبة كالدلال والجمال والأطياف والصبا والهوى وما الى ذلك •

٢ — المديح :

وهو تعداد للشمائل الحميدة والمزايا الكريمة واظهار لعاطفة الاعجاب بالفرد او المجموع ، او شكران ليد بيضاء سابغة • وكثيرون اولئك الذين ملكوا على الشعراء مشاعرهم وأحاسيسهم بما لمسوه فيهم من بطولات نادرة وخلائق سمحة كريمة وفعال جليلة عظيمة ولهذا كانت معظم المدائح في الشعر العربي غنائية تصدر عن اعجاب ذاتي وتقدير فردي • وفن المديح في الشعر العربي أبرز الفنون الشعرية وأوسعها انتشاراً وأكثرها ظهوراً في كل العصور• ذلك أن الشعراء ينظرون الى خلفائهم وقادتهم فيعجبهم فيهم البأس والسماحة والحلم والحكمة والاباء والعدل وما الى ذلك من خصال مستحبة وصفات طيبة • وطبيعي ان الشعراء اذ كانوا يمدحون اولئك بمثل تلك الصفات إنما كانوا يجرون مع العرف السائد القائم على اعتبار تلك الخصال مثلا عليا يجب على الآخرين ان يتحلوا بها • هذا الى أن أبراز الشخصية الممدحة وجعلها نموذجاً يدفع الناس الى التشبه بهذا النموذج والاقتداء به وعلى هذا فإن ذن المديح يسهم في حث الناس على الاعمال الخيرة والفعال الكريمة •

وإذ كان المديح فناً بارزاً في الشعر العربي ومذهبا سائداً في العصر بباسي فإن مروان بن أبي حفصة كان واحداً من الشعراء الذين أسهموا في ابراز جوانب العظمة الفردية والمحاسن الشخصية ، ذلك انه عاصر نفراً من

الناس عرفوا بالحلم والشجاعة والكرم ، فكان ذلك سبباً في اعجاب مروان بهم اولاً ولشكر نعمائهم عليه ثانياً ، ولقد كان المديح غرضا صارخا بين فنونه الشعرية الاخرى .

تكسب مروان بالمديح : ــ اذا كان مروان قد استجدى بشعره الخلفاء والأمراء والقواد فإنه لم يكن اول من ابتذل ماء وجهه في السؤال . فالنابغة ــ كما يزعمون ــ كان اول من فتح باب التكسب بالمديح حينما انقطع الى النعمان بن المنذر وقبل صلته وكسب مالاً عظيماً (١٢) ومثله فعل الاعشى الذي طلب العطاء في بلاد العجم (١٣) . وعلى هذا فإن الشعراء الجاهليين كانوا أول من وطّأوا للشعراء طريق التكسب بالشعر بعد أن كان المديح ثمرة الأعجاب بالفضائل او الأعتراف بجميل وشكر يد بيضاء . قال ابن رشيق « كانت العرب لا تتكسب بالشعر وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة او مكافأة عن يد لا يستطيع اداء حقها إلا بالشكر اعظاماً لهـا . . حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر » (١٤) .

ولقد كان تكسب الشاعر بشعره سبباً لانحطاط منزلته وتدهور مكانته الأجتماعية حتى قُدّم عليه الخطيب بعد أن كان الشاعر هو الأثير المقدم . فقد كان الشاعر في مبتدأ امره ارفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه ، وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطعموا أموال الناس وجشعوا فخشعوا وأطمأنت بهم دار الذلة إلا من وقّر نفسه وقارها وعرف لها مقدارها حتى قبض

---

(١٢) (١٣) (١٤) العمدة ابن رشيق ج ٢ ص ٨٠ ط . السعادة .

نقى العرض مصون الوجه . (١٥)

وتجر مروان بشعره فكسب ما شاء له الله ان يكسب ،قال ابن رشيق: « ومروان بن أبي حفصة اعطى مئة الف دينار غير مرة وكان لا يقابل إلا بالكثير وهو لعمري من ذوي البيوتات والمعرقين في التكسب بالشعر » (١٦) فهو قد مدح معن بن زائدة الشيباني ، ومعن معروف بكرمه وسماحته حتى انه ليقول للمنصور حين اظهر له غضبه لعطاياه الكثيرة لمروان : « والله ياامير المؤمنين لولا مخافة النقمة عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت الاموال وابحته اياها » (١٧) ، ومدح العباسيين فكان رسمهم ان يعطوه الف درهم عن كل بيت يمدحهم به ولنا ان نقدر مقدار الجوائز الضخمة والعطايا السنية التي ظفر بها منهم جميعاً .

ما يتناوله المديح من الفضائل والصفات : —

اختلف النقاد الأقدمون في الفضائل والصفات التي يجب أن يتناولها المديح . فقدامة بن جعفر يفضل ان يمدح المرء بالفضائل النفسية كالعقل والعدل والعفة والشجاعة دون الأوصاف الجسمية كالجمال والحسن والبهاء وما الى ذلك ويعتبر العدول عن الفضائل النفسية في المديح الى ذكر الاوصاف الجسمية فحسب امراً معيبا (١٨) .

وقد ذهب ابو هلال العسكري مذهب قدامة حيث انه يرى ان من عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس من العقل والعفة والعدل

(١٥) العمدة ج ١ ص ٨٢ — ٨٣ .
(١٦) كذلك ج ٢ ص ١٨٥ .
(١٧) الاغاني ج ١ ص ٨٦ ط . دار الكتب .
(١٨) نقد الشعر . قدامه بن جعفر ص ٦٩ .

والشجاعة الى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة (١٩) .

وقد عارض بن سنان الخفاجي في سر الفصاحة رأي قدامة المتقدم في رفض المديح بالاوصاف العارضة وذهب الى أن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به ، ويدل على الخصال المحمودة ، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد جبلت النفوس عليه من الميل الى الوجوه الحسان لكفى واغنى . (٢٠)

أما ابن رشيق القيرواني فيرى ان لا غضاضة من اضافة المدح بالفضائل العرضية كسعة الدنيا والبهاء وكثرة العدد الى الفضائل النفسية التي يتحلى بها المرء على أن تكون هذه الفضائل هي المتقدمة على غيرها والمعول عليها (٢١).

ومما تقدم يتبين لنا أن النقاد العرب اجمعوا على قبول المدائح التي تشيد بالفضائل النفسية ولكنهم اختلفوا في قبول المدح بالأوصاف الجسمية والفضائل العرضية . فقدامة بن جعفر والعسكري رفضا قبول هذا اللون من الصفات اما ابن سنان فقد اعتبر ذلك أمراً حسناً مقبولاً في المديح ، وأما ابن رشيق فقد قبله في المديح على ان يضاف الى الفضائل النفسية . ونحن نذهب مذهب ابن رشيق فلا نرفض المدح بالفضائل العارضة والاوصاف الجسمية على أن تستظل بالفضائل النفسية التي يجب ان تكون هي المعول عليها في المديح لأنها خير ما يمدح بها المرء فاذا هي اقترنت بالاوصاف الجسمية كان ذلك ابلغ واكثر هزاً للنفوس .

أما مروان بن أبي حفصة فقد مدح بالفضائل النفسية وبالأوصاف العرضية وقد كان للون الاول النصيب الأكبر في مدائحه . فمن مدائحه

(١٩) الصاعتين العسكري ص ٩٨ ط . البابي الحلبي .
(٢٠) سر الفصاحة الخفاجي ص ٢٥٠ ط . الرحمانية .
(٢١) العمدة ج ٢ ص ١٣٥ ط السعادة .

بالفضائل النفسية قوله مشيداً بشجاعة بني مطر — قوم معن بن زائدة — وبأنهم ذوو سيادة ورأى صائب يجيبون الداعي ويحسنون الى الطالب ويحمون جارهم وهم بعد كل هذا ذوو فعال وحلم (٢٢) :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في بطن خفّان أشبل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم ان قالوا أصابوا وإن دعوا
أجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهم واحلامهم منها لدى الوزن اثقل (٢٣)

الأبيات المتقدمة تروع بلطف معانيه وسلامة الفاظها ومتانة سبكها . وهي بعد هذا تكاد ان تكون قد استوعبت الفضائل النفسية التي يستحسن قدامة بن جعفر المدح بها وهي الشجاعة والعقل والعفة والعدل (٢٤) .

ومدح معن بن زائدة الشيباني باتباع طريق الرشاد والسداد وبأجتناب كل ما يزري بالرجل الكريم ولأنه ذو اخلاق حميدة لا تتغير ولا تتبدل فقال : — (٢٥)

موفق لسبيل الرشد متبع يزينه كلما يأتي ويجتنب
له خلائق بيض لا يغيّرها صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

(٢٢) العمدة ج ٢ ص ١٤٨ . ط . السعادة .
(٢٣) وفيات الاعيان . بن خلكان ج ٤ ص ٢٧٦ ط السعادة .
(٢٤) نقد الشعر . قدامة بن جعفر ص ٦٩ .
(٢٥) مروج الذهب . المسعودي ج ٣ ص ٣٦٦ ط السعادة .

ومما جمع به مروان بين المدح بالفضائل النفسية والصفات الجسمية قوله يمدح معنا بالبأس والاقدام والجرأة وببهاء الطلعة وجمال الوجه اذ شبهه بالقمر المنير : (٣٦)

يلقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها — كالليث يزداد أقـداماً اذا زجرا
اغـرٌ يحسب يوم الروع ذا لبد — وردا ويحسب فوق المنـبر القمرا

ومن مديحه بالصفات العارضة قوله في الفضل البرمكي (٣٧):

ما الفضـل الا شهاب لا افول لـه — عند الحروب اذا ما تأفل الشهبُ

ومروان في هذا البيت تأثر ابن قيس الرقيات في مديحـه لمصعب بن الزبير حيث قال (٣٨) :

انمـا مصعب شهاب من اللـ — ـه تجلت عن وجهـه الظلماءُ

ومدح مروان ممدوحيه بالحياء الشديد حتى ان دماء الخجل والحيـاء لتنحدر من اسارير وجوههم خوفا من تحوّل هذا الحياء الى صورةالمذلـة فقال (٣٩) :

يكاد يخـرج من ديباج اوجههم — خوفَ المذلة حتى ينفطرن دمـا

ومدح الخليفة المهدي بانه ذو هيبةتغض لها العيون أطرافها وبانه يغض طرفه عن الآخرين خشوعا لله وخوفا منه فقال (٣٠) :

تغضٌ له الطرفَ العيون وطرفـه — على غيره من خشية الله خاشـعُ

(٣٦) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ ط • دار احياء الكتب •
(٣٧) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٦٢ ط • الاستقامة •
(٣٨) الاغاني • ج ٥ ص ٧٩ ط • دار الكتب •
(٣٩) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء • الراغب الاصبهاني ج ١ ص ١١٤ ط • المطبعة العامرة الشرفية •
(٣٠) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٢٤ •

ولا اشك في ان الشاعر قد تأثر في بيته المتقدم قول الشاعر يمدح علي بن الحسين (٣١) .

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسمُ

ومدح ممدوحيه بالبيان والفصاحة فقال (٣٢) :

وما خُلقت الا لبذل اكفهم والسنهم الا لتحبير منطقِ
فيوما يبارون الرياح سماحة ويوما لبذل الخاطب المتشدقِ

ويرى كلثوم العتابي ان ابا نواس سرق معنى مروان المتقدم في قوله (٣٣) :

وما خلقت الا لبذل اكفهم واقدامهم الا لأعواد منبر

ومدح مروان العباسيين وولاتهم وقادتهم بمعان جديدة استمدها من الدين كالعدل والرأفة ونصرة الحق وهذه المعاني تمثل التجديد في فن المديح. فقد مدح مروان العباسيين بانهم حموا الدين واعزوا المسلمين وسهروا ليلهم حذرا من تعرض الاسلام للخطر . اما الخليفة المهدي فقد حنا على الناس ورأف بهم وحكم بالعدل ونصر الحق فقال (٣٤) :

وهم يعدلون السمك من قبة الهدى كما تعدل البيتَ الحرام القواعدُ
سواعد عز المسلمين وانما تنوء بصولات الاكف السواعدُ
يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الاسلام والخلق راقد
كأن امير المؤمنين محمدا لرأفته بالناس للناس والدُ
على انه من خالف الحق منهم سقته يد الموت الحتوف الرواصد

(٣١) المؤتلف والمختلف : الآمدي ص ٨٩ ط القدسي .
(٣٢) مروج الذهب . المسعودي ج ٣ ص ٣٦٦ .
(٣٣) مروج الذهب . المسعودي ج ٣ ص ٣٦٦ ط . السعادة .
(٣٤) امالي المرتضى ج ١ ص ٥١٩ ط . احياء الكتب العربية .

ومدح المهدي ايضا بانه اعز الدين ومنعه وحماه من العدوان، وهو بعد ذلك لا يحكم الا بالحق والعدل وبأنه لا ينحرف عما امر به الله من العدل والمساواة في سياسة الرعية فقال (٣٥) :

هو المرء اما دينه فهو مانع صئون واما ماله فهو باذله
تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضا لدى موطن الا على الحق حامله
يرى ان مر الحق احلى مغبة وانجى ولو كانت زعافا مناهله
فان طليق الله من انت مطلق وان قتيل الله من انت قاتله
وانك بعد الله للحكم الذي تصاب به من كل امر مفاصله

ومدح الفضل بن يحيى البرمكي بانه نشر العدل في خراسان وازال المظالم وادخل الامن والطمأنينة الى القلوب واعز الدين الاسلامي وصانه حين اطفأ نيران الشرك والضلال ، وبانه حطه قيود الاسارى وحنا على اليتامى واجدى عليهم فقال (٣٦) :

لقد راع من امسى بمرو مسيره الينا وقالوا شعبنا قد تبددا
على حين القى قفل كل ظلامه واطلق بالعفو الاسير المقيدا
وافشى بلامن مع العدل فيهم ايادي عرف بقيات وعودا
فاذهب روعات المخاوف عنهم واصدر باغي الامن فيهم واوردا
واجدى على الايتام فيهم بعرفه فكان من الآباء احنى واعودا
أذلَتْ مع الشرك النفاقَ سيوفُه وكانت لأهل الدين عزا مؤبدا
ابحتَ جبال الكابلي ولم تدع بهن لنيران الضلالة موقدا (٣٧)

(٣٥) كذلك ج ١ ص ٥٣٢ .
(٣٦) الطبري ج ٦ ص ٤٦٤ ط . الاستقامة .
(٣٧) قال مروان هذه القصيدة بعد عودة الفضل بن يحيى البرمكي من

ووصل مروان مديحه للعباسيين بالنضال السياسي للدفاع عن حقهم في وراثة الخلافة الاسلامية بعد النبي (ص) ولسنا بحاجة هنا الى ضرب الامثلة على هذا فالشواهد والمثل التي تقدمت في فصل سابق خير دليل على ذلك . على ان المهم ان نشير الى ان الجمع بين السياسة والاشادة بفضائل الممدوحين أكسب مديح مروان قوة وتأثيرا كبيرين .

وصفوة القول فيمديح مروان بن ابي حفصة : ان الشاعر كاد انيكون قد استقصى معظم الصفات والفضائل المحببة نفسية كانت أو جسمية ، ذلك ان مروان كان يميل الى استقصاء الفضائل في المديح ، وهذا الميل هو الذي حمله على تقديم كثيّر عزة في المديح على جرير والفرزدق [٣٨] لان كثيّرا كان كما قال مروان : يستقصي المديح [٣٩] . واذا كان النقاد قد اشترطوا في المديح الناجح ان يكون جزل الاسلوب قوي العبارة رائق الالفاظ مليح المعاني بعيدا عن الابتذال والسوقية بالغا حدا من استقصاء الفضائل في غير ما تقصير او تجاوز وتطويل لئلا يسأم الممدوح ويضجر[٤٠] فان مديح مروان جاء محققا لما اشترطه النقاد في المديح اذ امتاز برصانة الاسلوب ومتانته وصفاء المعنى وقوة اسر اللفظ في حذق وتجويد حتى اننا لا نجد احدا من الخلفاء العباسيين او امرائهم قد انكر على مروان شيئا من مديحه ، ذلك ان الخلفاء كانوا يتذوقون المدائح ويعيبون على الشعراء عدم

خراسان وقد حزم ، خاراخره ، ملك شروسنة ، الذي خرج على الدولة العباسية فيما وراء النهر .

(٣٨) العمدة ابن رشيق ج ٢ ص ١٣١ ط السعادة .

(٣٩) الاغاني ج ٩ ص ٦ ط دار الكتب .

(٤٠) العمدة ج ٢ ص ١٢٨ .

مراعاتهم للذوق والمقام كما هو معروف عن موقف عبد الملك بن مروان من جرير وموقف ابنه هشام من أبي النجم الفضل بن قدامة • [٤١]

ولقد نال مديح مروان رضا النقاد القدامى والمحدثين واستحسانهم لما لمسوه فيه من معانٍ اصيلة عربية الروح والفاظ مختارة وأسلوب جزل حاكى به الاساليب العربية القديمة فكان هذا سبباً في قول ابي عبيدة : ان مروان أمدح للملوك [٤٢] • اما قصيدته التي تقدمت في مدح بني مطر فأنها نالت اعجاب النقاد لجودتها ففيها يقول الشريف المرتضى : [٤٣] انها من صافي كلام مروان ورائقة ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ وأطراد النسج • [٤٤] وفيها يقول ابن خلكان ، هذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظاً ومعنى وحقه ان يفضل على شعراء عصره وغيرهم [٤٥] وقد وضعها ابن طباطبا العلوي بين الاشعار التي حكم لها بحسن الرصف وسلاسة اللفظ ولطف المعنى

(٤١) حدثنا ابن رشيق في عمدته ج ١ ص ٢٢٢ : ان جريرا دخل على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :

اتصحو ام فؤادك غير صاح ... عشية هم صحبك بالرواح

فقال له عبد الملك : «بل فؤادك يا ابن الفاعلة» كأنه استثقل هذه المواجهة، وإلا فقد علم ان الشاعر انما خاطب نفسه • ودخل ابو النجم الفضل بن قدامة على هشام بن عبد الملك فأنشده :

والشمس قد كادت ولما تفعل ... كأنها في الأفق عين الاحول

وكان هشام احول ، فأمر به فحجب عنه مدة ، وقد كان قبل ذلك من خاصته يسمر عنده ويمازحه •

(٤٢) الاغاني ج ٣ ص ١٤٤ ط • دار الكتب •

(٤٣) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٦ •

(٤٤) وفيات الاعيان ابن خلكان ج ٤ ص ٢٧٦ •

(٤٥) عيار الشعر • ابن طباطبا ص ٦٧ ط • المكتبة التجارية •

ودقته (٤٦) . وفيه يقول طه حسين : بأنه من آيات المديح العربي وان مروان قد أتقن المديح وبرع فيه وانه تفوق في هذا الفن على غيره من المعاصرين(٤٧).

أما بناء مدائح مروان فهو البناء التقليدي الذي يفرض على الشاعر ان يبدأ قصائده بذكر الأحباب واظهار الشوق والحنين لهم وبالحديث عن الديار البلاقع والوقوف عليها وما الى ذلك . . وقد أشرنا في حديثنا عن نسيب مروان الى أن معظم هذا النسيب إنما هو مطالع لقصائده في المديح .

اما رأينا في المديح فناً شعريا ، فنحن نقبل منه ما كان صادراً عن اعجاب صادق بفضائل الممدوح او شكران لنعمة تهز نفس الشاعر فتتوثب عاطفته للأعتراف بالجميل . وبعبارة اوضح : نحن نرضى من المديح ما كان مصدره عاطفة مخلصة ، اما ما كان منه صدى لموقف خداع لكسب مادي او تملق ونفاق فهو ليس من الفن الاصيل . ولعل كثيراً من مديح مروان كان مصدره الاعجاب بفضائل الممدوحين وأفضالهم .

الرثاء :

ورثاء مروان بن ابي حفصة هو الغرض الرئيس الثاني بعد مديحه . ومراثيه على درجة كبيرة من الجودة والكمال . وقد سلك الشاعر فيها مسلكه في المديح من حيث تعداد المآثر والفضائل وذكر الخصال الحميدة والمزايا الحسنة التي كان يتحلى بها المرثي في حياته من شجاعة وكرم وحلم ومقام رفيع وما الى ذلك من الصفات التي يرددها الشاعر في رثائه ليثير اللوعة والأسف في النفوس على فقد المرثى .

وإذا كان الرثاء وفاء بعهد او شكراً لصنيع جميل ، وانه يفرض ان يكون الراثي رقيق الشعور دقيق الاحساس كي يجيد الرثاء ويحسنه، فأن

(٤٦) حديث الاربعاء . طه حسين ج ٢ ص ٢٣٥ ط . دار المعارف بمصر
(٤٧) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ٢٤١ .

مروان بن أبي حفصة كان على شيء كبير من هذا الخلق وبخاصة في مراثيه لمعن بن زائدة الشيباني .

وأرى ان مروان قد وفى لمعن في رثائه له اجمل الوفاء . فهو قداشاد بفضائل معن واثنى على مزاياه الحميدة في قصائد كثيرة طفحت بالأسى واللهفة والتفجع للمصيبة النازلة . ومن احسن مراثي مروان في معن لاميته المشهورة المعروفةبالغراء التياظهر فيها استعظامهللخطب الجللالذي هزَّ الشاموالعراق وكاد أن يزيل أرض تهامة ونجد وقد لف العراق الظلام لهذا الحدث المفزع، واذا كان معن قد مضى لسبيله فانــه خلف وراءه كنزاً ضخما من المــآثر والمكارم الخالدات التي لا تذهب او تبيد فقال :

مضى لسبيله[٤٨]معن وابقى — محامد لن تبيد ولن تنــالا
كأن الشمس يوم اصيب معن — من الاظلام ملبسة جــلالا
وعطلت الثغور لفقــد معن — وقدتروى بها الاسل النهالا [٤٩]
واظلمت العـــراق وألبسته — مصيبته المجللة اختـــلالا
وكادت من تهامة كل أرض — ومن نجد تزول غداة زالا

وتحول مروان الى فضائل معن فمدحه بأنه الجبل الاشم الذي كانت تحتمي بذراه قبيلة معن وتشتت به عدوها وتهد قواه ، فهو الرجل المهيب الذي تخشع له النفوس وتتباهى به بلاده وتزداد اختيالاً ، ثم اثنى على شجاعته وبأسه اللذين بلاهما الرجال وخافهما الأعداء ، فمعن انخاض المعارك كان الفارس المقدام الذي لا يجارى ، أما الوقائع التي شهدها وخاض غمارها فقد ابلى فيها بلاء حسناً وهي وقائع لن تنسى وسيذكرها الخليفة حين يبلو

(٤٨) مضى لسبيله : مات .
(٤٩) الاسل : الرماح .

الرجال في يوم شدة أو امر داهم فقال :

هو الجبل الذي كانت نزار ... تهد من العدو به الجبالا
فإن يعل البلاد له خشوع ... فقد كانت تطول به اختيالا
فما شهد الوقائع منك امضى ... وأكرم محتداً واشد آلا
سيذكرك الخليفة غير قال ... اذا هو في الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتي ... على اعدائه جعلت وبالا
ومعترك شهدت به حفاظا ... وقد كرهت فوارسه النزالا (٥٠)

وبعد أن ينتهي الشاعر من هذا كله ينتقل الى الحديث عن سماحة معن وعطائه الفياض وكيف كان المرثي منتجع العفاة وملجأ الوافدين وموئل المعروف فلم يكن سائل المعروف او طالب العطاء ليقصد غير معن فلا تنزل وفود الطالبين الا بساحته ، وما نفحت يد عطاء بعضا مما اسبغه معن على منتجعيه والوافدين عليه . ولكن ابن زائدة الذي حمل كل ثقل وأنعم على كل سائل ذهب ومضى لسبيله وفي هذا يقول مروان (٥١) .

وكان الناس كلهم لمعن ... الى أن زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوي ... الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل ... ويسبق فيض راحته السؤالا
وما نزل الوفود بمثل معن ... ولا حطوا بساحته الرحالا
وما بلغت اكف ذوي العطايا ... يمينا من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض ... من المعروف مترعة سجالا (٥٢)

واظهر الشاعر التفجع واللوعة على فقد معن وصور ما أصابه وبنيه من

---

(٥٠) (٥١) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ٢٤١ .
(٥٢) ساجلة مساجلة : فاخرة مفاخرة .

شديد الحزن والهم ، فقد نحل جسمه واضحى كالهندي الذي اغفلت العيون صقاله وبراه الألم والأسى فأضرَّ به وما ذلك إلا بسبب المصيبة النازلة بفقد معن الذي كان يرجوه لأقالة عثرات الزمن ولكن معنا مضى وخلف وراءه مروان مهيض الجناح يبكيه بدمع سخي منهمل وفي احشائه حزن مستعر ملتهب ، وفي هذا يقول : (٥٣)

مضى لسبيله من كنت ترجو ... بـه عثرات دهرك ان تقـالا
فلست بمالـك عبرات عـين ... ابت بدموعهـا إلا انهمـالا
وفي الأحشاء منك غليل حزن ... كحر النـار تشتعل اشتعالا
وقائلـةٍ رأت جسدي ولوني ... معا عن عهـدها قلبا فحالا
رأت رجلاً براه الحزن حتى ... أضر بـه وأورثـه خبالا
ارى مروان عاد كـذى نحول ... من الهندي قد فقـد الصقالا
فقلت لها الـذي انكرت مني ... لفجـع مصيبة ابـكى وغالا
لقـد أورثتني وبنيَّ همـا ... واحزانا نطيـل بهـا اشتغالا
يرانا الناس بعـدك قبل دهر ... ابى لجدودنا إلا اغتيـالا
فنحن كأسهم لـم يبق ريشا ... لهـا ريـب الزمان ولا نصالا

واظهر مروان الجزع واليأس لفقد معن فقد ذهب الأمل وانقطع الرجاء فأقام الشاعر في اليمامة لا يريد عنها تحولا والى من يتحول ؟ والى اين يرحل؟ فلا عطاء ولا رجاء بعد معن الذي ذهب النوال بذهابه قال الشاعر :(٥٤)

أقمنـا باليمامـة بعـد معن ... مقاماً لا نريـد بـه زوالا
وقلنا ان نرحـل بعـد معن ... وقـد ذهب النوال فـلا نوالا

(٥٣) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ٢٤١ .
(٥٤) تاريخ بغداد . البغدادي ج ١٣ ص ٢٤٠ ط . السعادة .

وقد كان هذا البيتان سببا لغضب الخليفة المهدي وابنه الرشيد من بعده على مروان فقد منعا عطاءه اول الأمر اذ دخلهما الحسد لمعن لأن الشاعر رثاه هذا الرثاء الرائع الخالد (٥٥) واذ كفكف مروان دموعه وكظم حزنه ودفن المه انتهى الى القول : بأنه آثر الاقامة في يمامته والقى رحله مقسما الا يشد له حبالاً بعد انذهب معن الذي كان يقصده الشاعر كل عام فيطيل الاقامة في رحابه فهو يقول : (٥٦)

حبــاك أخواميــة بالمراثي مع المدح اللواتي كان قالا

اقام وكان نحوك كــل عام يطيل بواسط الرحل اعتقالا

فألقى رحـــله اسفا وآلى يمينــا لا يشد لهــا رحالاً

هذه اللامية المتقدمة رائعة بألفاظها الجزلة دونمـا غلظة او خشونة ، وبمعانيها البديعة الواضحة بغير ما تكلف او اصطناع • وقد اصطنع الشاعر لهذه القصيدة بحر الوافر الذي يتلائم واندفاع عواطفه المكبوتة واضطراب نفسه وانفعالاتها ، وقد احسن اختيار قافيته المطلقة بهذه الالف التي تمتد معها الآهة المتقدة والحسرة الملتهبة والانة الساخنة التي تجيش بها نفس مروان المكلومة الجريحة، هذه الخصائص التي تميزت بها لامية مروان المتقدمة تؤهلهـا لأن تكون من عيون المراثي في الشعر العربي ومن قصائــدها الخالدات •

وتحدث مروان في مرثية أخرى عن عبراته واحزانه التي أثارت دمه بسبب ذهاب معن وأبدى الشاعر عجبه لأن يفنى المرثي ويبقى هو متمتعا بنعمه واياديه البيض السوابغ ويرى الشاعر ان أخلاص الود وصفاء الحب يفرضان

(٥٥) تقدمت الاشارة الى هذا الموضوع في الفصل الاول •
(٥٦) المصدر السابق •

ألا يبقى بعده حيا فيقول : (٥٧)

لندبـك احزان وسابـق عبرة ‏ ‏ ‏ ‏ اثرن دما من داخل الجوف منقعا
تجرعتهـا من بعد معن بموته ‏ ‏ ‏ ‏ لأعظم منهـا ما احتسى وتجرعا
ومن عجب ان بت بالرزء ثاوياً ‏ ‏ ‏ ‏ وبت بمـا خولتني متمتعـا
ولو انني انصفتك الود لم أبت ‏ ‏ ‏ ‏ خلافك حتى تنطوي في الردى معا

هذه المثل من مراثي مروان في معن تطفح بالعاطفة المخلصة والانفعال الصادق فرثاء الشاعر لمعن مثل نادر في الوفاء واخلاص الود قل أن نلمس مثليهما في مراثي غيره من الشعراء ، وذلك ان المراثي الرائعة التي أثرت عن مروان قد خلدت معنا على مر الدهور والعصور ، فالشاعر لم يترك مأثرة كريمة او مكرمة أصيلة او محمدة نبيلة من مآثر معن ومكارمه ومحامده إلا تغنى بها وسيرها بشعره في الآفاق •

أما مراثي مروان في العباسيين فهي لاتعد شيئاً من حيث عددها وقيمتها الفنية اذا ما قورنت بمراثيه في معن • فرثاؤه للخليفة المهدي هو اقرب الى المديح منه الى الرثاء اذ انه جمع فيه بين تهنئة ابنه الهادي بالخلافة وبين تعزية هذا الاخير بوفاة أبيه حيث قال : (٥٨)

لقد اصبحت تختال في كل بلدة ‏ ‏ ‏ ‏ بقبر أمـير المؤمنـين المقـابر
ولو لم تسكن بابنه في مكانه ‏ ‏ ‏ ‏ لمـا برحت تبكي عليه المنـابر
ولو لم يقم موسى عليها لرجعت ‏ ‏ ‏ ‏ حنينا كما حن الصفايا العشائر (٥٩)

---

(٥٧) طبقات الشعراء (المختصر) • ابن المعتز ص ٤٣٠ ط • دار المعارف بمصر •

(٥٨) الاغاني ج ١٠ ص ٩٣ •

(٥٩) تاريخ الخلفاء • السيوطي ص ١٨٧ ط المنيرية •

وإذا كان الجمع بين التعزية والتهنئة ليس بالأمر اليسير على الشاعر — اي شاعر — لأن الظرف والمقام يفرضان عليه ان يعبر عن عاطفتين متغايرتين اولهما الجزع والحزن وثانيهما السرور والغبطة ، ان يعبر عن عاطفتين متغايرتين جاءت مراعية للظرف والمقام ، وخالية من الضعف والتقصير • على ان هذه الأبيات ينقصها صدق العاطفة وعمق الانفعال اللذين وجدناهما في مراثيه المتقدمة في معن • فقد كان مروان في هذه المراثي اكثر اخلاصاً ووفاء ، واعمق عاطفة واشد جزعاً وحزناً منه في رثائه المتقدم في المهدي •

وينبغي ان نشير هنا الى ان الشاعر قد تأثر في مرثيته المتقدمة جده يحيى ابن أبي حفصة الذي أنشد الوليد بن عبد الملك لما بويع له بالخلافة بعد أبيه فهنأه وعزاه بقوله : (٦٠)

بكت المنابر يوم مات وانما ... بكت المنابر فقد فارسهنّه

لما علاهن الوليد خليفة ... قلن ابنه ونظيره فسكنّه

لو غيره قرع المنابر بعده ... لنكرنه فطرحنه عنهنّه

لقد ورد مروان المنهل الذي ورده جده يحيى من قبل • وأغار على بعض معانيه والفاظه فجاءت ابياتهما متشابهة قريبة المآخذ • على ان ليحيى فضل السبق في معانيه التي تضمنتها ابياته المتقدمة •

وهنالك أمر جدير بالاشارة والملاحظة بالنسبة لرثاء مروان ، وهذا الامر هو خلو هذا الرثاء الى حد كبير من ضرب الامثال في الأمم السالفة والوعول المتنعة في قلل الجبال والاسود الخادرة في الغياض وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار ، والنسور والعقبان والحيات لبأسها وطول اعمارها (٦١) •

(٦٠) الاغاني ج ١٠ ص ٧٥ •

(٦١) العمدة • القيرواني ج ٢ ص ١٥٠ •

إذ أن ضرب الامثال في الرثاء خصيصه مميزة لمراثي القدماء ولكن الشعراء المحدثين الى غير هذه الطريقة اميل ومذهبهم في الرثاء أمثل . ويبدو أن مروان بن أبي حفصة — وهو شاعر محدث — مال عن هذه الطريقة القديمة في الرثاء فهي قد رثت بسبب التقليد الدائم وطول الأمد .

أما اسلوب مروان في مراثيه فإنه يميل الى السهولة واللين والانسياب ببطء . واما الفاظه فهي تجنح الى القوة والوضوح . وفي هذه المراثي قوة تأثير تهز العاطفة وتوقظ الشعور وهي بعد كل هذا جيدة متقنة ولكنها مع هذا لا ترتفع الى المستوى الفني الذي بلغته مدائحه على ان مروان استطاع ان يخلد معنا بمراثيه بما استقصاه فيها من فضائله ومزاياه . وقد ذهبت عطايا معن لمروان وبقي ذكره مخلداً في مراثي مروان الرائعة .

الوصف :

لقد تطور فن الوصف عما كان عليه في العصور القديمة بسبب ما استجد في الحياة العربية من الوان حضارية مختلفة . وقد شمل هذا التطور ديباجة الوصف وأسلوبه ومعناه ولفظه . فبعد ان كان الشاعر الجاهلي يمدّ بصره في مهامه قفر وفيافي موحشة ، وتظله الخيام التي انهكها التنقل والترحال . وتحيط به عيسه وخيوله الأصيلة ، بعد هذا كله تغيرت الأرض غير الأرض . اذ اضحى الشاعر يستيقظ معطر الانفاس تداعبه انسام الرياض الغن المفعمة بشذى الزهر وعبير النرجس والنسرين . وقد كان لهذه البيئات الحضارية الجديدة آثارها في نفوس الشعراء اذ رقت وتهذبت بعد ذلك الجفاف وتلك الخشونة . وقد كان لهذا التحول في حياة الشعراء اعظم الأثر في فن الوصف اذ أبدع هؤلاء الشعراء في رسم الصور الجديدة الشفافة للواقع الزاهر الزاهي الذي عاشوا تحت ظلاله . اما شعراء البادية فانهم حافظوا على النهج القديم في شعر الوصف فجاءت تشبيهاتهم وصورهم تقليدية قديمة مستوحاة

من واقع بيئاتهم البدوية •

واذا كان مروان بن أبي حفصة لم يقم في المدن او الحواضر الاسلامية ــ كما مر بنا في الفصل الاول ــ وإنما كان دائم الاقامة في اليمامة بعيدا عن الحياة الحضرية المترفة فهو لم يتأثر بالالوان الجديدة التي اصطبغت بها هذه الحياة • ولهذا لم يصف لنا مروان البرك والأحواض والقصور كما فعل غيره من شعراء العواصم الاسلامية •

وإذ لم يكن مروان يقصد الى فن الوصف قصداً وانما كان يتخذ منه غرضاً ثانوياً يمهد به للغرض الرئيس في قصيدته فأنه لم يكن شاعر وصف من الدرجة الأولى • ومن أوصاف مروان قوله في حديقة يانعة الثمر لايفارقها الطير الذي اولع بهذا الثمر الجني ، سامقة الشجر كأن باسقاتها قباب عالية ضربت على نياق ظاعنة • مفتحة الأبواب لاترصد في وجه من يقصدها اذ دنت قطوفها وآتت أكلها وهي بعد ذلك من الرزق الحلال لم يخالطه الربا او الرزق الحرام وفي ذلك يقول الشاعر : (٦٢)

نواضرَ غلبا قد (٦٣) تدانت قطوفها ... من النبت حتى ما يطير غرابُهـا ؟
ترى الباسقات العم (٦٤) فيهـا كأنها ... ضعائن مضروب عليهـا قبابهـا
ترى بابها سـهلا لكل مدفـع ... اذا اينعت نخـل فاغلق بابهـا
يكون لنا ما نجتني من ثمارهـا ... ربيعا اذا الافاق قل سحابهـا
حظائر لم يخلـط باثمـانها الربـا ... ولم يك من اخذ الديات اكتسابُهـا

ولا يخفى ان في البيت الثاني تشبيه منتزع من بيئـة مروان البدوية

(٦٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٨ •
(٦٣) متكاثفة الشجر •
(٦٤) النخيل الطوال •

فالشاعر شبه الاشجار الباسقة بالنياق التي شمخت بالقباب التي ضربت عليها .

ومن الصور التي انتزعها مروان واقعة قوله يصف يوما حارا حامي اللهيب متقد الشمس كانها نار مشبوبة مستعرة وقد اعتصب الظاعنون اسمالا يتقون بها لظى الشمس وسعيرها فهو يقول (٦٥) :

ويومٍ عسول الآل (٦٦) حامٍ كانما لظى شمسه مشبوب نار تلهّبُ
نصبنا له منّا الوجوه وكنّها عصائب اسمال بها نتعصبُ

ووصف الشاعر نياق رحلته التي قصدت الخليفة المهدي يستخفها السرور والشوق للقائه فطوت وعر الارض وسهلها وهي تهز رأسها وعنقها غبطة ومرحا وقد تقدمت في رحلتها الطويلة غير آبهة بربى الارض وهضابها اذ انها شقتها شق الناقة النفور وهي ترى لعلوها كالبرج الشامخ وقد ملأت ركبها وحبالها فقال (٦٧) :

نزعت اليك صواديا فتقاذفت تطوي الفلاة حزونها ورمالها (٦٨)
يتبعن ناجية يهز مراحها بعد النحول تليلها وقذالها (٦٩)
هوجاء تدرع الربا وتشقها شق الشموس اذا تراع جلالها (٧٠)
كالقوس ساهمة اتتك وقد ترى كالبرج تملأ رحلها وحبالها

والذي يجب ان نلاحظه في الأبيات المتقدمة ، ان مروان لم يتعد فيها الاوصاف الخارجية لنياقه من حيث سرعتها في السير ومرحها وشوقها وهي

---

(٦٥) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ .
(٦٦) السراب .
(٦٧) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ .
(٦٨) نزعت : اشتاقت . حزون واحدها حزن : الارض الغليظة .
(٦٩) التليل : العنق . القذال : مؤخر الرأس .
(٧٠) تدرع في السير : تتقدم . الشموس : النفور .

تتقدم في رحلتها . اما وصف جسمها واقسامه ولونها وما الى ذلك فابياتها تخلو خلوا تاما من الاشارة الى ذلك .

وتحدث مروان عن شبابه الذاهب الآفل وصوّر لنا شعوره وقد طارد شيبه شبابه وتغلب عليه . وراح الشاعر يقاتل هذا الشيب بالخضاب ولكن انى له ذلك وناصل شيبه لا يخفى على الناظر فقال (٧١) :

وقل للغواني قد تولى شبابه وبدّل شيبا بالخضاب يقاتله
يقاتله كيما يحول خضابه وهيهات لا يخفى على اللحظ ناصله(٧٢)

ولمروان غير هذه المثل في الوصف ولكنها تنحو نحوها في اسلوبها المتين الواضح وفي تشبيهاته المنتزعة في الغالب من واقع الشاعر . ولم نشأ ان نكثر من الاستشهاد بمثل هذه الابيات لأن معظمها جاءت في ثنايا قصائده في المديح .

٥ — الهجاء : —

كان الهجاء في عصر مروان بن ابي حفصة فنا ذائعا مارسه معظم الشعراء مدفوعين بعوامل كثيرة منها الحاجة الى عطاء من لا يعطي ومنها التنافس بين الشعراء للحصول على جوائز الخلفاء ، هذا الى جانب الاسباب السياسية والخلقية التي تدفع الشعراء لكي يهجو بعضهم بعضاً .

وقد كانت بين مروان وبعض شعراء عصره ملاحاة وغمز قناة . فقد هجاه مالك بن احمد بن سوار الطائي لان مروان حكم على شعره بأنه من اشعار الصبيان . فما كان من مالك الا ان رمى الشاعر باللوم والطمع

(٧١) حماسة بن الشجري . ص ٢٤٦ ط . مجلس دائرة المعارف العثمانية
(٧٢) ناصل الشعر : منبته في الرأس .

والحرص وبعدم الغيرة على العرس فقال (٧٣) :

ثوى اللؤم في عجــلان يوما وليلة ... وفي دار مروان ثوى آخــر الدهر
ولمــا أتى مروان القى رحـــاله ... وقال رضينا بالمقـام الى الحشر
وليس لمروان على العرس غـيرة ... ولكن مروانا يغـــار على القــدر

وقد ضج مروان من هجاء مالك وترضاه وسأله ان يكف عنه ولم يرد على ما هجي به . وهجا أبو الشمقمق مروان ساخراً متهكما لأن هذا الأخير رفض أن يعطي ابا الشمقمق شيئا من جائزتــه فقال (٧٤) :

لحيــة مروان تقي عنـــبرا ... خالط مسكاً خالصا أذفرا (٧٥)
فما يقيمـــان بهـــا ساعة ... حتى يعـودان جميعا خرا

فأمر له مروان بدرهمين وقيل بعشرة وقال له : خذ هــذه ولا تكن راوية للصبيان . وفي هذه المرة أيضاً قعد مروان عن الدفاع عن نفسه .

وموقفا مروان المتقدمان من مالك وأبي الشمقمق يفسرهما احد امرين: أولهما : ان مروان لم يكن يتقن فن الهجاء أو يجيد فيه فلا يفترض ان يجيد فيه كل من يجيد المديح . ذلك ان الشعراء تتفاوت قابلياتهم الخلاقة باختلاف الفنون الشعرية . فالهجاء فن له خصائصه واساليبه الخاصة بــه وهو يختلف كل الاختلاف عن المديح يستمد معانيه من الفضائل التي يتفق عليها الناس وهي في الغالب ايجابية محافظة تقليدية يتوارثها الناس جيــلا بعد جيل وقد يدركها شيء من التبديل والتغــير على مر العصور . اما الهجاء فانه فن متطور يستمد معانيه مما تواضع الناس عليه انه من الرذائل

(٧٣) معجم الشعراء . المرزباني ص ٢٦٧ ط . دار احياء الكتب العربية .
(٧٤) الاغاني ج ١٠ ص ٧٩ ط . دار الكتب .
(٧٥) الاذفر : الجيد من المسك .

وهذه الرذائل في تغير مستمر . وعلى هذا فقد يكون الشاعر قادرا على المديح وغير قادر على الهجاء باعتبارهما فنين مختلفين .

واذا كان الامر كذلك فقد يكون مروان واحدا من الشعراء الذين لم يحسنوا البناء في الهجاء احسانهم في المدح لتعذر الهجاء عليهم . وثاني هذين الامرين ان مروان نفسه رغب عن فن الهجاء لانه كان رجلا عمليا لم يشأ ان يغرق نفسه في دوامة من الخصومات مع الشعراء . ذلك ان الشعراء يختلفون فيما بينهم من حيث الطباع والنشأة والاتجاه الفني . ولدينا مثل من هجاء مروان تثبت ان الشاعر كان يستطيع الى حد ما ان يهاجي الآخرين ويرد عليهم . وكان هجاؤه يخلو من الفحش والقذف . وقد اتخذ الشاعر من السخرية والهزء بالخصوم اسلوبا ناجحا لمقارعتهم والرد عليهم بدل الهجاء المبني على الهجوم العنيف والطعن على المهجو . ومن هذا اللون قوله يسخر من احدهم وقد اهمل لحيته فتبعثرت اسافلها واعاليها وامتدت ذؤاباتها في كل زاوية وناحية (٧٦) .

لقد كانت مجالسنا فساحا فضيقها بلحيته رباحُ
مبعثرة الاسافل والاعالي لها في كل زاوية جناح

وبمثل هذا الهجاء الساخر المتهكم نعى مروان على رواة الشعر أنهم يحفظونه ويتناقلونه دون ان يعوا ما فيه من جمال لفظ وحسن معنى وجوده بناء فشبههم الشاعر بالاباعر التي لا تدري بما تحمله في اوساقها فقال(٧٧):

زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الأباعرِ

---

(٧٦) عيون الاخبار . ابن قتيبة . ج ٤ ص ٥٦ ط . دار الكتب .
(٧٧) العقد الفريد . ابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٨٤ ط . لجنة التأليف والنشر .

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

وهجا مروان سلما الخاسر ورد عليه باسلوب متهكم يبعث على الابتسام والضحك وهذا النوع من اساليب الهجاء اوصى به جرير حيث قال : اذا هجوت فأضحك (٧٨) وفي هذا يقول مروان (٧٩) :

طلبتَ من المهدي شطر حبائه ... فقال لك المهدي لست هنالكا

فما اعولت ام على ابن ولا بكى ... على يوسف يعقوب مثل بكائكا

عضضتَ على كفيك حتى كأنما ... رُزئتَ الذي اعطيت من صلب مالكا

حُبيتُ بأوقار (٨٠) البغال وانما ... سراب الضحى ما تدعي من حبائكا

وما نلتَ حتى شبت الا عطية ... تقوم بها مصرورة في ردائكا

فمروان في هذه الابيات يصور لنا سلما الخاسر وقد اعول بأشد من عويل ام على ابنها ، وبكى بكاء لم يبك يعقوب ابنه يوسف مثله وقد عض سلم يديه ألما وغيظا لان الخليفة المهدي منعه عطاءه ولأن مروان نال العطايا الضخمة والجوائز الكبيرة التي تحملها البغال بينما لم ينل الخاسر غير عطية صغيرة مصرورة .

واظن ان هذه الامثلة من هجاء مروان تدل على ما قلناه من تمكنه الى حد ما من فن الهجاء . واذا لم يكن مروان قد بلغ في هجائه مبلغه في المديح من حيث الجودة والاتقان فانه لم يخفق اخفاقا تاما في ممارسته فن الهجاء ، ولكنه رغب عن هذا الفن ، والتزم بفنون اخرى يتكسب بها كفن المديح .

---

(٧٨) العمدة . ج ٢ ص ١٧٢ .
(٧٩) العمدة ١/٨٥ .
(٨٠) الأحمال الضخمة .

٦ ـ الفخـر :

واذا كانت الطريقة المثلى في المديح هي ان يجعـل الشاعر الشخص الممدوح يشرف بآبائه والآباء يزدادون شرفا به (٨١) فان على الشاعر المفتخر ان يأخذ بهذه الطريقة في فخره ، وهي ان يفخر بمكارم آبائه ومآثرهم الى جانب افتخاره بمحامده ، وبذلك يكون للشاعر ولآله حظ في الفخر ولان شرف الوالد جزء من ميراثه ومنتقل الى ولده كانتقال ماله (٨٢) .

واذا كـان مران بن ابي حفصة قـد طـرق فن الفخر في شعره ، فان هذا الفن لم يكن من الفنون الشعرية الرئيسة عنده . اذ أن ما وصل الينا من شعره في هذا الغرض شيء يسير بالنسبة الى مجموع شـعره . ولعل هذه القلة في فخره تعود الى ان الشاعر لم يكن يخوض مع الآخرين في مواقف المفاخرة والمنافرة من جهة ، ولأن اهتمامه الكبير بفنّي المديح والسياسة ادى الى عدم توفره على هذا الفن من جهة أحرى ، ولقد فخر مروان ببطولات آبائه واجداده في غاراتهم على ارض المشركين التي أفادوا منها وغنموا برماحهم الصم التي خضبتها دماء الاعداء فقال وهو يتحدث عن حديقة يملكها (٨٣) : ـ

حظائر لم يخـلط باثمانهـا الربا ... ولم يك من اخذ الديات اكتسابُها
ولكـن عطاء الله من كـل مدحـة ... جزيل من المستخلفين ثوابُهـا
ومن ركضنا بالخيـل في كل غارة ... حـلال بارض المشركين نهابُهـا
حـوت غنمها آباؤنا وجـدودنا ... بصم العوالي والدماء خضابُهـا

(٨١) (٨٢) العمدة ج ٣ ص ١٤٥ .
(٨٣) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٨ . ط دار احياء الكتب العربية .

وافتخر مروان بعطائه الغمر الـذي يروي غلـّـة كل صديان ظميء ، وبجفانه المترعة بلحم نياقه وشحمها التي تضمن للسغاب والجائعين القرى الدائم . وليس هذا فحسب ، بل ان الشاعر يعطي ويتبرع ولا يقف بعطائه وتبرعه عند حد ، وان ليس هذا الذي يجود به بالشيء الكثير عليـه ، وهو ان وقف موقف مساجلة او مفاخرة مع جحاجح القوم وساداتهم فانه السباق المبرز فهديره يفضح قروم القوم وعظامهم وهو يقول في ذلك (٨٤):

اروى الظمـاء بـكل حوض مفعم جودا وأترع للسغاب قـدوري

وتظل للاحسان ضامنة القـرى من كل تامكـة السنام عقيـر (٨٥)

اعطى اللُّها (٨٦) متبرعا عودا عـلى بـدء وذاك عـلى غـير كثـير

واذا هدرت مع القروم (٨٧) محاضرا في موطن فضح القرومَ هـديري

وإذا كانت الروايات قـد تواترت على ان مروان كان بخيـلا شديد الحرص على المال وانه هرب ذات مرة من بيته وقد نزل عنده ضيف فاخلى لـه مروان المنزل مخافة ان يلزمه قراه في هـذه الليـلة ، فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه (٨٨) :

يا تارك البيت عـلى الضيفِ وهاربا منـه من الخـوفِ

ضيفك قد جاء بخبز لـه فارجع وكن ضيفا على الضيفِ

وإذا كان الأمر كذلك فإن الذي زعمه مروان في ابياته المتقدمـة عن

(٨٤) طبقات الشعراء ابن المعتز ص ٤٦ ط دار المعارف بمصر .

(٨٥) السمينة .

(٨٦) اللها : جمع اللهية : اعظم العطايا .

(٨٧) القروم : جمع القرم وهو السيد الصالح .

(٨٨) المستطرف من كل فن مستظرف . الا بشيهي ج ١ ص ٢٠٦ ط . عبد الحميد احمد حنفي . مصر .

عطائه وقراه هو محض ادعاء يؤاخذ عليه الشاعر • واذا كاذ أحسن الشعر أكذبه فإن حسن هذا الشعر متأت من قوة حبكته ومتانة رصفه ورنين الفاظه•

وفخر مروان بقوة شاعريته وسبقه الشعراء دون ان يكلف نفسه جهداً لأن يفوتهم بسبب تمكنه من فنه ، ولم ينس الشاعر وهو في موقف مفاخرة أن يقول الحق فيقدم على نفسه الشعراء الفحول الثلاثة : جريراً والفرزدق والأخطل الذين سار مديحهم وهجاؤهم في الآفاق ، وقد حكم للفرزدق بالفخر وبالمديح والهجاء للأخطل وقدم جريراً عليهما في الفنون الاخرى وفي ذلك يقول : (٨٩)

ذهب الفرزدق بالفخار وانما ... حلو القريض ومره لجرير
ولقدهجا فأمضّ (٩٠) اخطل تغلب ... وحوى اللُّهى بمديحه المشهور
كل الثلاثة قد أبر بمدحه ... وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت مع الجياد فقتها ... بعنان لا شبم ولا مبهور (٩١)

واذا كان المديح فنا تكسب به مروان وافاد منه فنال الجوائز الكبيرة والبدور الضخمة من الخلفاء والأمراء والولاة فطبيعي أن يفخر على اقرانه الشعراء بهذه الجوائز والبدور وبأن هذا الذي ناله وحازه لم ينله شاعر آخر ولم يحزه مادح حي او مقبور فقال : (٩٢)

ما نالت الشعراء من مستخلف ... ما نلت من جاه وأخذ بدور (٩٣)

---

(٨٩) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٤٦ •
(٩٠) امض آذى واوجع •
(٩١) الشبم : وضع الشبام في فمه وهو قطعة حديد • المبهور أ الذي انقطع نفسه من شدة الجري والسعي •
(٩٢) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٤٦ •
(٩٣) بدور : جمع بدرة : العطية الكبيرة •

عزّت معا عند الملوك مقالتي ... ما قال حيهم مع المقبور
ولقد حبيت بألف ألف لم تثب ... إلا بسيب خليفة وامير
ما زلت آنف ان أؤلف مدحة ... إلا لصاحب منبر وسرير

ومما تقدم يتبين لنا أن مروان قد تغنى بحسب آبائه واجداده وبكرمه وقراه ، ثم افتخر بشاعريته الفذة معتزاً بمكانته وجاهه وجوائزه التي لم تكن إلا من خليفة أو امير ، وبأنه لم يمدح العامة والسوقة بل قصر مديحه على كبائر القوم من أصحاب الأسرّة والمنابر .

ولا شك عندي ان مروان كان ذا قدرة مكنته من الاجادة في فن الفخر . والمثل التي تقدمت تؤيد ما نذهب اليه . فالأبيات المتقدمة جزلة الأسلوب ذات قوة وحماسة ، أما قافيتها الرائية فإنها تمتاز بقوة الرنين وشدة التأثير .

٧ — شعر الحرب : —

وهو فن الحماسة والقوة وفن الحديث عن البطولات والملاحم الحربية وقد كانت الوقائع والغزوات وما تزال معينا ثرا يلهم الشعراء فيتغنون بالفروسية والبطولة ويصفون بلاء الابطال في سوح القتال وبأس الفرسان في حومات الحروب . واذا كان الشعر العربي وثيق الصلة بتاريخ العرب في كل عصورهم فإنه قد سجل لنا بصدق بطولاتهم وعزتهم في ماضيهم المجيد .

وقد شهد العصر الذي عاشه مروان بن أبي حفصة كثيراً من الحروب التي خاضها العباسيون دفاعاً عن دولتهم . ولا سيما وقائعهم على الحدود الشمالية مع الروم . وكان لابد لمروان من التأثر بهذه الاحداث فيتخذ منها مادة شعرية للأشادة بشجاعة العباسيين وفروستهم فمن ذلك قوله في

حرب الخليفة المهدي مع الروم (٩٤) :

طلع الدروب (٩٥) مشمرا عن ساقه بالخيل منصلتا يجد نعالهـــــا
قودا تريـع الى أغـر لوجهـه نور يضيء أمامهـا وخلالها (٩٦)

حتى اذا وردت أوائل خيـله جيحان بث على العـدو رعالها (٩٧)
احمى بـلاد المسلمين عليهـم وأباح سهل بلادهم وجبالهـا
ادمت دوابر خيله وشكيمهـا (٩٨) غاراتهن والحقت آطالهـا (٥٩)

ويبدو لي ان مروان لم ينفذ في ابياته المتقدمة الى قلب المعركة. فهو لم يحدثنا عن اشتباك القنا والتحام المتقاتلين . وانما اكتفى بالحديث عن سير الخليفة الى اعدائه وكيف انه بث جيشه في أرض الروم فاستباحها . وانه حمى بلاد المسلمين من هجمات الروم . هذا الى ان الشاعر لم يتناول الفترة التي سبقت خروج المهدي الى عدوه فهو لم يشر الى تهيئه للقاء الروم والى استعداداته الحربية لهذا اللقاء . ووقف الرشيد من الروم وقفة ابيه . فقد غزاهم في عقر دارهم اكثر من مرة . وقد اصطحب في احدى هـذه الغزوات مروان بن ابي حفصة (١٠٠) وهذا ــ ولا شك ــ ساعد مروان

(٩٤) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ ط . دار احياء الكتب العربية .
(٩٥) درب الروم .
(٩٦) قود جمع : اقود قوداء : الذلول من الخيل .
(٩٧) جيحان : نهر في تركيا . رعال واحدها رعيل : القطعة من الخيل تتقدم الجيش .
(٩٨) شكيم جمع شكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس .
(٩٩) الحقت : اضرت . الأطال جمع اطل الخاصرة .
(١٠٠) الأغاني ج ١٣ ص ١٤٥ .

على تصوير جانب من الاحداث التاريخية التي عاشها وعاصرها فقد تحدث الشاعر عن انتصار الرشيد على الروم اذ اذلت جيوشه القسطنطينية واخضعت ملوكها واجبرتهم على دفع الجزية والحرب الضروس بين الفريقين لما تزل تدور على قطبها وقد اطلق الرشيد اسرى المسلمين من سجون الروم بعد ان اعتقد الناس أن هؤلاء الاسرى لن يروا نور الحرية بعد وفي ذلك يقول (١٠١) .

اطفت بقسطنطينية الروم مسندا ... اليها القنا حتى اكتسى الذلَّ سورُها
وما رمتها حتى اتتك ملوكها ... بجزيتها والحرب تغلي قدورُها
ونكت بك الأسرى التي شيدت لها ... محابس ما فيها حميم يزورها
على حين اعيى المسلمين فكاكها ... وقالوا سجون المشركين قبورها (١٠٢)

والذي تجب ملاحظته في شعر مروان الحربي ، ان الشاعر لم يحدثنا عن قوى الروم من حيث رجالهم وسلاحهم وخيولهم وهو ما كان عليه أن يفعله ذلك أن العربي قديماً كان يصف خصمه بالقوة ليكون له الفخر اذا ما انتصر عليه ، إذ لافخر في النصر على الرجل الضعيف . ومن ذلك قول عنترة العبسي يفخر بتغلبه على عدوه المدجج بالسلاح الذي خافه الكماة وكره الإبطال نزاله لقوته وشدة بأسه وصموده في وجه عدوه فهو لا يهرب ولا يستسلم إذ قال (١٠٣) :

ومدججٍ كره الكماة نزاله ... لا ممعن هربا ولا مستسلم
جادت له كفي بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعوب مقوَّم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه ... يقضمن حسن بنانه والمعصم

---

(١٠١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣٨٠ .
(١٠٢) كذلك ج ٦ ص ٥٨٠ .
(١٠٣) شرح المعلقات السبع للزوزني ١٤٨ .

لقد وصف مروان معارك العباسيين مع الروم معتمداً في ذلك على ما اداه له السماع وشتان بين العيان والسماع في الوصف الدقيق والصورة الكاملة •

وكان مروان يستهل بعض قصائده في وصف حروب العباسيين مع الروم بالنسيب • فهو حين وصف لقاء المهدي مع الروم بدأ قصيدته اللامية التي اثبتنا خمسة أبيات منها في بدء حديثنا عن شعره الحربي ـ بدأها بالغزل اذ قال : (١٠٤)

طرقتك زائرة فحيّ خيالهـــا　　　بيضاء تخلط بالجمال دلالهـا

وقد مزج مروان في القصيدة الواحدة بين المديح وشعر الحرب ، إذ تحدث عن فضائل ممدوحيه وسجاياهم الحميدة ثم انتهى الى وصف شجاعة الممدوح وبأسه في حربه مع الروم ، فهو يقول في قصيدته اللامية التي تقدم ذكرها مادحاً المهدي (١٠٥) :

أحيا أمـير المؤمنـين محمد　　　سنن النبي حرامها وحلالهـا

ملـك تفرع نبعة من هاشـم　　　مدّ الإله على الانام ظلالهـا

جبـل لأمته تلوذ بركنـــه　　　رادى جبال عدوّها فأزالهـا

وهكذا حتى ينتقل الى وصف خروجه الى بلاد الروم واستباحته لبلادهم كما مرّ بنا في الابيات اللامية المتقدمة •

وأشاد مروان بالرشيد في قصيدة أخرى فتحدث عن حمايته للثغور ، وقد أحكمت به عزائم المسلمين وقوتهم وكان النصر حليفه في كل موقعة ومعركة، ذلك أن جيشه القوي تتفرق عنه عساكر الروم وتتشتت ، وإذ انتصر الرشيد على الروم بهذه المعركة فأنه أجبر ملوك الروم على دفع الجزية وهم صاغرون، وقد استباح حصن الصفصاف بعد أن كابر الروم في الدفاع عنه ولكن الرشيد

(١٠٤) (١٠٥) امالي المرتضى ١ / ٥٤٠ •

افتتحه وتركه مهدماً يعلوه الخراب والدمار كأن لم تظلله الحياة من قبل وفي ذلك يقول (١٠٦) :

وسدّت بهارون الثغور فأحكمت | به من امور المسلمين المرائر
وما أنفك معقوداً بنصر لـواؤه | له عسكر عنه تشظى العساكر (١٠٧)

وكل ملوك الروم اعطاه جزيـة | على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر
لقد ترك الصفصاف هارون صفصفا | كأن لم يدمنه من الناس حاضر (١٠٨)

اناخ على الصفصاف حتى استباحه | فـكابره فيه الـحج مـكابر

الابيات المتقدمة دليل آخر على ما ذهبنا اليه من أن مروان كان يقصر حديثه على الفصل الأخير من معارك العباسيين مع الروم • ولعل اهتمام مروان الكبير بفن المديح أدى به الى أن لا يتوسع في شعره الحربي ويفرغ له تفرغه للمديح• وقد عني الشاعر في حربياته بأيقاع الحروف والتناظر اللفظي كما في قوله : (١٠٩)

إن أمـير المؤمنـين المصطفى | قـد ترك الصفصاف قاعاً صفصفا

فمروان ناظر بين لفظتي (الصفصاف) وهو اسم الحصن الذي افتتحه الرشيد وبين (صفصف) الى جانب التئام هاتين اللفظتين بلفظة (المصطفى) فتتابع الصادات والفاءات بهذا الشكل قد خلق جواً من الموسيقى اللفظيـة والنغم الموقـع الى جانب ايحائه بصورة هـذا الحصن وقد اضحى ارضاً

(١٠٦) تاريخ الطبري ج٦ ص ٥٣٠ •
(١٠٧) تشظى : تتفرق وتتشتت •
(١٠٨) الصفصاف : حصن في بلاد الروم •
(١٠٩) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٧٠ •

مستوية مهدمة .

ومثل هذا قوله كذلك . (١١٠)

لقد ترك الصفصاف هارون صفصفا　　كأن لـم يدمنه من النـاس حاضر

أن شعر الحرب عند مروان تسجيل للوقائع الحربية التي اضطرم أوارها بين المسلمين والروم منذ عهد الخليفه المهدي وحتى ايام أبنه الرشيد . وهذا اللون من الشعر يختلف عن المديح الأعتيادي . اذ يمكن ان ينظر اليه على انه مدح للخليفة بأعتباره رمزا للأمة الاسلامية التي تكافح اعداءها المشركين واذن فهو مديح صادق العاطفة . وأخيراً فأن الذي يجب تسجيله لمروان انه كان السباق الى بذر البذور الاولى لهذا الاتجاه الشعري الذي تم نضجه وآتى أكله على يدي ابي تمام الطائي وابي الطيب المتنبي وأضرابهما فيما بعد . وعلى هذا فيمكن اعتبار مروان اماماً لأبي تمام والمتنبي في هذا اللون من الشعر . وصفوة القول : فان اغراض مروان الشعرية كانت جدية بعيدة عن المجون والهزل تخلو من الغزل العابث ووصف مجالس الخمرة والطرب . وقد كان كل هذا نتيجة البيئة الأدبية والأجتماعية والسياسية التي عاشها مروان وتأثر بها كما مر بنا في الفصول السابقة .

---

(١١٠) تاريخ الطبري ٦/٥٣٠ .

الفصل السادس

خصائص شعر مروان

ويحسن بنا بعد أن انتهينا من الحديث عن آثار بيئة مروان في شعره ، والأغراض الشعرية التي طرقها ، أن تتبين الخصائص الفنية التي أمتاز بها شعر مروان ، وهذه الخصائص هي :

أ ــ بناء القصيدة :

جرى مروان في نظم شعره على الطريقة التقليدية التي أتبعها الشعراء الأقدمون من حيث بناء القصيدة وتعدد اغراضها . فنحن اذ نقرأ قصائده نجدها محافظة على النظام القديم ، حافلة بالفنون الثانوية الى جانب الغرض الرئيس الذي تنشأ من أجله . وقد أكثر مروان من افتتاح قصائده بالنسيب وذكر الطيف العائد والديار البلاقع ، ثم ينتقل الى وصف نياقه وما تتحملهمن الضنى والتعب والأجهاد لطول السفر ، ثم يتحول الى غرضه الاصلي وهو المديح أو الشعر السياسي في اغلب الاحيان . والأمثلة على ذلك كثيرة في شعره . ولنأخذ قصيدته اللامية مثلا على ما نقول :

فهو قد بدأها بالحديث عن صاحبة الطيف الطارق بغنج وجمال وقد تضوّع منها عطر روضة ندية ، وإنها بدلالها وجمالها وعطرها تقود القلوب

الى الصبا والهوى فيقول : (١)

طرقتك زائرة فحيِّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبا فأمالها
وكأنما طرقت بنفحة روضة سحّت بها ديم الربيع ظلالها
باتت تسائل في المنام معرساً بالبيد أشعث لا يملُّ سؤالها (٢)

فهذه الطارقة التي قادت القلوب وأمالتها الى الهوى راحت تناجيه وقد نزل آخر الليل بعد طول السفر اشعث الرأس متعبا وهو لا يضجر من سؤالها ولا يملّ مناجاتها . ثم ينتقل للحديث عن رفاق الرحلة وهم فتية نحيلو الاجسام كالسيوف الهندية الرقيقة الناحلة التي تركت دون جلي وصقل فقد اضناهم السفر وطول السرى فنزلوا ليصيبوا قليلاً من النوم آخر الليل فقال :

في فتية هجعوا غرارا بعد ما سئموا مراعشة السرى ومطالها (٣)

فكأن حشو ثيابهم هندية نحلت واغفلت العيون صقالها (٤)

ثم يتحول مروان الى وصف نياقه التي أهزلها طول السفر وبعد الرحلة وآلمها التعب والضنى وما أصابها من جروح وكلوم وقد واصلت سيرها في الليل والنهار وهي مشتاقة مسرورة تميل بعنقها ورأسها فرحاً ومرحاً وقد غذّت خطاها تطوي سهل الارض وحزنها تتقدم في سيرها الحثيث كالناقة النفور للقاء الخليفة العباسي فقال :

---

(١) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ .
(٢) التعريس : النزول في آخر الليل للراحة .
(٣) الغرار : القليل من النوم . المراعشة : تحريك الرأس في السير من النوم .
(٤) السيف الناحل : الرقيق .

وضعوا الخدود لدى سواهم جنح ّ تشكو كلوم صفاحها وكلالهـا (٥)
طلبت أمـــير المؤمنـــين فواصلت بعـــد السرى بغدوّهــا آصالها
نزعت اليـــك صواديا فتتقـــاذفت تطوي الغلاة حزونها ورمالهـا (٦)
يتبعن ناجيـــة يهزّ مراحهـــا بعد النحول تليلهـا وقذالها (٧)
هوجــاء تدّرع الربا وتشقهـــا شقّ الشموس اذا تراع جلالها (٨)
كالقوس ساهمـــة أتتـــك وقد ترى كالبرج تمــلأ رحلهـا وحبالهـا (٩)

ويبدو لي ان مروان احسن التخلص الى ذكر الخليفة حين اشار إليه أثناء حديثه عن رحلته ونياقه •

وبعد ان ينتهي مروان من هذا كله يتحول الى مدح الخليفة المهدي : بإنه احيا السنة النبوية فحرّم ما حرمته هذه السنة واحل ما حللته ، وهو بعد هذا فرع من الدوحة الهاشمية التي أظل الله بها الناس • فقال :

أحيـــا امير المؤمنين محمـــد سنن النبي حرامهـــا وحلالهـــا
ملـــك تفرّع نبعـــة من هشام مدّ الاله على الانام ظلالهـــا

وينتهي مروان أخيراً الى الغرض السياسي اذ ينتقل الى الدفاع عن الخلافة العباسية والرد على دعوى العلويين مشيراً الى أن العباسيين أولى من العلويين في ارث النبي (ص) بحكم الآية الكريمة التي بلّغها جبريل للنبي عن ربه

---

(٥) سواهم : تغير اللون مع الهزال • جنح : مائلة • كلوم :جروح• الصفاح جمع الصفح : الجانب من الوجه •
(٦) نزعت : اشتاقت • صواديا : عطاشي • تقاذفت : تسارعت•حزون: جمع الحزن : الارض الغليظة •
(٧) المراح : السرور • التليل : العنق • قذال : مؤخر الرأس•
(٨) تدرع في السير : تتقدم • الشموس : النفور
(٩) كالقوس : نحيلة •

وهي قوله تعالى « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وعلى هذا فحقّ العباسيين في الخلافة امر واضح لا يمكن للعلويين أن يستروه او يخفوه كما لا يستطيعون ستر نجوم السماء او اخفاء هلالها وذلك حيث يقول مخاطبا العلويين : (١٠)

هل تطمسون من السماء نجومها … بأكفكم أم تسترون هلالهـــا
أم تدفعون مقالــة عن ربـــكم … جبريل بلّغهـــا النبي فقالهـــا
نزلت من الانفـــال آخر آيـــة … بتراثهم فأردتـــم ابطالهـــا

وإذا كان الغرض السياسي الذي تضمنته هذه القصيدة هو الغرض الرئيس فيها فيكون قد بالغ في المحافظة والتقليد اذ جعل مديح المهـــدي غرضاً ثانويا في عداد فنون النسيب ووصف الرحلة التي مهّد فيها للغرض الاخير . ذلك أن المديح يعتبر من الفنون الاساسية في القصائد القديمة . ولا بد لي أن اشير هنا الى ان مروان كثيراً ما يخلط في قصائده بين المديح والسياسة على أساس انهما فنان رئيسان في قصيدته .

ولا شك في ان المحافظة في بناء القصيدة العربية أثر من آثار النفس العربية المطبوعة على حبّ القديم وتقديسه . وقد لازم هذا الأثر الشعر العربي منذ أقدم عصوره حتى يومنا هذا . ذلك ان صفة المحافظة في قول الشعر قوية متمكنة من النفس العربية وانها اكسبت القصيدة واللغة في صورتها وجوهرها قوة داخلية خاصة وحركة ذاتية جعلتها تساير الحياة وتجاري طبيعة تغيرها دون حاجة الى ان تتحول هذه المجاراة الى عملية اندثار للاوضاع

(١٠) تاريخ بغداد : البغدادي ج ١٣ ص ١٤٣ ط . حجازي .

القديمة [١١] . واذا كانت صفة المحافظة في بناء القصيدة بهذا الشكل من القوة والتمكن فطبيعي ان يرضي مروان ذوق عصره وان يخضع فنه لبيئته الادبية المحافظة .

ب — الأغراض الشعرية :

مر بنا فيما تقدم ان النقاد القدامى كانوا لا يستملحون أو لا يتذوقون من الشعر الا ما كان قديما او ما نحا فيه اصحابه نحو هذا القديم. وقد تقدم بنا كيف ان الاصمعي كان يقول : طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والافتخار [١٢] . وبهذا يكون الاقدمون قد اوحوا إلى شعراء هذه البيئة بان يقلدوا الاوائل وان يحذوا حذوهم في طرق الاغراض الشعرية التي اكثر الشعراء الجاهليون من طرقها كالمدح والهجاء والوصف والتشبيب ان ارادوا ان يسلكوا طريق الشعراء الفحول ذلك ان هذه الاغراض الشعرية كانت تصور الحياة الاجتماعية بما فيها من نزعات وعادات وتقاليد قديمة ، ولان هذه الاغراض تتسع لمد العلماء بالشواهد النحوية التي اجتهد النحويون انفسهم من أجل ان يظفروا بها ، ولاطرادها على قواعدهم [١٣] .

واذ كان الامر كذلك بالنسبة للاغراض الشعرية ، فان مروان بن ابي

---

(١١) تاريخ الشعر العربي . البهبيتي ص ٧٥ ط . مؤسسة الخانجي. القاهرة .

(١٢) الموشح المرزباني ص ٩٠ ط . دار نهضة مصر .

(١٣) نقائض جرير والفرزدق . الدكتور محمود غناوي ص ٣١٤ ط. دار المعرفة ببغداد .

خصة اكثر من طرق الاغراض التي رغب فيها أهل عصره كالمديح والرثاء والتشبيب والفخر وعزف عن الاغراض الهازلة التي لا تناسب اذواق رجال هذه البيئة ، لانها ليست من شعر الفحول الاقدمين ، وليست من الأغراض الشعرية التي دعا اليها الاصمعي واضرابه من علماء بيئة مرواز الادبية ، وحتى اننا لنجد لمروان ما يقرب من سبع واربعين قصيدة او مقطوعة في غرض المديح من بين خمس وسبعين قصيدة ومقطوعة وجدناها له .

ج — أوزان قصائده :

الأوزان في الشعر الجاهلي كثيرة متنوعة ، هي بين الطـويل الثقيل والقصير الخفيف . وقد التزم مروان في شعره اكثر البحور الشعرية دورانا واستعمالا في الشعر القديم . ولعل فنون المديح والرثاء والسياسة التي غلبت على شعره كانت ذات أثر في هذا الالتزام . هذا الى أن الاوزان المديدة تصلح اكثر من غيرها للالقاء في المجالس الكبيرة ، طلبا لاثارة عواطف الحضور وحماسهم وللتأثير في السامعين . وقد كانت بحور الطويل والكامل والبسيط والوافر أهم الاوزان الشعرية التي اتخذ منها مروان قوالب للانفعـالات التي كانت تختلج في نفسه فهو قد قال اكثر من ثلاث واربعين قصيدة او مقطوعة في البحر الطويل ، وبلغت قصائده ومقطوعاته في البحر الكامل ثماني عشرة . ونظم أحدى عشرة قصيدة او مقطوعة في البحر البسيط . أما بقية قصائده ومقطوعاته فموزعة على بحور الخفيف والوافر والرجز ، فأوزان مروان اذن ، لا تعدو الابحر الشعرية المألوفة المشهورة في الجاهلية والأسلام . وقد كانت هذه الأبحر كافية لأن تستوعب افكاره وعواطفه وصوره .

د ـ المعانــي :

تقدم بنا في فصل سابق ان مروان بن أبي حفصة تلمذ لزهير بن ابي سلمى ، وهذا يعني أن الشاعر قد أخذ نفسه بتقليد الاقدمين متأثراً بحب علماء بيئته ونقادها للأقدمين وشعرهم . وهذا التقليد كان يستلزمه ان يغير على الكثير من معاني الشعراء القديمة . ذلك ان الشاعر اي شاعر ما يزال يستعين بالآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه[١٤] حتى تكمل اداته وتتمكن فيه الملكة الشعرية ، والشاعر انما يندفع الى الاغارة على افكار الآخرين ومعانيهم بأحد سببين : أولهما ، اعجابه بتلك الأفكار والمعاني فيضمها الى شعره . وثانيهما ان يكون الشاعر ضيق الأفق قليل الابتكار وهــذا يؤدي به الى ان يأخذ من نتاج الآخرين ويضمنه قصائده بتغيير او بدون تغيير واذن فأخذ الشعراء معاني سابقيهم صفة عامة لا ينفرد بها شاعر دون آخر ، فالأخذ عن القدماء ميزة واضحة عند كل الشعراء . وقد يحصل التوافق والتشابه بين معنى وآخر وبين لفظ وآخر نتيجة لتوارد الخواطر عند الشعراء. ذلك ان من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها وأتى على معظمها وإنما يحصل على بقايا اما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها او لبعد مطلبها واعتياص مراميها وتعذّر الوصول اليها [١٥] . ولما كان مروان بن أبي حفصة شاعرا محافظا محبا للقديم آخذا بمذهب الأوائل مهتديا بزهير واضرابه ، فأنه

(١٤) الوساطة . الجرجاني ج ١ ص ١٦٦ ط البابي الحلبي .

(١٥) الوساطة . الجرجاني أيضاً ج ١ ص ١٦٦ .

استمد كثيراً من معاني شعره من الشعر القديم • فمن ذلك قوله : (١٦)

تساقط منهن الاحاديث غضّة تساقط در أسلمته المعاقد

فقد سبقه الى هذا المعنى ابو حيّة النميري حيث قال : (١٧)

اذا هنّ ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم

فكما شبه ابو حيّة النميري احاديث النساء بالاحجار المرجانية التي تساقطت من يد ناظمها ، فإن مروان شبه أحاديث الفتيات الغضة بالدرّ الذي انفرط من سلكه •

وتأثر مروان زهيراً في قوله : (١٨)

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فقال يمدح جعفراً البرمكي : (١٩)

كأنّ البرمكيّ بكل مال تجود به يداه يفيد مالا

فمروان أغار على معنى زهير في مدح المعطي الكريم بالتهلل والسرور حين يهب ويعطي • وقال زهير في مطلع قصيدته اللامية : (٢٠)

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

فحذا مروان حذوه في مطلع قصيدته اللامية ايضاً فقال · (٢١)

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله واقصرن عنه حين اقصر باطله

وافتخر ابو الطمحان القيني فقال : (٢٢)

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منهم سيد قام صاحبه

(١٦) و (١٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٢٠ ط • دار الكتب العربية•
(١٨) ديوان زهير ص ١٤٢ ط • دار الكتب •
(١٩) وفيات الاعيان • ابن خلكان ج ٤ ص ٢٣٧ •
(٢٠) ديوان زهير ص ١٢٤ ط • دار الكتب •
(٢١) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٣٢ •
(٢٢) الكامل : المبرد • ج ١ ص ٤٦ ط • البابي الحلبي •

نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

وفي هذا المعنى أيضاً قال طفيل الغنوي يمدح قوماً : (٢٣)

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا ساطعاً في حندس الليل كوكب

وأغار مروان على المعنى المتقدم حين مدح العباسيين بقوله (٢٤) :

وأبناء عباس نجوم مضيئة اذا غاب نجم لاح آخر زاهر

فمعنى مروان المتقدم قريب كل القرب من المعنى الذي سبقه اليه القيني والغنوي . ومدح أمية بن ابي الصلت عبد الله بن جدعان فقال(٢٥) :

تباري الريح مكرمة وجوداً اذا ما الكلب أجحره الشتاء

فتأثر مروان هذا المعنى حين قال :

وما خلقت إلا لبذل اكفهم والسنهم إلا لتحبير منطق

فيوما يبارون الرياح سماحة ويوما لبذل الخاطب المتشدق

ووصف الشنفرى في لاميته يوماً حاراً فقال : (٢٧)

ويوم من الشعرى يذوب لعابه أفاعيه في رمضائه تتململ (٢٨)

نصبت له وجهي ولكن دونه ولا ستر الا الأتحمي المرعبل (٢٩)

وقريب من هذا المعنى قول مروان يصف يوماً حاراً أيضاً : (٣٠)

---

(٢٣) الحيوان . الجاحظ ج ٣ ص ٩٤ .

(٢٤) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .

(٢٥) العمدة . ابن رشيق ج ٢ ص ١٥٨ ط . ثالثة السعادة .

(٢٦) مروج الذهب . المسعودي ج ٣ ص ٣٦٦ ط . السعادة .

(٢٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ .

(٢٨) الشعري : كوكب في الجوزاء .

(٢٩) الاتحمي : ثوب شديد السواد او الشقرة . رعبل الثوب : مزقه .

(٣٠) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ .

ويوم ٍ عسول الآل حام كأنما لظى شمسه مشبوب نار تلهب (٣١)
نصبنا له منا الوجوه وكنها عصائب اسمال بها تتعصب (٣٢)

هذه المثل — وهناك أخرى غيرها — تدل دلالة واضحة على أن مروان قد استمد الكثير من معاني الشعراء الاقدمين واغار عليها • وهذه الميزة في شعره تعني ان طابع التقليد والمحافظة قد غلب على شعره •

ولابد ان نشير هنا الى أن في شعر مروان كثيراً من المعاني الجديدة ولا سيما الدينية والسياسية • وقد تناولنا معانيه الدينية الجديدة التي كثر تكرارها في شعره كالعدل والمساواة حين تحدثنا في الفصل الرابع عن أثر القرآن الكريم في شعره أما معانيه السياسية التي تكررت كذلك في شعره السياسي كالمدح بحماية الدولة والدين وتأييد الحق العباسي في الخلافة والاحتجاج للعباسيين بأنهم أقرب رحما للنبي (ص) وما الى ذلك ، فقد تقدم القول فيها في الحديث عن أثر السياسة في شعره في الفصل الثاني ولا اريد هنا ان آتي بالشواهد والأمثلة الشعرية لئلا نضيع في تكرار ممل غير مفيد •

هـ — الاعتدال والبعد عن الغلو :

القرب من الواقع والتعبير عن المشاعر والاحاسيس بأعتدال دونما غلو واسراف في الأفكار والاخيلة خصيصة فنية كادت ان تطغى على مجموع الشعر الجاهلي • أما ما خرج من هذا الشعر عن حد الاعتدال الى الأفراط والاغراق فإنه شيء قليل بالنسبة الى ضخامة هذا النتاج •

(٣١) الآل : السراب •
(٣٢) كنّها : سترها •

وقد اختلف العلماء والنقاد أزاء هذه الظاهرة في الشعر العربي في عصوره الاسلامية بعد ان طرأت على النفس العربية الطوارىء الغريبة من آثار الامم الأخرى فمنهم من يؤثر التعبير القريب من الحقيقة على التعبير المغرق في البعد عن الواقع لأن خير الكلام — عندهم — ما تناول الحقائق ، فإن لم تكن فما قاربها وناسبها (٣٣) ، وقد طعن قوم على هـذا المذهب بمنافاته الحقيقة ، وإنه لا يصح عند التأمل والفكرة . (٣٤)

وقد كان لنشأة مروان بن أبي حفصة في بيئة حافظت على مظاهر حياتها البدوية البسيطة أثرها الكبير في ايثاره الصور الواقعية حين عبر عن مشاعره واحاسيسه وعواطفه في مدائحه ومراثيه واوصافه ، فقد كان مروان في كل هذه قريبا الى الاعتدال بعيدا عن المبالغة المسرفة ، على الرغم من ان فنّي المديح والرثاء — اللذين غلبا على شعره — يتسعان للاخيلة المحلقة والمشاعر المنطلقة بلا حد في آفاق الشعراء . ومع هذا فنحن نجد الشاعر قد نهج نهج الاوائل في هذه الظاهرة التي تميز بها الشعر العربي الجاهلي . فهو حين مدح معن بن زائدة الشيباني بالشجاعة والاقدام في الحرب قال فيه (٣٥) :

ما من عدو يرى معنا بساحته ... إلا يظنّ المنايا تسبق القدرا
يانى اذا الخيل لم تقدم فوارسها ... كالليث يزداد أقداماً اذا زجرا
أغرّ يحسب يوم الروع ذا لبد (٣٦) ... وردا ويحسب فوق المنبر القمرا

فحين صور لنا مروان الخوف والفزع اللذين يملآن قلب من يجد نفسه في حومة معن اذ يحسب ان موته على يد معن سوف يسبق قدره المحتوم ،

---

(٣٣) و (٣٤) العمدة ج ٢ ص ٦١ — ٦٢ .
(٣٥) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ ط . دار احياء الكتب .
(٣٦) وهو ما أجتمع من الشعر على قفا الاسد فتلبد .

حين صور الشاعر ذلك ، أحترز لئلا تأتي صورته مفرطه في الغلو ، فأستعمل الفعل (يظن) واولاه لبعدت الصورة عن واقع الاعتقاد الأنساني وهو الأيمان بالقدر • وقد استخدم في بيته الأخير الفعل (يحسب) لتقريب الصورة من الاعتدال كذلك •

وحين مات الخليفة محمد المهدي ، دخل مروان على ابنه الهادي يعزّيه ويهنئه فقال : (٣٧)

لقد أصبحت تختال في كل بلدة   بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تسكنّ بابنه بعد موته   لما برحت تبكي عليه المنابر
ولو لم يقم موسى عليها لرجعت   حنيناً كما حنّ الصفايا العشائر (٣٨)

فقد احتال مروان لكلامه اذ استخدم أداة الشرط (لو) التي هي كما يقول النحويون « تفيد امتناع وقوع جملة جواب الشرط لامتناع وقوع جملة الشرط » وهذا الاستخدام ألجم خيال الشاعر وأوقفه عند الحد المقبول والمعقول من الواقعة • اذ ان ارتقاء الهادي منابر ابيه الراحل حال دون وحشة هذه المنابر وجزعها على ذهابه وحننها اليه ، وحين رثى مروان معنا الشيباني الذي تتابعت أياديه البيض السوابغ على الشاعر ، لم يسرف مروان في ابراز مشاعره واظهار احاسيسه ، ولم يغرق في تصوير فداحه الخطب النازل والمصيبة الواقعة ، وإنما اقتصد في تناول مشاعره واحاسيسه وبقي مشدوداً الى الواقع بما ضمّن ابياته من ادوات التشبيه والمقاربة : قال الشاعر : (٣٩)

(٣٧) الاغاني ج ١٠ ص ٩٣ ط • دار الكتب •
(٣٨) تاريخ الخلفاء السيوطي ص ١٨٧ ط • المنيرية • الصفايا : ما اختار الرئيس لنفسه من الغنيمة •
(٣٩) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٤١ ط • حجازي •

مضى لسبيله معن وأبقى ... محامد لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم اصيب معن ... من الاظلام ملبسه جلالا
وكادت من تهامة كل أرض ... ومن نجد تزول غداة زالا
كأن الليل واصل بعد معن ... ليالي قد قرن به فطالا

فحين أراد مروان ان يعبر عن أحاسيسه الثائرة ومشاعره الجزعة لفقد معن ــ الامير السخي الشجاع ــ كسف الشمس وهزّ الارض والبس الدنيا رداء الظلام ، ولئلا يرمى بالأغراق والغلو ، استخدم « كأنّ » و «« كاد »» فكان لاستخدامهما أثر كبير في ابقاء الصورة اقرب الى الاعتدال منها الى المغالاة والمبالغة المفرطة .

فاستعمال هذه الادوات وأمثالها يضفي على تصوير الخلجات النفسية صفة القرب والاعتدال .

وهنالك أمثلة كثيرة يمكن الاستشهاد بها على ما قلناه من أن مروان كان واقعي الصورة الشعرية وانه لا يجنح في تصوير عواطفه ومشاعره عن القدر الذي يبقيه في حدود الاعتدال والحقيقة او ما يناسبهما . واذا ورد في بعض أبيات مروان ما يلمس فيه شيء من الأغراق أو الأفراط فإنه قليل يمكن الاعتذار له . وبعد فما اتقدم يؤيد ما ذهبنا اليه من أن مروان بن أبي حفصة شاعر محافظ من اتباع مدرسة الأوائل ، وانه قلد الاقدمين في بناء القصيدة وفي أغراضه الشعرية وأوزانه وصوره القريبة من الواقع وفي قسم كبير من معانيه واذن فإن اسلوب القدماء من الجاهليين والمخضرمين كان المثل الأعلى الذي تأثر به مروان واحتذاه . وما ذلك إلا أثر من آثار البيئة الثقافية التي عاش فيها مروان فتأثر بها . وقد كان مسلك مروان في قول الشعر واتباعه نهج الأوائل سبباً في تقديمه على بشار ومسلم بن الوليد وأضرابهما

وعلى هذا الرأي كان ابن الأعرابي (٤٠) وأبو عمرو الشيباني (٤١) واسحق ابن ابراهيم الموصلي (٤٢) :

و — جزالة الألفاظ ورصانتها : —

تمتاز الفاظ مروان بصورة عامة ، بالقوة والمتانة ، وبخلوها من الوحشي الغريب المتوعر ، ومن التبذل والسوقية . فهي نقية صافية سليمة تلذ السمع ولا تنفر منها الأذان لرقتها وسهولتها ولخلوها من التعقيد والمعاضلة من جهة ولمتانتها ورصانتها وقوة أسرها من جهة ثانية .

ولا شك عندي في أن هذه الجزالة التي ميزت شعر مروان ترجع الى الأسباب التالية :

١ — كان للبيئة الأدبية التي حيي فيها مروان اثر كبير في شعره. اذ كانت هذه البيئة تعجب بالشعر القديم من حيث صورة ومعانيه وتراكيبه ، فكان هذا الذوق الأدبي العام عاملاً مؤثراً في اتجاه مروان نحو التقليدالذي أدى به الى ان يتأثر بنتاج الأقدمين والسير على نهجهم في اختيار الفاظه وعباراته المحاكية لالفاظ المتقدمين وعباراتهم من حيث القوة والوضوح .

٢ — مرّ بنا فيما تقدم ان مروان كان من شعراء الحوليات فهو — والحالة هذه — شاعر متفنن ذو صبر واناة في نظم الشعر وتثقيفه ، وهذا المذهب الشعري حتم على الشاعر ان يعنى بأختيار الألفاظ وصقلها ، وحذف الغريب والمتنافر منها حرصاً منه على انسجام موسيقى شعره ، فجاءت الفاظه جزلة قوية متينة التركيب والعبارة ، وخلص شعره من التنافر والأغراب وبدا

(٤٠) الأغاني ج ١٠ ص ٨٩ — ٩٠ ذ دار الكتب .
(٤١) (٤٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥١٩ ط دار احياء الكتب .

ملحوم الجوانب قد عمل فيه العقل والذوق الى جانب العاطفة ، (٤٣) وهذا ما حمل النقاد على الاعجاب به وتقديرهم له •

٣ ـ أن اغراض مروان الشعرية كالمديح والفخر والرثاء والسياسة الى حدٍ ما تقتضيه ان ينتقي المتين الجزل من الالفاظ ، كي تكون هذه الالفاظ اداة امينة في نقل عواطفه وانفعالاته • فالأشادة بالمفاخر والبطولات ومقارعة الخصوم السياسيين تحتمان على مروان ان يعنى بأختيار الألفاظ الفخمة القويــة لتوازي معانيه القوية الضخمة اذ أن الالفــاظ تقسم على رتب المعاني • (٤٤) هذا الى أن الخلفاء والامراء الذين كان ينشدهم مروان شعره كانوا يطربون لهذا اللون من الأسلوب الجزل بألفاظه القوية المتينة •

فمن شعره الذي امتاز برصانة الألفاظ وقوة التركيب قوله مفتخراً :

أروي الظمأ بــكلّ حوض مفعم ... جودا وأترع للسغاب قــد ورى
وتظل للاحسان ضامنــة القرى ... من كــل تامكة السنام (٤٥) عقير
اعطي اللهى متبرعا عودا عــلى ... بدء وذاك عــليّ غــير كثير
واذا هدرت مع القروم (٤٦) محاضراً ... في موطن فضح القروم هديري (٤٧)

وصورة أخرى من هذه الرصانة في الجمل وقوة الاداء التي ترفع شعره الى الذروة في الأسلوب الخالد والعبارة الجيدة قوله في معن بن زائدة : (٤٨)

معن بن زائدة الذي زيدت بــه ... شرفاً على شرف بنو شيبــــان

(٤٣) الأسلوب • الشايب ص ١٧٠ ط • مكتبة النهضة المصرية •
(٤٤) يتيمة الدهر • الثعالبي ج ٣ ص ٢٤٠ • ط • حجازي •
(٤٥) مكتنزة الشحم •
(٤٦) السادة •
(٤٧) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٤٦ ط • دار المعارف بمصر •
(٤٨) حماسة ابن الشجري ص ١١١ •

جبـل تلوذ بـه نزار كلهـا   صعب الذرى متمنع الاركـان
ان عـدّ ايام الفعـال فإنمـا   يوماه يوم ندى ويوم طعـان
تمضي اسنته ويسفر وجهـه   في الحرب عند تغيّر الالـوان

وبعد فإنّ الأمثلة على جزالة الفاظ مروان ورصانتها كثيرة في شعره لا تكاد تخلو منها قصيدة • وما ذلك إلا لأن مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ [٤٩] ولأن شعره شديد الاستواء وكلامه أشبه بكلام العرب • [٥٠] فألفاظه في جملتها سليمة اللغة متلاحمة التركيب ، وهذه ميزة كان لابد من أن يمتاز بها شعر مروان صاحب الشعر الحولي الذي قلّب النظر واطال التهذيب في الفاظه ، فوضع لفظة مكان أخرى حتى استقام له الاداء وانسجمت له العبارة •

ز ـ المادية والحسية في صور مروان :

كان مروان يعمد لأبراز عواطفه وافكاره الى الأخيلة والصور المـادية التي ينتزعها من بيئته العامة ، شأنه في ذلك شأن شعراء البادية الأقدمـين كزهير وجرير وأضرابهما من الشعراء الذين لم يتخلصوا من آثار بيئاتهم • وأمر طبيعي ان ينتزع كل شاعر صوره وأخيلته من بيئته الخاصة • واذ كانت نشأة مروان واقامته في بيئته بدوية صحراوية ، فقد كان لابد لصوره واخيلته من أن تتلون باللون البدوي •

وقد كانت تشبيهاته واستعاراته منتزعة من هـذه البيئة ، فهو قد شبه بالبحر والجبل والقباب المضروبة على الظعون ، والقمر والمطر والحبل والقوس

---

(٤٩) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥١٨ •
(٥٠) الأغاني ج ٣ ص ١٥٦ •

والسهام وما الى ذلك من هذه العناصر التي كونت استعاراته وتشبيهاته .
والتشبيه هو المرتبة الاولى من مراتب تجاوز الحقيقة الى المجاز في التعبير عن المعاني والأفكار المتدفقة في نفس الشاعر . ذلك ان المجاز ابلغ من الحقيقة وإنه أحسن وقعاً في القلوب والأسماع . (٥١) والشاعر — أيّ شاعر — يستمد من واقعه التشبيهات التي يؤلّف منها صورة جديدة متخيلة ، وكلما كان الشاعر واسع الأفق قوي الملكة كانت صورة وأخيلته أشد رفعة وجمالاً .

وقد كانت تشبيهات مروان مادية مستوحاة في أغلبها من بيئته البدوية معتمداً على الحس في اظهار المعاني في صور مادية محسوسة . ومن الصور التي انتزعها مروان من بيئته البدوية تشبيهه للاشجار الباسقة العالية بالظعائن التي ضربت عليها القباب فعلت وارتفعت ، وهذه صورة معرقة في البداوة فهو يقول : (٥٢)

ترى الباسقات العم فيها كأنهـــا ظعائن مضروب عليها قبابهـــا

وحين اراد مروان ان يعبر عن الغنى واليسار الذي يناله اذا ما بلغ يحيى بن خالد البرمكي اتخذ من الحبل موصلا لذلك وهذه صورة مادية محسوسة فهو يقول (٥٣) :

اذا بلّغتنا العيس يحيى بن خـــالد أخذنا بحبل اليسر وانقطع العسرُ

واذ تحدث عن قوة بني شيبان وبأسهم شبه ذلك بالحبل الذي يستمسك به ويعتصم بقوته ، فقال مخاطبا زائدة بن معن بن زائدة (٥٤):

(٥١) العمدة ج ١ ص ٢٦٦ ط . السعادة .
(٥٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٨ .
(٥٣) الوزراء والكتاب . الجهشياري ص ١٧٩ .
(٥٤) طبقات الشعر ابن المعتز ص ٤٩ .

أعصمت منكم نزار بحبل لم يريدوا بغيره استمساكا

ومن صوره المادية المحسوسة تشبيه النظيرين المتشابهين بالنعل التي قدّت على مثال اختها فهو يقول (٥٥) :

شبيه ابيه منظرا وخليقة كما حذيت يوما على اختها النعلُ

فهذه الصورة أمعن في البداوة من غيرها وقد كررها مروان في قوله مخاطبا الخليفة المهدي بانه اقتدى بالنبي (ص) في افعاله حذو النعل بالنعل (٥٦):

ولقد حذوتَ لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالَها

ونظر مروان الى لحية احدهم فالفاها شوهاء شعثاء قد تبعثرت اطرافها في غير انتظام في كل صوب وناحية ، واذ أراد ان يرينا هذه الصورة التي رآها عمد الى ما حوله من مادة فوجد في جناح الطير خير وسيلة مادية يبرز فيها هذه الصورة المادية المحسوسة فقال (٥٧) :

لقد كانت مجالسنا فساحا فضيقها بلحيته رباحُ

مبعثرة الاسافل والاعالي لها في كل زاوية جناح

وهكذا نلمس هذه المادة في اخيلة مروان وتشابيهه التي انتزعها من عالمه ومحيطه الحسيَّين اللذين تأثر بهما اشد التأثر . وهذه الحسية والمادية في تشابيه مروان وصوره كانت سببا في وضوح معانيه وافكاره ، ذلك ان تجسيم المعاني عامل اساس في تقريبها ووضوحها وسهولة تذوقها .

ح ــ قلة العناية بالمحسنات البديعية الا ما جاء لفائدة :

---

(٥٥) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٢ .
(٥٦) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٠ .
(٥٧) عيون الأخبار . ابن قتيبة ج ٤ ص ٥٦ ط . الكتب .

يبدو ان مروان بن أبي حفصة كان يرى الجمـال الشعري في حسن الاداء ووضوح المعنى وفصاحة اللفظ ومتانة التركيب • وهو من أجل هذا كله لم يعتن بالمحسنات المعنوية او اللفظية عناية كبيرة ظاهرة • وان ما جاء في شعره من هذا اللون انما كان للاحاطة بالفكرة والمعنى او انه ورد عفو الخاطر دون قصد او تعمد • فعلى الرغم من شيوع البديع في عصر مروان واهتمام الشعراء الشديد به ، فان شاعرنا لم يكد ذهنه وفكره في البحث عنه أو تقصّيه • وقد وردت في شعر مروان الوان بديعية كثـيرة منها : التتميم والجمع والتفريق والترصيع والتقسيم والايغال والمطابقة ••

والتتميم — ويسمي بعضهم ضربا منه احتراسا واحتياطا — هو ان يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئا يتم به حسنه الا اورده واتى به (٥٨)• مثـال ذلك قول مروان في مديح الخليفة المهدي (٥٩) :

يكون غرارا نومه — من حـذاره على قبة الاسلام — والخلق راقدُ

فقوله « من حذاره على قبة الاسلام » تتميم حسن للمعنى واحتياط لئلا يذهب الفكر الى غير ما كان يقصد اليه الشاعر في قوله « يكون غرارا نومـه » •

ومثل هذا قوله في المهدي ايضا (٦٠) :

تغضُّ لـه الطـرف العيون وطرفه على غيره — من خشية الله — خاشعُ

فقوله — من خشية الله — تتميم واحتراس لئـلا يفسر خشوع طرف الممدوح على غيره بغير ما اراده الشاعر •

---

(٥٨) العمدة ج ٢ ص ٥٠ ط • السعادة •
(٥٩) أمالي المرتضى • ج ١ ص ٥١٩ •
(٦٠) المصدر نفسه ج ١ ص ٥٢٤ •

ومن هذا اللون البديعي قوله في يزيد بن مزيد الشيباني : (٦١)

يا أكرم الناس من عجم ومن عــرب — بعد الخليفة — ياضرغامة العربِ

فقوله — بعد الخليفة — تتميم مكمل للمعنى واحتراس ، لئلا يظن بان الشاعر قد فضل الممدوح على جميع كرام العجم والعرب وحتى خليفة المسلمين •

اما الجمع والتفريق فهو ادخــال شيئين في معنى والتفــريق بين جهتي الادخــال (٦٢) •

ولعل هدف الشاعر من هذا الجمع هو اثارة اهتمــام السامع بالشعر وانتباهه له وبما سينتهي اليه هذا الجمع من تفصيل في الفكرة والمعنى • مثل ذلك قول مروان في معن بن زائدة الشيباني (٦٣) :

تشابه يوماه علينــا فاشكلا فما نحن ندري أي يوميه أفضلُ

ايوم نداه الغمر ام يوم بأسه وما منهمــا الا أغر محجــل

فالشاعر جمع في بيته الاول بين شيئين في معنى ولكنه عاد ففرق في بيته الثاني بين هذين الشيئين المتواليين •

ومثل هذا قوله في معن ايضا (٦٤) :

له راحتان : الحتف والجود فيهما ابى الله الا ان تضرا وتنفعــا

اما الترصيع — وهو ما يدعوه بعضهم بالتسميط — فهو تقطيع اجزاء البيت مسجوعا او شبيها بالمسجوع على روي مخالف روي ذلك البيت

(٦١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٩٤ •

(٦٢) و (٦٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص • عبد الرحيم العباسي • ج ٣ ص ٤ ط • السعادة •

(٦٤) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٨ •

آو تلك السجعة [٦٥] . مثال ذلك قول مروان [٦٦] :

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا
اجابوا وان اعطوا اطابوا وأجزلوا

فالبيت المتقدم مقطع الى ثلاثة اجزاء بائية الروي وهذا الروي مخالف لروي البيت .

اما الايغال : فانه ضرب من المبالغة الا انه في القوافي خاصة لا يعدوها [٦٧] .

والبيت المتقدم مثل لإيغال مروان في الشعر ، فقوله — واجزلوا — من أحسن ايغال المحدثين فقد بلغ به نهاية الحسن [٦٨] .

ومن ايغال مروان كذلك قوله مفتخرا [٦٩] :

حوت غنمها آباؤنا وجدودنا بصم العوالي والدماء خضابها

فقد تم معنى البيت في قوله « بصم العوالي » ولكنه أراد زيادة في الفخر فبالغ وأوغل في قوله « والدماء خضابها » .

ومن هذا اللون قوله — وقد تقدم بنا — [٧٠] :

تشابه يوماه علينا فاشكلا فما نحن ندري اي يوميه افضل
أيوم نداه الغمر ام يوم بأسه وما منهما الا اغر محجل

فقوله « محجل » زيادة وصف وايغال في المعنى ، والا فان معنى

---

(٦٥) و (٦٦) الايضاح لتلخيص المفتاح . جلال الدين القزويني ج ٤ ص ٤٦٨ ط . أولى ببولاق مصر .
(٦٧) العمدة ج ٢ ص ٥٧ ط . السعادة .
(٦٨) العمدة ج ٢ ص ٥٩ .
(٦٩) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٨ .
(٧٠) معجم الشعراء . المرزباني ص ٣١٨ .

البيت يتم في قوله « أغر » .

ومما امتاز به شعر مروان التقسيم . وهو استقصاء الشاعر جميع اقسام ما ابتدأ به (٧١) من المعاني . مثال ذلك قوله متحدثاً عن انتصار الفضل البرمكي في خراسان (٧٢) :

ابحت جبال الكابلي ولم تدع بهن لنيران الضلالة موقدا
فأطلعتها خيلا وطئن جموعه قتيلا ومأسوراً وفلاّ مشرداً

فالبيت الثاني ثلاثة اقسام : قتيل ومأسور ومشرد هارب . وهذا استقصاء حسن في ذكر الهزيمة . ذلك ان حال المهزومين في أي حرب لا يعدو الحال التي ذكرها مروان في هذا البيت .

ومثل هذا قوله (٧٣) :

تشابهتما حلما وعدلا وتائلا وحزما اذا امر اقام واقعدا

ففي البيت المتقدم تقسيم جميل وتعداد حسن للفضائل النفسية الكريمة.

وفي الخليفة المهدي قال مروان (٧٤)

هو المرء اما دينه فهو مانع صئون واما ماله فهو باذله

فالممدوح في هذا البيت مانع للدين وباذل للمال .

ومن هذا اللون البديعي قوله (٧٥) :

وما خلقت الا لبذل اكفهم والسنهم الا لتحبير منطق

(٧١) العمدة ج ٢ ص ٢٠ .
(٧٢) تاريخ الأمم والملوك . الطبري الجزء الاول المجلد الثالث ص ٩٣٧ ط . لا يدن .
(٧٣) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٧٢ .
(٧٤) كذلك ج ١ ص ٥٣٢ .
(٧٥) مروج الذهب المسعودي ج ٣ ص ٣٦٦ .

فيوما يبارون الرياح سماحة ويوما لبذل الخاطب المتشدق

فكل بيت من البيتين المتقدمين مقسم الى قسمين متساويين متكاملين .

اما المطابقة فهي الجمع بين الضدين في الكلام أو بيت شعر(٧٦) . وهي تقع بكثرة في قصائد الشعراء عن قصد او دون قصد . ولكنها في شعر مروان ليست ثمرة كد وجهد . فمن قوله في المهدي (٧٧) :

الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنائل كفيه الاكف الجوامدُ
له ذوق مجد الناس مجدان منهما طريف وعادي الجراثيم تالد

فالشاعر طابق بين « تندى » و « يبس » وبين «طريف»و«تالد»

ومن هذا اللون قوله في الرشيد (٧٨) :

وابناء عباس نجوم مضيئة اذا غاب نجم لاح آخر زاهرُ
وما الناس الا وارد لحياضكم وذو نهل بالريّ عنهن صادر

فقوله « غاب » ضد قوله « لاح » و « وارد » ضد«صادر» .

وبعد : فالامثلة كثيرة في هذا الباب . على ان الذي نريد ان نشير اليه هنا هو ان مروان بن ابي حفصة وان كان حريصا على ان ينحو في شعره نحو الاقدمين فقد كان يعجبه ان يكون مجاريا لذوق عصره في تزويق الشعر وتلوينه فزين شعره بشيء من المحسنات البديعة كغيره من الشعراء المحدثين .

ط — تكرار الالفاظ والمعاني :

(٧٦) العمدة ج ٢ ص ٥ .
(٧٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥١٩ .
(٧٨) تاريخ الأمم والملوك . الطبري ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .

للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها (٧٩) • والتكرار في الالفاظ والمعاني امر طبيعي يقع لأكثر الشعراء وان اختلفت دواعيه ومقاديره عندهم • وقد يقع التكرار في الالفاظ دون المعاني ، او انه يقع فيهمامعا•

ونحن اذ نعتبر تكرار الالفاظ والمعاني في الشعر العربي خصيصة فنية ، فيحسن بنا اذ ذاك ان نتناول ما وقع في شعرمروان منهذا اللون• واكثر ما تكررت الفاظ مروان ومعانيه في مديحه ورثائه وشعره السياسي•

ولعل ذلك يرجع الى العوامل التالية :

١ — ان فنون المديح والرثاء والسياسة فنون محدودة المعاني ، هذا الى ان فنّي المديح والرثاء خاصة ، فنان يصوران جوانب الحياة الاجتماعية فهما يستمدان مادتهما من معاني الفضيلة والمكرمة ، وهذه المعاني محددة لا مجال فيها للاختراع والابداع • وقلما يخضع هذان الفنان لعامل التجديد فان خضعا له خرجا الى الاسراف والمغالاة فهما فنان محافظان قلما يتطوران واذا تطورا فبمقدار • هذا الى أن فن المديح كاد أن يستنزف طاقات مروان الفنية ، اذ ان هذا الغرض الشعري استأثر بالشاعر وجعله يدور في فلكه لا يحيد عنه الا قليلا، والشاعر — أي شاعر — متى توفر على غرض شعري معين قل التجديد والابتكار في معانيه واخيلته فتأتي حينئذ معادة مكررة•

٢ — أن طول الأمد الممتد بين ١٤١ هـ وسنة ١٨٢ هـ كان سبباً في تكرار مروان لالفاظه ومعانيه في مديحه بصورة خاصة ، اذ ان هذه المدة الطويلة تؤدي حتما الى استنفاد الشاعر للمعاني النفسية المحببة فيضطر الى تكرارها وأعادتها في اشكال وصور مختلفة •

---

(٧٩) العمدة ج ٢ ص ٧٣ ط • السعادة •

٣ ـ وقد يكون مالمسه مروان في ممدوحه من الخلفاء والامراءوالقواد من حب وطرب لهذا اللون من المعاني العربية الاصيلة عاملا ثالثا دفعمروان الى تكرارها واعادتها في شعره ، كما سنرى ذلك في الامثلة التالية.

مدح مروان معن بن زائدة الشيباني بان ايامه يوم للطعان والحرب ويوم للعطاء والندى وبان هذين اليومين فاضلان متشابهين لا يمكن تفضيل احدهما على الاخر فقال (٨٠) :

تشابـه يوماه علينـا فأشكـلا   فما نحن ندري أي يوميه افضلُ
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسـه   وما منهمـا الا اغـر محجـل

وقد اعاد مروان هذا في مديحه للهادي حيث قال (٨١) :

تشابه يوما بأسـه ونوالـه   فما احد يدري لايهما الفضلُ

ومدح مروان معنا بانه الجبل الصعب المنيع الذي تلوذ به قبيلته نزار فقال (٨٢) :

جبل تلوذ به نزار كلهـا   صعب الـذي متمنع الاركانِ

واذ مدح الخليفة المهدي بعد ذلك كرر هذا المعنى بقوله : (٨٣)

جبل لامتـه تلوذ بركنـه   رادى جبال عدوها فازالـها

ومدح بني مطر ـ قوم معن ـ بالقوة وحماية الجار وبان هذا الجار في عزة ومنعة فقال (٨٤) .

هم يمنعـون الجـار حتى كأنمـا   لجارهم بين السماكين منـزلُ

(٨٠) معجم الشعراء . المرزباني ص ٣١٨ .
(٨١) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٦٤ .
(٨٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٢ .
(٨٣) أمالي المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ .
(٨٤) العمدة ج ٢ ص ١٤٢ .

وحين مدح زائدة بن معن بعد زمن اعاد هذا المعنى اذ قال[٨٥]:

من يرم جـــاره يكن مثل ما را م بكفيـه ان ينـال السماكا

وكما وقع التكرار في مديح مروان فأنه وقع في رثائه كذلك • والرثاء أولى أبواب الشعر بان يتكرر فيه الكلام ، لمكان الفجيعة وشدة القرحـة التي يجدها المتفجع • مثال ذلك قوله في رثاء معن بن زائدة الشيباني[٨٦]:

فلهف ابي عليـك اذا العطايا جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف ابي عليك اذا الاسارى شكوا حلقا باعنقهم ثقــالا
ولهف ابي عليك اذا اليتامى غدوا شعثا كأن بهم سلالا
ولهف ابي عليـك اذا المواشي رعت جدبا تمـوت به هزالا
ولهف ابي عليك لكل هيجـا لها تلقي حواملهـا السخالا
ولهف ابي عليك اذا القوافي لممتدح بها ذهبت ضـلالا
ولهف ابي عليـك لكـل أمر يقول لـه النجي الا احتيالا

وهذا التكرار في الفاظ مروان في ابياته المتقدمة يوحي بشـدة الاسى وعظم النازلة ، وهو بعد ذلك توكيد للمعاني التي ذكرها الشاعر وهي : ان معن ابن زائدة كان فقيد العطاء والاسارى واليتامى والحرب والشعر وكل امر صعب يحتاج الى رجولة فذة مثل رجولة معن •

وهذا اللون من التكرار في الالفاظ كثير في شعر العرب وبخاصة الرثاء منـه •

فمثله وقع في مرثية مهلهل بن ربيعة في اخيه كليب حيث قال[٨٧]:

(٨٥) طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٤٩ •
(٨٦) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٤١ ـ ٢٤٢ •
(٨٧) أمالي المرتضى ج ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ط دار احياء الكتب العربية•

على ان ليس عـدلا من كليب اذا طـرد اليتيم عن الجـزور

فهو قد كرر الشطر الاول في سبعة ابيات متتابعة .

ومثله ايضا وقع في مرثية ابنة عم النعمان بن بشير في زوجها حيث قالت (٨٨) :

وحدثني اصحابه ان مالكـا اقام ونادى صحبه برحيـل

فهي قد كررت الشطر الاول في اربعة ابيات من هذه القصيدة .

ووقع تكرار المعاني في شعر مروان السياسي ايضا . فهو مثلا ، حين يمدح الخليفة الهادي يمدحه بانه ابن من ورث النبي (ص) دون سائر الهاشميين من ذوي رحم النبي (ص) فيقول (٨٩) :

يا ابن الـذي ورث النبي محمـد دون الاقارب من ذوي الارحـام

ثم يعود مروان الى هـذا المعنى فيكرره في مديحه للرشيد اذ يقول لـه (٩٠) :

ابوك ولي المصطفى دون هـاشـم وان رغمت من حاسديك المنـاخر

وبعـد ، فان التكرار في الالفاظ والمعاني مما يقع عند اكثر شـعراء العرب ، ولكنـه ان تعدى الحد المعقول عد عيبا ونقصا في ملكة الشاعر . واذن فعلى الشاعر الفحل المجـود ان يتفادى الوقوع في التكرار الممـل المعيب . واخيرا ، فهذا الذي ذكرناه في الصفحات المتقدمـة يعطينا صورة تكاد ان تكون واضحة وشاملة لما امتاز به شعر مروان بن ابي حفصـة من خصـائص .

---

(٨٨) أمالي المرتضى ج١ ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ط دار احياء الكتب العربية .
(٨٩) العقد الفريد ج ١ ص ٣٥٩ ط . لجنة التأليف والنشر .
(٩٠) تاريخ الأمم والملوك . الطبري ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة .

شــعر مروان

جمع وتحقيــق وشرح

— ١ —

انشد مروان بن أبي حفصة موسى الهادي حين ولي الخلافة فقال يرثي أباه المهدي : [١] « الكامل »

لو [٢] خلدت بعد الأمام محمد نفسي لما فرحت بطول بقائها
إن البلاد غداة أصبح ثاوياً كادت تكون جبالها كفضائها
اليوم أظلمت البلاد وربما كشفت بغرته دجى ظلمائها
شغل العيون فلن ترى من بعده عيناً على أحد تجود بمائها
اقل الحياة إذا رأيت قصوره غبراً خواشع بعد فرط بهائها
عم الصحاح بعرفه وبفضله وشفى المراض بسيبه من دائها
روى الظماء [٣] بوادياً وعوامراً عفواً بأرشية الندى ودلائها

— ٢ —

وصف مروان حديقة وهبها له الخليفة المهدي فقال : [٤] « الطويل »

---

(١) التذكرة السعدية في الأشعار العربية . لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي . « مخطوط » ورقة (٢٠٧) في المكتبة الخاصة للاستاذ عبد الله الجبوري . البيت الاول في تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦ / ٤٣٨ .

(٢) في تاريخ الطبري « إن » .

(٣) في المخطوطة « الظما » بدون همزة .

(٤) أمالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٨٨ ط . دار احياء الكتب العربية .

نواضرَ غلبــا قد تدانت رؤوسهــا ... من النبت حتى ما يطير غرابُهــا (٥)
ترى الباسقات العمَّ فيهــا كأنهــا ... ظعائن مضروب عليهــا قبابهــا (٦)
ترى بابهــا سهلاً لــكل مدفــع ... اذا اينعت نخل فأغــلق بابهــا (٧)
يكون لنــا ما نجتني من ثمــارها ... ربيعاً إذا الآفاق قــلَّ سحابهــا
حظائر لــم يخلط بأثمانهــا الربا ... ولم يك من أخذ الديات اكتسابها (٨)
ولــكن عطاء الله من كــل مدحــة ... جزيل من المستخلفين ثوابهــا (٩)
ومن ركضنا بالخيــل في كــل غارة ... حلال بأرض المشركين نهابهــا
حوت غنمهــا آباؤنا وجــدودنا ... بصم العوالي والدماء خضابهــا

— ٣ —

ومما يختار لمروان قوله : (١٠) « البسيط »

---

(٥) نضر الشجر : كان جميلا اخضر الورق • غلب واحدها اغلب غلباء: الحديقة المتكاثفة الشجر •

(٦) بسقت النخلة فهي باسقة : ارتفعت • العم : النخل الطوال • الظعائن مفردها الظعينة : الهودج •

(٧) يريد أن هذه الحديقة لا يغلق بابها حــين يثمر نخلها وان اغلق الآخرون الأبواب على نخيلهم •

(٨) الحظائر واحدتها الحظيرة : هي التي يحضرها مالكها عنده ويمنعها• وهو يريد هنا حظيرة الشجر • الدية ج ديات ما يؤخذ عوضا عن دماء القتلى• وذلك أن العرب كانوا يأنفون من أخذ الدية •

(٩) استخلفه في قومه : جعله خليفة عليهم •

(١٠) أمالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٧٤ • البيت الثالث : معجم الشعراء المرزباني ص ٣١٨ ط • دار احياء الكتب العربية •

موفـــق لسبيل الرشد متبـــع   يزينه كـــل ما يأتي ويجتنب (١١)
تسمو العيون اليه كلمـــا انفرجت   للناس عن وجهه الابواب والحجب (١٢)
له خلائق بيض لا يغيرهـــــا   صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب (١٣)

— ٤ —

وقال مروان في مدح يزيد بن مزيد الشيباني : (١٤)   « البسيط »

يا اكرم النـــاس من عجم ومن عرب   بعـــد الخليفة ياضرغامـــة العرب
افنيت مالـــك تعطيه وتنهبـــــه   يا آفة الفضة البيضاء والذهب (١٥)
ان السنان وحدّ السيف لو نطقـــا   لأخبرا عنك في الهيجاء بالعجب (١٦)

(١١) الموفق : الرشيد .
(١٢) تسمو العيون : تشخص .
(١٣) الخلائق البيض : السجايا الحسان . صرف الزمان : نائبة الدهر .
(١٤) العقد الفريد : ابن عبد ربه ج ١ ص ٢٩٤ ط . لجنة التأليف والنشر . وتروى هذه الأبيات كذلك لمسلم بن الوليد الأنصاري في مدح يزيد بن مزيد الشيباني . ديوان مسلم ص ٣٠ . تحقيق سامي الدهان . دار المعارف في مصر : والمعروف ان كلاً من مروان ومسلم قد مدح يزيد بن مزيد .
(١٥) انهب ينهب الرجل ماله : جعله نهبا يغار عليه . والانهاب عادة جاهلية انبعثت من جديد في بعض الأقاليم العربية بعد الأسلام .
(١٦) السنان ج الأسنة : نصل الرمح . حد السيف : مقطعه المشحوذ .

— ٥ —

مدح مروان الفضل بن يحيى البرمكي فقال : [١٧] « البسيط »

ما الفضل إلا شهاب لا أفول لـــه عند الحروب إذا ما تأفل الشهب[١٨]
حامٍ على ملـــك قوم عزّ سهمهم من الوراثـــة في أيديهم سبب [١٩]
أمست يـد لبني ساقي الحجيج بها كتائب مالهـا في غـيرهم أرب [٢٠]
كتائب لبني العبـاس قـــد عرفت ما الف الفضل منها العجم والعــرب
اثبتّ خمس مئين في عـــدادهـم من الألوف التي أحصت لك الكتب
يقـارعون عن القوم الذين هـم أولى بأحمد في الفرقان ان نسبوا[٢١]
ان الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق يبقى على جود كفيه ولا ذهب [٢٢]
ما مر يـوم لـــه مذ شدّ مئـزره إلا تموّل اقوام بما يهب [٢٣]

(١٧) تاريخ الأمم والملوك الطبري ج ١ مجلد ٣ ص ٩٣١ — ٩٣٢ ط • لايدن •

(١٨) الشهاب : وهو الكوكب عموماً يقال « فلان شهاب حرب » اذا كان ماضياً فيها •

(١٩) في الأصل (غرّ) ولا يحتمل الوزن هذه الكلمة ولعل الصواب ما أثبتناه •

(٢٠) ساقي الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كان يتولى السقاية في الجاهلية • أرب ج آراب : الحاجة •

(٢١) يقارعون : يضارب بعضهم بعضاً •

(٢٢) الورق ج أوراق ووراق : الدراهم المضروبة •

(٢٣) المئزر : كل ما يستر الأنسان • يقال « شد للأمر مئزره » اذا تهيأ له •

كم غاية في الندى والبأس أحرزها   للطالبين مداها دونها تعب [٢٤]
يعطي اللهى حين لا يعطي الجواد ولا   ينبو اذا سلت الهندية العضب [٢٥]
ولا الرضا والرضا لله غايته   الى سوى الحق يدعوه ولا الغضب
قد فاض عرفك حتى ما يعادله   غيث مغيث ولا بحر له حدب [٢٦]

— ٦ —

انشد مروان معن بن زائدة الشيباني فقال : [٢٧]   « الكامل »

حل المشيب فلن يحول برحله   عني وبان فلن يؤوب شبابي
فرعت بنو معن روابي وائل   متمهلين وهن خير روابي [٢٨]
قوم رواق المكرمات عليهم   عالي العماد ممهد الأطناب [٢٩]

---

(٢٤) يريد ان الذين يطلبون بلوغ الغاية التي بلغها الفضل يتعبون وينصبون ولا يبلغونها •

(٢٥) اللهي : افضل العطايا وأجزلها • نبا السيف : كل وارتد ولم يقطع • العضب : السيوف القاطعة •

(٢٦) الحدب : الموج العظيم وتراكب الماء في جريه تشبيها بالرمل المحدودب •

(٢٧) مخطوطة في مكتبة برلين تحت رقم — ٧٥٣٠ — •

(٢٨) فرع الروابي : صعدها • والكلمة في الأصل « فزعت » ولكن السياق يقتضي ما اثبتناه • وكلمة « وائل » في الاصل « وايل » •

(٢٩) الرواق : سقف في مقدم البيت او كساء مرسل على مقدم البيت من اعلاه الى الأرض ج أروقة ورواقات • الأطناب مفردها الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت •

يلقى العدو لهم اذا ما رامهم ... أركان شامخة عليه صعاب [٣٠]
وهم النضار اذا القبائل حصلت ... انسابها ولباب كل لباب [٣١]

— ٧ —

وفي مدح معن قال مروان أيضاً : [٣٢] « الكامل »

مسحت ربيعة وجه معن سابقاً ... لما جرى وجرى ذوو الأحساب [٣٣]
خلى الطريق له الجياد قواصراً ... من دون غايته وهن كوابي

— ٨ —

وقال مروان يمدح معنا وقومه بني شيبان : [٣٤] « البسيط »

(٣٠) شامخة : جبال عالية . وكلمة « أركان في الأصل غير واضحة » .
(٣١) النضار : الذهب والجوهر الخالص . التحصيل : الجمع والتمييز . ومنه قوله تعالى « وحصل ما في الصدور » للتمييز بين خيره وشره .
(٣٢) معجم الشعراء . المرزباني ص ٣١٨ ط . دار احياء الكتب العربية . البيت — ١ — في أمالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٢٢٦ ط . داراحياء الكتب العربية .
(٣٣) ربيعة : قبيلة الممدوح .
(٣٤) مخطوطة في مكتبة برلين تحت رقم — ٧٥٣٠ — . الابيات ٤ — ٦ — ٧ — ١٣ — ١٤ — ١٥ — ١٦ — في ديوان المعاني للعسكري ١/٥٢ نشر مكتبة القدسي . وفي « التذكرة السعدية » — مخطوط — ورقة ١٦٧ . البيت — ٤ — في « شرح المضنون به على غير أهله — لعبيدالله بن عبدالكافي ط . السعادة .

قــل للفؤاد الــذي يعتــاده الطرب ... هــل للصبا اذ تولى عهــده طلبُ ؟
ما اصبح اليوم من قــوم ذوي نعم ... إلا على باب معن منهم عصب (٣٥)
شدّوا الرحال الى معنٍ على ثقــة ... بفيض جود فعموا بالــذي طلبوا
قل للجواد الــذي يجري ليدركــه ... قصّر فمالك إلا (الفوت) والتعب(٣٦)
فمــا الشجاعة إلا دون نجدتــــه ... ولا المروءة إلا دون ما يهب
أن الفوارس من شيبان قــد عرفوا ... بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا(٣٧)
قــد جرب القوم قبــل اليوم انهم ... أهل الحلوم واهل الشعب ان شعبوا(٣٨)
شيبان فرع نزار في ارومتهــــــا ... وانت فرع بني شيبان ان نسبوا (٣٩)
فرع نمــاه شريك وابنــه مطــر ... والصلب عمرو وبكر السادة النجب
قادوا وسادوا نزاراً في زمانهــــم ... عفوا ومن فرعهم تسمو بك الشعب

---

(٣٥) العصب مفردها العصبة والعصابة : الجماعة من الناس .

(٣٦) ــ الفوت ــ الحرف الاخير في الكلمة الموضوعة بين القوسين غير واضح في مخطوطة برلين . والكلمة واضحة في المصادر الثلاثة الأخيرة . في « التذكرة » و « ديوان المعــاني » « يسعى » بــدل « يجري » .وفي « التذكرة »و« شرح المضنون » « الطلب » بدل « التعب » وفي ديوان المعاني وشرح المضنون « أقصر » بدل « قصّر » .

ويرى صاحب شرح المضنون أن مروان بن أبي حفصة اخذ معنى بيته هذا من قول زهير :

سعى بعــدهم قوم لكي يدركوهم ... فلم يفعلوا أو لم يلاموا ولم يألوا .

ويبدو لنا أن ابن ابي حفصة لم يتأثر زهيراً في هذا المعنى .

(٣٧) في « التذكرة » الشطر الثاني كما يلي « بالصدق إن نزلوا للموت أو ركبوا » .

(٣٨) الشطر الاول في « التذكرة »و« ديوان المعاني » كما يلي « قد جرّب الناس قبل اليوم أنهم » وشعب : كسر ، وهو يريد أنهم اهل قوة.

(٣٩) الارومة : الأصل .

كانوا البحور التي تروى العفاة بها   فقد (٤٠) خلفتهم للناس اذ ذهبوا
فما بقيت اصاب العرف طالبه   وان ذهبت فما للعرف مطلب
كفى القبائل معن كل معضلة   يحمى بها الدين أو يرعى بها الحسب
كنز المحامد والتقوى ذخائره   وليس من كنزه الأوراق والذهب
أنت الشهاب الذي يرمى العدو به   فيستنير وتخبو عنده الشهب
بنو شريكٍ هم القوم الذين لهم (٤١)   في كلِّ يوم رهان تحرز القصب

— ٩ —

ولمروان يصف يوما حاراً : (٤٢)   « الطويل »

ويوم عسول الآل حامٍ كأنما   لظى شمسه مشبوب نار تلهب (٤٣)
نصبنا له منا الوجوه وكنها   عصائب اسمال بها تتعصب (٤٤)

— ١٠ —

ودخل على الرشيد فقال : (٤٥)   « الطويل »

---

(٤٠) في التفعيلة الاولى حصل خبن .
(٤١) في « التذكرة » بهم بدل لهم .
(٤٢) امالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ ط دار احياء الكتب العربية .
(٤٣) العسول : الجاري . الآل : السراب .
(٤٤) كنّ يكن الوجه من الشمس : ستره في كنه وغطاه . الكِنّ جمع اكنان وقاء كل شيء وستره . سمل يسمل الثوب : اخلق وبلى فهو سمل جمع اسمال .
(٤٥) الاغاني : الأصفهاني ج ١٠ ص ٨٨ ط . دار الكتب .

لعمرك ما انسى غـــداة المحصَّب   اشارة سلمى بالبنـــان المخضب (٤٦)
وقد صدر الحجاج إلا اقلّهـــــم   مصادر شتى موكبا بعد موكب (٤٧)

— ١١ —

وله في مدح معن بن زائدة الشيباني : (٤٨)   « الطويل »

الى المجتـــدى معن تخطت ركابنـــا   تنائف فيما بينهـــا الريح تلغـــب (٤٩)
كأنّ دليـــل القوم بـــين سهوبهـــا   طريد دم من خشية الموت يهرب (٥٠)
يـــدأنا عليهـــــا وهي ذات عجارف   تقاذف صعرا في البرى حين تجذب (٥١)
فمـــا بلغت صنعاء حتى تبـــدلـــت   حلوما وقد كانت من الجهل تشغب (٥٢)
الى باب معنٍ ينتهي كـــل راغب   يرجّي النـــدى او خائف يترقب
جرى سابقـــا معن بن زائـــدة الذي   بـــه يفخر الحيان بـــكر وتغلب

(٤٦) البنان : طرف الاصبع • خضَّب البنان : لونه فهو خضب ومخضوب ••المحصب : موضع رمي الحجار بمنى •
(٤٧) صدر الحجاج عن البيت الحرام : رجعوا عنه •
(٤٨) حماسة ابن الشجري ص ١١٠ ط • دائرة المعارف العثمانية •
(٤٩) اجتدى يجتدي فلانا : سأله حاجة ، فالمجتدي : معطي الحاجة • تنائف مفردها تنوفة : البرية لا ماء فيها ولا انيس • لغبت الريح تلغب: تضعف•
(٥٠) طريد دم : مطارد لوتر وثأر •
(٥١) عجارف مفردها عجرفة وعجرفية : السرعة في المشي • تقاذف : أي تتقاذف : تجري بسرعة • صعر يصعر صعراً وجهه : مال الى أحد الشقين فهو اصعر وهي صعراء جمع صعر • البرى : حلقة توضع في أنف الجمل ، جذب يجذب جذبا في السير : اسرع ، وسير جذب : سريع •
(٥٢) تشغب : تظهر المعاكسة والممانعة •

فبرّز حتى ما يجارى وانمـــــا الى عرقه ينمى الجواد وينسب (٥٣)
محالف صولات تميت ونائـــــلٍ يريش فما ينفك يرجى ويرهب (٥٤)

— ١٢ —

وقال مروان متشوقاً : (٥٥) « البسيط »

ما يلمــــع البرق إلا حنّ مغترب كأنــه من دواعي شوقــه وصب
أهــلاً بطيف لأم السمط أرّقنــا ونحن لا صدد منــا ولا كثــب
ودي على ما عهــدتم في تجـــدده لا القلب عنكم بطول النأي ينقلب

— ١٣ —

وله في مديح جعفر البرمكي : (٥٦) « الطويل »

ثلاثون ألفــاً كلهــا طبريــة دعا لي بها لما رأى النصك صالح (٥٧)
دعا بالزيوف الناقصات وانمــا عطاء أبي الفضل الجياد الرواجـح
فقلت لــه لمــا دعا بزيوفـــه أألجدّ هــذا منك أم انت مازح

(٥٣) نمى ينمي الرجل الى عرقه : نسبه اليه .
(٥٤) النائل : ما ينال . راش يريش ريشا : جمع المال . ونائل يريش: عطا ينفع .
(٥٥) الحماسة البصرية . للبصري ٢/١٧٣ .
(٥٦) المحاسن والاضداد . البيهقي ٢٤٣ — ٢٤٤ .
(٥٧) الصيرفي .

— ١٤ —

ولمروان في وصف لحية : (٥٨) « الوافر »

لقـــد كانت مجالسنا فساحا فضيّقها بلحيته ربـــاح
مبعثرة الاسافــل والأعالــي لهــا في كــل زاوية جنــاح

— ١٥ —

وقال يذكر عتق جدّه ابي حفصة : (٥٩) « الوافر »

بنو مروان قــوم اعتقونــي وكلّ الناس بعد لهم عبيد (٦٠)

— ١٦ —

ودخل على الخليفة الهادي فقال : (٦١) « الطويل »

---

(٥٨) عيون الاخبار ، ابن قتيبة ، ج ٤ ص ٥٦ ط ، دار الكتب .

(٥٩) طبقات الشعراء ، ابن المعتز ص ٤٣ ط ، دار المعارف بمصر ، الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ج ٢ ص ٦٤٩ ط ، دار الثقــافة .

(٦٠) بنو مروان : مروان بن الحكم ، وفي الشعر والشعراء «قومي» بدل « قوم » وفي طبقات الشعراء « بعدهم » بدل « بعد لهم »وقد اثبتنــا ما يلائم السياق ، اعتقه : حرره .

(٦١) تاريخ الامم والملوك ، الطبري ، الجزء الأول من المجلد الثالث ص ٥٩٤ ط ، لايدن .

بسبعين الفاً شدَّ ظهري وراشني ابوك وقد عاينت من ذاك مشهدا (٦٢)
وإنّ أمير المؤمنين لواثق بأن لايرى شربي لديك مصرَّدا (٦٣)

— ١٧ —

وله في مدح الفضل بن يحيى البرمكي : (٦٤) « الطويل »

كفى لك فخراً أنَّ اكرم حرةٍ غذتك بثدي والخليفه واحد (٦٥)
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالداً في المشاهد

— ١٨ —

وقال مروان في رثاء معن بن زائدة الشيباني : (٦٦) « البسيط »

يا من بمطلع شمس ثم مغربها إنَّ السخاء ومعناً رهن ملحود (٦٧)

(٦٢) بسبعين الفا : من الدراهم • راشه يريشه : اعطاه واغناه • ابوك : الخليفة المهدي •

(٦٣) المصرّد : القليل ، صرَّد الشيء : قلله وقطعه •

(٦٤) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية • محمد بن علي ابن طباطبا (ابن الطقطقي) ص ١٦٢ ط • محمد علي صبيح وأولاده•

(٦٥) الحرة جمع حرائر وهي المرأة الكريمة الاصل ويريد بها ام الرشيد•

(٦٦) التذكرة السعدية • العبيدي ـ مخطوط ـ ورقة ٢٠٦ • الابيات ١ ـ ٤ ـ ٥ في طبقات الشعراء • ابن المعتز ص٤٧ ط دار المعارف بمصر•

(٦٧) الشطر الثاني في طبقات ابن المعتز كما يلي ـ ان السخاء عليكم غير مردود ـ •

ويبدو لي أن رواية ابن المعتز أقرب الى الصواب للاسباب التالية :

فأبكوا السخاء ومعناً طول دهركم ... إن السخاء عليكم غير موجود
قد مات معن ومات الجود فأفتقدوا ... فليس معن ولا جود بموجود
قل للعفاةأريحوا العيس(٦٨) من طلب ... ما بعد معن حليف الجود من جود
قل للمنية لا تبقي على أحدٍ ... إذ مات معن فما ميت بمفقود

— ١٩ —

ومدح السرى بن عبد الله الهاشمي فقال : (٦٩) « الطويل »

اصاب الردى قوماً تمنوا لك الردى ... لأنك اعطيت الجزيل وصرّدوا

أ ــ ان ابن المعتز ٢٩٦ هـ أقرب عهدا بمروان بن ابي حفصة من صاحب التذكره الذي القها سنة ٧٠٢ هـ .

ب ــ ان معنى الشطر الاول من البيت الأول يتكامل مع معنى الشطر الثاني من البيت الثاني ، وان معنى الشطر الاول من البيت الثاني يتكامل مع معنى الشطر الثاني من البيت الاول . فأنا أرى ان تمام المعنىيقتضي ان تكون رواية البيتين الاولين كما يلي :

يا من بمطلع شمس ثم مغربها ... ان السخاء عليكم غير مردود
فابكوا السخاء ومعنا طول دهركم ... انّ السخاء ومعنا رهن ملحودِ

ج ــ ان كلمة « عليكم » في الشطر الثاني تقتضي كلمة«مردود» ولا تقتضي كلمة « موجود » بهذا المعنى .

د ــ ان في البيتين الثاني والثالثبحسب رواية التذكرة ايطاءً ، وهوعيب من عيوب القافية لم يقع في شعر مروان مما جمعناه له . والأخذ بروايةابن المعتز يمنع وقوع مثل هذا العيب الشعري .

(٦٨) العيس : الأبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف ، وهي كرام الإبل .

(٦٩) الحماسة . ابن الشجري . ص ١١٠ ط . دائرة المعارفالعثمانية.

سيذهب ما ضمّت عليه اكفّهـــم ويبقى لهم في الناس ذم مخلـــدُ
وتبقى أياديـك الكريمـــة بعدما يواريك والجود الصفيح المنضد (٧٠)

ـ ٢٠ ـ

وله في المدح أيضاً : (٧١) « الطويل »

تشابهتمـا حلما وعـدلاً ونائـلا وحزما اذا أمر اقام واقعـــدا (٧٢)
تنازعتما نفسين هـــذي كهـــذه على اصل عرقٍ كان افخر متلدا (٧٣)
كما قاس نعـلا حضرمي فقدّهـــا على اختهـا لم يأل ان يتجودا (٧٤)

ـ ٢١ ـ

وقال في مدح الخليفة محمد المهدي : (٧٥) « الطويل »

---

(٧٠) اياديك : نعمك واحسانك • وواراه يواريه : اخفاه وستره • الصفيح المنضد : القبر ، اذ تغطيه الصفائح المتراكمة المتسقة •

(٧١) امالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٧٢ ط • دار احياء الكتب العربية •

(٧٢) حلما : عقلا • حزما : احكاما وضبطا • امر اقام واقعـدا : شأن عظيم خطير •

(٧٣) تنازعتما : تنازعتما الى الشبه ، تشابهتما • تلد يتلد فهو تالـد : قـديم •

(٧٤) حضرمي : نسبة الى حضرموت • قدّ : قطع • لم يأل : لم يقصر في بذل الجهد • ومعنى البيت : ان الممدوحين متشابهان في كل شيء تشابه النعل واختها • وهذا تشبيه عربي قديم •

(٧٥) أمالي المرتضى ٥١٩/١٠ عدا البيتين الاخيرين • البيتان ١٧ ـ ١٨

أعادك من ذكر الاحبـــة عائـــد ؟ اجل ، واستخفتك الرسوم البوائد (٧٦)
تـــذكرت من تهوى فأبـــكاك ذكره فلا الذكر منسي ولا الدمـــع جامـــد
تحن ويأبى ان يساعـــدك الهوى وللموت خـــير من هوى لا يساعـــد
الا طالمـــا انهيت دمعـــك طائعـــا وجارت عليك الآنسات النواهد (٧٧)
تذكرنا ابصارهـــا مقـــل المهـــا واعناقها ادم الظباء العواقـــد (٧٨)
تساقـــط منهن الأحاديث غضـــة تساقـــط درّ أسلمته المعاقـــد (٧٩)
اليـــك امير المؤمنـــين تجـــاذبت بنـــا الليل خوص كالقصي شـــوارد
يمانية ينـــأى القـــريب محـــله بهن ويدنو الشاحط المتبـــاعد
تجلى السرى عنها وللعيس اعـــين سوامٍ واعنـــاق اليك قواصد (٨٠)
الى ملكٍ تنـــدى اذا يبس الثرى بنائل كفيـــه الاكف الجوامـــد (٨١)
له فوق مجـــد الناس مجدان منهما طريف وعادي الجراثيم تالـــد (٨١)
واحواض عزّ حومة الموت دونهـــا واحواض عرف ليس عنهن زائـــد
ايادي بني العبـــاس بيض سوابغ عـــلى كل قوم باديات عوائـــد

في الأغاني ١٠ /٨٩ . البيتان ٤ ـــ ٦ في المختـــار من شـــعر بشار . الأبيـــات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ . في المحاسن والمســـاوىء للبيهقي ٢٢١ .

(٧٦) العائد : الطيف الزائر .

(٧٧) هذه البيت في المختار من شعر بشار كما يأتي :

ألا ربما غرتك عنـــد خطابهـــا وجادت عليـــك الآنسات الخرائـــد

(٧٨) الأدمة في الظباء : لون مشرب بياضا . عقد الظبي عنقه فهـــو عاقد : عطفه الى ناحية عجزه ملتفتا الى ذنبه .

(٧٩) غضة : غير مكررة . اسلمته المعاقد : تركته ينفرط .

(٨٠) العيس : الابل يخالط بياضها سواد خفيف . وسوام : شاخصات .

(٨١) العادي : القديم . الجراثيم : واحدتها الجرثومة : اصل كل شيء .

هم يعدلون السمك من قبة الهدى كما تعدل البيت الحرام القواعد (٨٢)
سواعد عز المسلمين وانما تنوء بصولات الأكف السواعد
يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الاسلام والخلق راقدُ
كأن أمير المؤمنين محمدا لرأفته بالناس للناس والد
على انه من خالف الحق منهم سقته يد الموت الحتوف الرواصد (٨٣)
يزين بني ساقي الحجيج خليفة على وجهه نور من الحق شاهد

— ٢٢ —

« الطويل »

وله في مدح الفضل بن يحيى البرمكي بعد رجوعه من خراسان (٨٤) :

حمدنا الذي ادّى ابنُ يحيى فأصبحت
بمقدمه تجري لنا الطير أسعَدا
وما هجعت حتى رأته عيوننا
وما زلنَ حتى آب بالدمع حشّدا
لقد صبّحتنا خيله ورجاله
بأروع بذّ الناس بأسا وسؤددا (٨٥)

(٨٢) سمك القبة : سقفها .

(٨٣) لعل السياق يقتضي (به الموت) بدل (يد الموت) .

(٨٤) تاريخ الامم والملوك . الطبري . الجزء الأول المجلد الثالث ص ٩٣٥ ـ ٩٣٦ ـ ٩٣٧ ، لايدن .

(٨٥) الاروع : من يعجب بحسنه وشجاعته وما الى ذلك . في الأصل بدء ولعل بذّ اكثر انسجاما مع السياق .

تفى عن خراسان العدو كما تفى
ضحى الصبح جلباب الدجى فتعرّدا (٨٦)

لقد راع من أمسى بمرو مسيره
الينا وقالوا شعبنا قد تبدّدا (٨٧)

على حين القى قفل كل ظلامه
واطلق بالعفو الاسير المقيدا

وافشى بلا منّ مع العدل فيهم
ايادي عرف باقيات وعوّدا

فأذهب روعات المخاوف عنهم
واصدر باغي الأمن فيهم واوردا (٨٨)

واجدى على الايتام فيهم بعرفه
فكان من الأباء احنى واعودا (٨٩)

اذا الناس راموا غاية الفضل في الندى
وفي البأس الفوها من النجم ابعدا

سما صاعدا بالفضل يحيى وخالد
الى كل امر كان اسنى وامجدا (٩٠)

---

(٨٦) جلباب الدجى : سواد الليل • تعرّد : ارتفع •
(٨٧) راع ــ يروع : افزع واخاف • تبدد : تفرق •
(٨٨) روعات : الفزع والذعر • اصدر باغي الامن : ارجع طالب الطمأنينة الى مكانه • اورد : احضر •
(٨٩) احنى : عطف • اعود : انفع •
(٩٠) يحيى : ابو الممدوح • خالد : جده • اسنى وامجد: ارفع واعظم •

يلين لمن اعطى الخليفة طاعة
ويسقي دمَ العاصي الحسامَ المهنّدا
اذلت مع الشرك النفاق سيوفه
وكانت لاهل الدين عزا مؤبدا
وشدّ القوى من بيعة المصطفى الذي
على فضله عهد الخليفة قلدا (٩١)
سمي النبي الفاتح الخاتم الذي
به الله اعطى كل خير وسدّدا (٩٢)
ابحت جبال الكابلي ولم تدع
بهنّ لنيران الضلالة موقدا (٩٣)
فاطلعتها خيلا وطئن جموعه
قتيلا ومأسورا وفلاّ مشردا (٩٤)
وعادت على ابن البرم نعماك بعدما
تحوب مخذولا يرى الموت مفردا (٩٥)

---

(٩١) شدّ القوى : قوى البيعة بيأسه وطاعته • قلد العهد : الزمه•
(٩٢) سمي : شبيه • الفاتح : فاتح مكة • الخاتم : آخر الأنبياء•
(٩٣) جبال الكابلي : في بلاد ما وراء النهر حيث وجه الفضل بن يحيى البرمكي ابراهيم بن جبريل الى كابل فافتتحها سنة ١٧٨ هـ •
(٩٤) رجل فل مشرد : منهزم مطرود •
(٩٥) ابن البرم : من الخارجين على الدولة العباسية ايام الرشيد • تحوّب : اجتنب الاثم •

— ٢٣ —

وانشد المهدي قوله [٩٦] : « الطويل »

مرى العين شوق حال دون التجلد
ففاضت بأسراب من الدمع حشد [٩٧]

— ٢٤ —

وتنسب لمروان هذه الأبيات في وصف الإبل [٩٨] « البسيط »

لما اتتك وقد كانت منازعة وافى الرضا بين ايديها بأقباد
لها احاديث من ذكراك تشغلها عن الرتوع وتنهاها عن الزاد
امامها منك نور تستضيء به ومن رجائك في اعقابها حادي

— ٢٥ —

ولمروان من قصيدة قوله [٩٩] : « الطويل »

---

(٩٦) المحاسن والمساويء . البيهقي .
(٩٧) مرى العين : استدر دمعها .
(٩٨) احدى مخطوطات الحماسة البصرية للبصري في مكتبة نور عثمانية باسطنبول . وفي الحماسة البصرية المحققة ١/١٥٧ تروى هذه الابيات لأدريس بن ابي حفصة .
(٩٩) امالي الشريف المرتضى . ج١ ص ٥٧٢ ط . دار احياء الكتب

فما بلغت حتى حماها كلالُها ... اذا عرّيت اصلابها اذ تقيدا (١٠٠)

— ٢٦ —

وقال في مدح جعفر بن يحيى البرمكي (١) : « الطويل »

أفي كل يوم انت صبٌّ وليلة ... الى أم بكر لا تفيق فتقصرُ

أحبُّ على الهجران اكناف بيتها ... فيالك من بيت يُحبُّ ويهجر

الى جعفر سارت بنا كلُّ جسرة ... طواها سراها نحوه والتهجر (٢)

الى واسع للمجتدين فناؤه ... تروح عطاياه عليهم وتبكر

— ٢٧ —

وله في مدح جعفر البرمكي ايضا (٣) : « الطويل »

ابرَّ فما يرجو جوادٌ لحاقه ... ابو الفضل سبّاق اللهاميم جعفر (٤)

العربية .

(١٠٠) بلغت : وصلت . وتاء التأنيث تعود على نياق السفر .

(١) الاغاني : ج ٥ ص ١٨٢ ط . دار الكتب .

(٢) جعفر : وزير الرشيد . الجسرة : الناقة الجسور . طواها السرى : هزلها السير في الليل . تهجر فلان : سار في الهاجرة وهي شدة الحر عند منتصف نهار القيظ .

(٣) طبقات الشعراء . ابن المعتز . ص ٤٥ ط . دار المعارف بمصر . ومخطوطة برلين رقم — ٧٥٣٠ — .

(٤) بر عليه : فاقه وغلبه . اللهاميم واحدها اللهموم : الجواد السخي . في المخطوطة « ابر فما ترجو الجياد لحاقه » .

وزير اذا ناب الخليفة حادثا ... اشار بما عنه الخليفة يصدر

- ٢٨ -

ومدح الفضل بن يحيى البرمكي فقال (٥) : « الطويل »

تخيرت للمدح ابن يحيى بن خالد ... فحسبي ولم اظلم بأن اتخيّرا
له عادة ان يبسط العدل والندى ... لمن ساس من قحطان أو من تنزرا (٦)
الى المنبر الشرقي سار ولم يزل ... له والد يعلو سريرا ومنبرا
يُعدّ ويحيى البرمكي ولا يرى ... له الدهر إلا قائدا او مؤمَّرا

- ٢٩ -

وقال في جود معن بن زائدة واثره في الشعراء (٧) : « البسيط »

لا تعدموا راحتي معن فانهما ... بالجود افتتنا يحيى بن منصور (٨)
لما رأى راحتي معن تدفقتا ... بنائل من عطاء غير منزورِ (٩)

---

(٥) تاريخ الامم والملوك : الطبري ج ١ المجلد ٣ ص ٩٣٣ ط ٠لأيدن٠
(٦) تنزّر : انتسب الى نزار ٠
(٧) الاغاني ج ١٠ ص ٩٢ ط ٠ دار الكتب ٠
٠٠ البيان والتبيين ٠ الجاحظ ٠ ج٣ ص ٣٨٣ ط ٠ الاستقامة ٠
(٨) افتتنه الجود : اعجبه العطاء واستماله ٠ يحيى بن منصور :شاعر تنسك وانقطع عن المديح ولكنه اذ سمع بفيض عطاء معن بن زائدة ترك ما هو عليه وعاد يمدح معنا طلبا لجوده ٠
(٩) المنزور : القليل التافه ٠ وعطاء غير منزور : لم يلحّ على الممدوح فيه بل اعطاه عفوا ٠

القى المسموح التي قد كان يلبسها وظل للشعر ذا رصف وتحبير [١٠]

— ٣٠ —

وحين سئل عن جرير والفرزدق والاخطل اجاب وقد افتخر [١١] :

« الكامل »

ذهب الفرزدق بالفخار [١٢] وانما حلو الكلام ومرّه لجرير

ولقد هجا ذا مضّ اخطل تغلب وحوى اللهى بمديحه المشهور [١٣]

(١٠) المسوح مفردها المسح : ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا . والشاعر يريد بها النسك والزهد . رصف الشعر : ضم بعضه الى بعض بانتظام .

(١١) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٤٦ ط . دار المعارف بمصر . الأبيات : ١و٢و٣و٤و٨و٩ في الأغاني ج ١٠ ص ٩٠ ط . دار الكتب . الأبيات ١و٢و٣ في طبقات فحول الشعراء ابن سلام ص ٣١٨ ط . دارالمعارف للطباعة والنشر . الأبيات ١و٢و٣ في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . الشيخ عبد الرحيم العباسي ج ٢ ص ٢٦٢ ط . السعادة . البيتان ١و٢في خزانة الادب . البغدادي ج٢ ص ٨٠ ط . السلفية . الأبيات ٧ ـ٨ـ٩في العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٦٩ ط . حجازي البيت ـ١ـ في النجوم الزاهرة . ابن بردي ج ١ ص ٢٦٩ ط . دار الكتب . الأبيات ١ ـ ٢ـ٣ـ٤ في نور القبس من المقتبس للمرزباني ١٨٥ .

(١٢) في الاغاني « بالهجاء » .

(١٣) مضّه الكلام وامضه : آلمه فأوجعه . اللهى : العطايا الكبيرة . في الاغاني (النهى) بدل اللهى وطبقات الشعراء « ببيانه » بدل « بمديحه » وقد اثبتنا « بمديحه » عن بقية المصادر لأن هذه اكثر انسجاماً في البيت من الأولى .

كلّ الثلاثة قد أجاد فمدحه ... وهجاؤه قد سار كل مسيرِ [14]
ولقد جريت مع الجياد ففتها [15] ... بعنان لا شبم ولا مبهور [16]
ما نالت الشعراء من مستخلف ... ما نلت من جاه واخذ بدور [17]
عزت — معا — عند الملوك مقالتي ... ما قال حيهم مع المقبور
ولقد حبيت بألف، ألف، لم تثب ... الا بسيب خليفة وامير [18]
ما زلت آنف ان أحبّر [19] مدحة ... إلا لصاحب منبر وسرير
ما ضرّني حسد اللئام ولم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
أروي الظماء بكل حوض مفعم ... جودا واترع للسغاب قدوري
وتظل للاحسان ضامنة القرى ... من كل تامكة السنام عقير [20]
اعطي اللهى متبرعا عودا على ... بدء وذاك عليّ غير كثير

(١٤) في طبقات الشعراء « ابرّ بمدحه » بدل « أجاد فمدحه » وقد اثبتنا العبارة الأخيرة عن الأغاني وطبقات فحول الشعراء لأنها افضل من الأولى تركيباً ومعنى .

(١٥) في الأغاني « ولقد جريت ففتّ غير مهلّل » .

(١٦) في الأغاني « بجراء لاقرف » بدل « بعنان لاشبم » العنان ج أعنة وعنن : سير اللجام سمي بذلك لأنه يعترض الفم فلا يلجه . الشبم : البارد .

المبهور : الذي انقطع نفسه من الأعياء والسعي الشديد . وفي نور القبس البيت هو :

ولقد جريت وفقت غير مبلد ... بجراء لاقزق ولا مبهور

(١٧) بدور واحدتها بدره : المال الكثير .

(١٨) سيب ج سيوب : العطاء .

(١٩) في طبقات الشعراء « ما زلت آنف ان أؤلف مدحة » وقدائبتنا عن الأغاني ما اعتقدناه صواباً .

(٢٠) تامكة السنام : عظيمته . العقير : المذبوحة .

واذا هدرت مع القروم محاضـرا ... في موطن فضح القرومَ هديري [٢١]

— ٣١ —

ومدح مروان الرشيد واشار الى انتصاره على الروم فقال [٢٢] :

« الطـــويل »

وســدت بهارون الثغور فأحكمت ... بــه من أمور المسلمــين المرائرُ [٢٣]

وما انفــك معقودا بنصر لواؤه ... له عسكر عنه تشظى العساكر [٢٤]

وكل ملوك الروم اعطــاه جزيــة ... على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر [٢٥]

لقد ترك الصفصاف هارون صفصفا ... كأن لم يدمنه من الناس حاضر [٢٦]

أناخ على الصفصاف حتى استباحــه ... فــكابره فيه ألــجّ مــكابر [٢٧]

الى وجهــه تسمو العيون وما سمت ... الى مثــل هــارون العيون النواظر

ترى حوله الاملاك من آل هاشــم ... كما حفت البــدر النجوم الزواهر

(٢١) حاضره : غالبه . هدر الرجل : رفع صوته مفاخراً . القروم واحدها القرم السيد العظيم .

(٢٢) تاريخ الأمم والملوك . الطبري : ج ٦ ص ٥٣٠ ط . الاستقامة مقابلة على طبعه لايدن .

(٢٣) الثغور واحدها الثغر : فروج البــلدان التي يخشى منها هجوم العدو . المرائر : واحدها المرير والمريرة : العزم والشدة ، ومن الحبال ما أشتدّ فتله .

(٢٤) تشظى : تتفرق وتتشتت .

(٢٥) صاغر : ذليل .

(٢٦) الصفصاف حصن في بلاد الروم فتحه الرشيد . دمّن المكان : ترك فيه آثاراً تدل على انه دار سكنى .

(٢٧) كابر : عاند وغالب . الجّ : متماد في العناد .

يسوق يديه من قريش كرامها وكلتاهما بحر على الناس زاخر
اذا فقد الناس الغمام تتابعت عليهم بكفيك الغيوم المواطر
على ثقة ألقت اليك أمورها قريش كما ألقى عصاه المسافر
أمور بميراث النبي وليتها فأنت لها بالحزم طاوٍ وناشر
اليكم تناهت فاستقرت وانما الى أهله صارت بهن المصاير
خلفت لنا المهدي في العدل والندى فلا العرف منزور ولا الحكم جائر
وأبناء عباس نجوم مضيئة اذا غاب نجم لاح اخر زاهر
عليَّ بني ساقي الحجيج تتابعت أوائل من معروفكم وأواخر (٢٨)
فأصبحت قد ايقنت ان لست بالغاً مدى شكر نعماكم واني لشاكر (٢٩)
وما الناس إلا وارد لحياضكم وذو نهل بالريّ عنهنّ صادر
حصون بني العباس في كل مأزق صدور العوالي والسيوف البواتر
فطوراً يهزّون القواطع والقنا وطوراً بأيديهم تُهزّ المخاصر
بأيدي عظام الناس والضرّ لاتني بهم للعطايا والمنايا بوادر
ليهنكم الملك الذي اصبحت به أسرته مختالة والمنابر
أبوك ولي المصطفى دون هاشم وان رغمت من حاسديك المناخر

ـ ٣٢ ـ

وقال مروان يعزي الهادي بأبيه المهدي : (٣٠)

(٢٨) ساقي الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه تولى سقاية الحجيج في الجاهلية . تتابعت . توالت واستمرت .

(٢٩) المدى : الغاية .

(٣٠) الأبيات ١ـ٤ـ٥ـ٦ـ٧ في الحماسة البصرية ١ / ٢٤٣ . الأبيات

« الطـــويل »

لقـــد أصبحت تختال في كل بلدة   بقبر امير المؤمنـــين المقابـــر
ولو لـــم تسكن بابنه بعـــد موته   لـــا برحت تبـــكي عليه المنـــابر
ولو لم يقم موسى عليها لرجّعت   حنيناً كمـــا حنّ الصفايا العشائر
أتته التي (٣١) ابتزت سليمان ملكه   وألوت بذي القرنين منها الدوائر
أتتـــه فغالتـــه المنايا وعدلـــه   ومعروفه في الشرق والغرب ظاهر
ولو كان تجريد السيوف يردهـــا   ثنت حدهـــا عنه السيوف البواتر
بأيدٍ بهـــا تعطى الصوارم حقها   وتروى لدى الروع الرماح الشواجر

— ٣٣ —

ورد مروان كتاب وهو بالمدينة ان امرأة من اهله تزوجت في قوم لم

١ــ٢ــ٣ في تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٨٧ . البيتان ١ــ٢ في الاغاني ١٠/٩٣ ولا شك ان ابن المعتز قد وهم في مختصر طبقاته ص ٤٣١ حين عد البيتين ١ــ٢ في رثاء المتوكل ومديح ابنه المنتصر . إذ أن وفاة مروان كانت بين سنتي ١٨١ ــ ١٨٢ هـ بينما كانت وفاة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ وقد انتبه الى هذا الأمر محقق طبقات ابن المعتز وأشار الى خلط ابن المعتز بين شاعرنا وحفيده الذي اسمه مروان أيضاً . إذ قال في هامش ص ٤٣١ : « يلاحظ أن المتوكل كان بعد موت مروان بن أبي حفصة بعشرات السنين . وقد خلط بين مروان الأكبر وبين ابن أبنه مروان بن أبي حفصة » ونقول : « ونحن نرجح نسبة هذين البيتين الى شاعرنا لورودهما في الاغاني وتاريخ السيوطي منسوبين له ولأن حفيده هذا كان يعرف بمروان بن أبي الجنوب لا بمروان بن أبي حفصة وذلك ما نجده في ترجمة حياته في الأغاني ١٢ / ٨٤ ومروج الذهب ٤ / ١٣٦ ومعجم الشعراء ٣٢١ .

(٣١) في الأصل الذي وهو خطأ .

يرض صهرهم يقال لهم بنو مطر ، فقال في ذلك لأخيها : (٣٢)

« البسيط »

لــو كنت أشبهت يحيى في مناكحه ... لمــــا تنقيت فحلاً جــده مطر (٣٣)

لله درّ جيـــــــاد كنت سائسها ... ضيعتها وبها التحجيل والغرر (٣٤)

نبئت خولة قالت يوم أنكحهـــــا ... قد طالمـا كنت منــك العار انتظر

— ٣٤ —

وقال حين سار ادريس بن عبد الله بن الحسن الى أرمينيا في ايام الرشيد وقد دسّ الرشيد اليه بعد ذلك من سمّه : (٣٥)

« الكامل »

أتظنّ يا أدريس انــك منفــلت ... كيـــد الخليفة او يقيــك فرارُ

(٣٢) الأغاني ج ١٠ ص ٩٢ ط ٠ دار الكتب ٠ والبيتان الثاني والثالث إن صحّت نسبتهما الى مروان بن أبي حفصة ، يكون الشاعر قد أخذهما من ابيات للقلاخ بن حزن المنقري إذ كان الأخير قد عيّر بها مقاتل بن طلبة ابن قيس بن عاصم المنقري لتزويجه ابنته خولة من يحيى بن أبي حفصة جد الشاعر ٠ قال القلاخ مخاطباً مقاتلا :

نبئت خولة قالت حين انكحها ... لطالما كنت منــك العار اتنظر

انكحت عبدين ترجو فضل مالهما ... في فيك مما رجوت الترب والحجر

لله درّ جيــاد انت سائسهـا ... برذنتها وبها التحجيل والغرر

(٣٣) يحيى : جد الشاعر ٠

(٣٤) التحجيل : بياض في قوام الفرس ٠ الغرر واحدتها الغرّة : بياض في جبهة الفرس ٠

(٣٥) مقاتل الطالبيين : الأصبهاني ج ٣ ص ٣٥٧ ط ٠ دار احياء علوم

فليـد ركنـك أو تحلّ ببلـدة ‏ ‏ لا يهتدي فيهـا اليك نهار (٣٦)
أن السيوف اذا انتضاهـا سخطه ‏ ‏ طالت وتقصر دونهـا الأعمـار
ملـك كأن المـوت يتبـع أمره ‏ ‏ حتى يقال تطيعه الاقـدار

— ٣٥ —

وقال مروان يصف غزو الرشيد لبلاد الروم : (٣٧)

« الطـويل »

اطافت بقسطنطينية الروم مسنداً ‏ ‏ اليها القنا حتى اكتسى الذلّ سورها
وما رمتهـا حتى اتتك ملوكها ‏ ‏ بجزيتها والحرب تغلى قدورهـا

الدين بيروت . الابيات ١ ــ ٢ ــ ٣ في حماسة ابن الشجري ص ١١٢ط. دائرة المعارف العثمانية . يظن الطبري في تاريخه ج ٩ ص ٣٩ الطبعة الحسينية أن الابيات الاربعة المتقدمة للهنازي . وقد وردت في مقاتل الطالبين في الصفحة نفسها هذه العبارة : « قالوا : وقال رجل من اولياء بني العباس يذكر قتل ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب » قال ابن عمّار :وهذا الشعر عندي يشبه شعر اشجع به عمرو السلمي واظنه له . والأبيات الثلاثة الأولى تروى لأشجع السلمي مع شيء من الاختلاف عما اثبتناه في كتاب « الحلة السيراء » لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر ج ١ص١٠٠ طبعة أولى نشر الشركة العربية للطباعة والنشر قال ابو الفرج الأصبهاني : هذا الشعر لمروان بن أبي حفصة أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش له .

(٣٦) في الحماسة الشجرية « فليأتينك » .

(٣٧) تاريخ الأمم والملوك . الطبري . ج ٦ ص ٣٨٠ ط الاستقامة مقابلة على طبعة لايدن .

— ٣٦ —

وقال في وصف اقتصار الرشيد على الروم أيضاً : (٣٨)

« الطـــويل »

وفكت بك الأسرى التي شيدت لهــا محابس ما فيهــا حميم يزورهــا
على حــين اعيا المسلمين فكاكهـــا وقالوا سجون المشركين قبورها

— ٣٧ —

وهجا مروان قوماً من رواة الشعر فقال : (٣٩)

زوامــل للأشعار لاعــلم عندهم بجيدها إلا كعـــلم الأباعر (٤٠)
لعمرك ما يدري البعير اذا غــدا بأوساقه اوراح ما في الغرائر (٤١)

(٣٨) تاريخ الأمم والملوك • الطبري • ج ٦ ص ٥٠٨ ط • الاستقامة مقابلة على طبعة لايدن • واحسب ان هذين البيتين والبيتين السابقين لهما من قصيدة واحدة لأنها تشترك في الغرض الشعري والوزن والقافية •

(٣٩) العقد الفريد • ابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٨٤ ط • لجنة التأليف والنشر وفي المزهر • السيوطي • ج ٢ ص ٣١١ ط • اولى • البابي الحلبي وفي الكامل في اللغة والادب المبرد •

(٤١) اوساق واحدها وسق : حمل البعير • الغرائر • واحدتها الغرارة:
(٤٠) زمل الشيء : حمله فهو زامل ج زوامل •
العدل من صوف أو شعر •

- ٣٨ -

وقال مهنئاً عمرو بن مسعدة وقد ابل من مرضه : (٤٢)

« الهزج »

صـــحّ الجسم ياعمرو　　لك التمحيص والأجر (٤٣)
ولله علينـــا الحمـــ　　ـد والمنة والشكر
فقـــد كان شكا شوقا　　اليـــك النهي والأمـــر

- ٣٩ -

وقال مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة : (٤٤)

« الكامل »

زار ابن زائدة المقابر بعـــدما　　ألقت إليـــه عرى الأمور نزار
إن القبائـــل من نزار أصبحت　　وقلوبهـــا أسفاً عليه حـــرار
ودّت ربيعة أنهـــا قسمت له　　منها فعاش بشطرها الأعمـــار
فلأبكـــينّ فتى ربيعـــة مادجا　　ليل بظلمته ولاح نهـــار
لا زال قبر أبي الوليد تجوده　　بعهادهـــا وبوبلهـــا الأمطـــار
قبر يضم مع الشجاعة والندى　　حلمـــاً يخالطـــه تقىً ووقار

(٤٢) الأغاني • ج ١٠ ص ٩٣ ـ ٩٤ ط • دار الكتب •
(٤٣) محص يمحص الرجل تمحيصا : ابتلاه واختبره •
(٤٤) العقد الفريد : ابن عبد ربه ٣ / ٢٩٦ •

إن الرزيــة من ربيعة هالــك ترك العيون دموعهن غـــزار
رحب السرادق والفناء جبينه كالبدر شقّ ضياءه الإسفار
لهفاً عليــك اذا الطعان بمأزق ترك القنــا وطوالهن قصــار
خلى الأعنة يوم مات مشيّع (٤٥) بطــل اللقــاء مجرّب مغوار
يمسي ويصبح معلماً تذكى به نــار بمعترك وتخمــد نــار
مهما يمرّ (٤٦) فليس يرجو نقضه أحـــد وليس لنقضه إمرار
لو كان خلفك أو امامك هائباً أحداً سواك لهابك المقـدار

— ٤٠ —

وقال مروان يهجو يعقوب بن داود وزير المهدي : (٤٧)

« الطــويل »

سيحشر يعقوب بن داود خائباً يلوح كتاب بـين عينيه كافر
خيانته المهــدي أودت بذكره فأمسى كمن قــد غيبته المقابر
بدا منك للمهدي كالصبح ساطعاً من الغش ماكانت تجن الضمائر
وهل لبياض الصبح إن لاح ضوؤه فجاب الدجى من ظلمة الليل ساتر
أمنزلة فوق التي كنت نلتهــا تعاطيت لا أفلحت ممــا تحاذر

— ٤١ —

وقال مروان : (٤٨)

(٤٥) المشيّع : الشجاع .
(٤٦) يمرّ : يحكم ويعقد .
(٤٧) المحاسن والمساويء للبيهقي ٢٢١ .
(٤٨) أنوار الربيع في أنواع البديع . علي صدر الدين بن معصوم المدني

« الطـــويل »

لقد افسدت شيبان بكر بن وائل من التمر ما لو أصلحته لما رها (٤٩)

— ٤٢ —

وقال يمدح معن بن زائدة الشيباني : (٥٠)

« البسيط »

ما من عدو يرى معنا بساحته إلا يظن المنايا تسبق القـــدرا
يلفى اذا الخيل لم تقدم فوارسها كالليث يزداد إقداماً اذا زجرا
أغرّ يحسب يوم الروع ذا لبد ورداً ويحسب فوق المنبر القمرا (٥١)

— ٤٣ —

وله في مدح يحيى بن خالد البرمكي : (٥٢)

« الطويل »

---

٤ / ٢٨ ٠

(٤٩) مار فلان عياله : أتاهم بالميرة ٠
(٥٠) امالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ ط ٠ احياء الكتب العربية ٠
(٥١) الأغرّ الأبيض ٠ الكريم الافعال لبد : ما اجتمع من الشعر على قفا الأسد وبين كتفيه ٠
(٥٢) الوزراء والكتاب ـ الجهشياري ص ١٧٩ ط ٠ أولى ٠ مصطفى البابي الحلبي ٠ البيت ـ ١ ـ في خزانة الادب البغدادي ج ٣ ص ٣٣ ط ٠ السلفية ٠

اذا بلغتنا العيس يحيى بن خالد   اخذنا بحبل اليسر وانقطع العسر
سمت نحوه الأبصار منّا ودونه   مفاوز تغتال النياق بها السَفْر (٥٣)
فإن نشكر النعمى التي عمّنا بها   فحق علينا ما بقينا له الشكر

— ٤٤ —

ولمروان في رجل : (٥٤)

« الرجز »

يا وجه من لا يرجى نيـــله   ولست بالآمن من ضـــيره (٥٥)
كأنـــه القــرد اذا ما مشى   يعتله القرّاد في ســيره (٥٦)

— ٤٥ —

وقال يتحدث عن خوفه من الوعيد : (٥٧)

« الطويل »

ابيت وجنبي لا يـــلائم مضجعا   اذا ما اطمأنت بالجنوب المضاجع

(٥٣) مفاوز واحدتها مفازة الفلاة لا ماء فيها. قوم سفر : ذوو سفر
(٥٤) الموشح المرزباني ص ٣٩٢ ط . دار نهضة مصر .
(٥٥) ضاره يضيره ضيراً ــ اضرّ به .
(٥٦) عتله ــ جره جراً عنيفاً وجذبه .
(٥٧) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء . الراغب الأصبهاني ج ١ ص ١١٤ ط . الشرفية .

— ٤٦ —

وقال مروان يمدح المهدي : (٥٨)

« الطويل »

خلت بعدنا من آل ليلى المصانع ... وهاجت بنا الشوق الديار البلاقع (٥٩)
أتاني من المهدي قول كأنما ... به احتزّ اتقي مدمن الضغن جادع
وقلت وقد خفت التي لاشوى لها ... بلا حدث اني الى الله راجع
وما لي الى الى المهدي لو كنت مذنباً ... سوى حلمه الصافي من الناس شافع (٦٠)
ولا هو عند السخط منه ولا الرضى ... بغير الذي يرضى به الله صانع (٦١)
عليه من التقوى رداء يُكنّه ... وللحق نور بين عينيه ساطع
يغض له طرف العيون وطرفه ... على غيره من خشية الله خاشع (٦٢)
هل الباب مفضٍ بي إليك ابن هاشم ... فعذري إن افضى بي الباب ناصع
أتيت امرأً اطلقته من وثاقه ... وقد أنشبت في أخدعيه الجوامع
وجلى ضباب العدم عنه وراشه ... وانهضه معروفك المتتابع
فقلت وزير ناصح قد تتابعت ... عليه بأنعام الامام الصنائع

(٥٨) المحاسن والمساويء للبيهقي ٢٢١ عدا البيت الاول • الأبيات ١ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٧ في امالي المرتضى ١ / ٥٢٤ •

(٥٩) المصانع : القرى والحصون والقصور •

(٦٠) في أمالي المرتضى « الضافي » •

(٦١) في أمالي المرتضى « بغير التي يرضى بها » •

(٦٢) في أمالي المرتضى الشطر الأول كما يلي : « تغض له الطرف العيون وطرفه » •

وما كان لي إلا إليك ذريعة ... وما ملك إلا اليه الذرائع
وان كان مطوياً على العذر كشحه ... فلم أدر منه ما تجن الأضالع
وقل مثل ما قال ابن يعقوب يوسف ... لأخوته قولاً له القلب نائع
تنفس فلا تثريب أنك آمن ... واني لك المعروف والقدر جامع
فما الناس إلا ناظر متشوّق ... الى كل ما تسري اليّ المسامع

— ٤٧ —

وفي رثاء معن بن زائدة الشيباني تنسب لمروان هذه الابيات (٦٣) :

« الطويل »

لنديك احزان وسابق عبرة ... أثرن دما من داخل الجوف منقعا

(٦٣) مختصر طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٣٠ ــ ٤٣١ • والأبيات من قوله « ألما بمعنى ••• الى آخر بيت » منسوبة للحسين بن مطير في البيان والتبيين ٣ / ٢٣٥ ــ ٢٣٦ • والأبيات من قوله « ألما بمعن ••• الى قوله: فتىً عيش » للحسين أيضا في الأغاني ١٦ / ٢٣ ــ ٢٤ • والأبيات من « ألما ••• الى ولما مضى » للحسين في زهر الآداب للحصري ٢/٧٩٤ والابيات من « ألما الى قوله ••• ولما مضى » للحسين في امالي المرتضى ١ / ٢٢٧ • وينسب ابن رشيق في العمدة ٢ / ١٤٨ الابيات من قوله « ويا قبر معن كيف الى قوله •• فتىً عيش » الى ابن مطير ويضيف لها البيت التالي :

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

ثم يقول بأن الابيات الأربعة هذه تروى لمروان بن أبي حفصة أيضاً • ويبدو ان كلاً من مروان والحسين قد رثى معناً فأتفقت قصيدتاهما بالوزن والقافية فخلط بينهما الرواة •

تجرعتها من بعـد معن بمـوته ... لاعظم منهـا ما احتسى وتجـرعا
ومن عجب أن ِبتّ بالرزء ثاوياً ... وبتَّ بمـا خولتني متمتعـا
ولو أنني انصفتك الـود لـم ابت ... خـلافك حتى نتطوي في الردى معا
ألمـا بمعن ثم قـولا لقبـره ... سقتك الغوادي مربعاً بعد مربعـا
ويا قبر معن كيف واريت جـوده ... وقـد كان منه البر والبحر مترعـا
ويا قبر معن كنت أول بقعـة ... من الارض خطّت للمكارم مضجعا
فتىً عيش في معروفه بعد موتـه ... كما كان بعـد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... واصبح عرنين المـكارم أجدعـا
تعزَّ ابا العبـاس صبرا فان يكن ... نصيبـك من معن بأن تتضعضعـا
فما مات من كنت ابنه لا ولاالذي ... له مثل ما سدّى أبوك وما سـعى

— ٤٨ —

وله في مدح معن بن زائدة الشيباني قصيدة أولهـا (٦٤) : أ

« الطويل »

---

(٦٤) أمالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩ — ٥٨٠ ط ٠ دار احياء الكتب العربية ٠ عدا الأبيات ١٠ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ـ ٢٨ـ ٠ الابيات ٩ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٦ ـ ١٩ـ ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦ـ ٢٧ـ ٢٨ـ ٠ في حماسة ابن الشجري ص ١١١ ـ ١١٢ ط ٠ دائرة المعارف العثمانيةالبيتان ١٣ ـ ١٦ في الاغاني ج ١٠ ص ٩١ ط ٠ دار الكتب ٠ البيتان ١٢ـ١٥في العقد الفريد ابن عبد ربه ج ١ ص ٣٥٠ ط ٠ لجنة التأليف والنشر ٠ الابيات ٩ ـ ١١ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ٢٠ في الحماسة البصرية لصدر الدين البصري ١ / ١٧٢ ط ٠ مجلس دائرة المعارف العثمانية ٠

ارى القلب امسى بالاوانس مولعا وان كان من عهد الصبا قد تمتعـا

يقول فيهـا :

ولما سرى الهمّ الغريب قريتـــه قرى من ازال الشكّ عنه وازمعا(٦٥)
عزمت فعجلت الرحيــل ولم اكن كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعـا (٦٦)
فأمّت ركابي ارض معن ولم تزل الى ارض معن حيثما كان نزعا(٦٧)
نجائب لولا انهـا سخرت لنـا ابت عزّة من جهلهـا ان توزعا(٦٨)
كسونا رحـال الميس منها غواربا تدارك فيها النيّ صيفاً ومربعا (٦٩)
فمـا بلغت صنعاء حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنها واقلعا (٧٠)
وما الغيث اذ عمّ البـلاد بصوبه على الناس من معروف معن باوسعا(٧١)
تدارك معن قبـة الدين بعـدما خشينا على اوتادها ان تنزّعا (٧٢)
وما كان فيها مثل معـطٍ دنيّـةً بهـا العار ابقى والحفيظة ضيعا (٧٣)

(٦٥) قرى يقري : اضاف . أزمع على الامر : ثبت عليه واظهر فيه عزما .
(٦٦) اللوثة : الحماقة ، مس من الجنون .
(٦٧) أمّ يؤم المكان : قصده . النزع واحدها النازع : المشتاق .
(٦٨) نجائب واحدتها نجيبة : أصيلة نفيسة . سخرت : ذللت .
(٦٩) الميس : شجر ضخم يستعمل منه خشب الرحل . الغوارب واحدها الغارب : أعلى السنام . النيّ : الشحم .
(٧٠) ذراها جمع ذروة : الأعالي ويريد بها الأسنمة .
(٧١) صاب يصوب المطر صوبا : انصب انصبابا .
(٧٢) تدارك قبة الدين : ثبت اركانه ورسخها اوتاد واحدها وتد : ما يثبّت به . تنزّع : تقلع وفي حماسة ابن الشجري « خشينا على اوتاده » بدل « اوتادها » .
(٧٣) الحفيظة : الحمية والغضب .

اقام على الثغر المخوف وهاشم تساقى سماما بالاسنة منقعا (٧٤)
مقام امريء يأبى سوى الخطة التي تكون لدى غبّ الاحاديث ارفعا (٧٥)
وما احجم الاعداء عنك بقيةً عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا (٧٦)
رأوا مخدرا قد جربوه وعاينوا لدى غيلة منهم مجرا ومصرعا (٧٧)
وليس بثانيه اذا شدّ ان يرى لدى نحره زرقَ الأسنة شرعا (٧٨)
له راحتان : الحتف والغيث فيهما ابى الله الا ان تضرا وتنفعا (٧٩)
لقد دوّخ الاعداء معن فاصبحوا وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا (٨٠)
نجيب مناجيب وسيد سادة ذرا المجد من فرعي نزار تفرعا (٨١)
لبانت خصال الخير فيه واكملت وما كمّلت خمسا سنوه واربعا (٨٢)
لقد اصبحت في كل شرق ومغرب بسيفك اعناق المربين خضعا
وطئت خدود الحضرميين وطأة لها هدّ ركنا عزهم فتضعضعا

(٧٤) الثغرج الثغور : ما يخشى منه هجوم العدو في حدود الدولة •
سمام واحدها : سم •
(٧٥) غب : عاقبة ونهاية •
(٧٦) احجم عنه : كفّ •
(٧٧) اخدر بالمكان: أقام• المخدر: الاسد • غيل ج اغيال: اجمةالأسد•
(٧٨) زرق الأسنة : نصالها •
(٧٩) في الاغاني : « له راحتان الجود والحتف فيهما » •
(٨٠) امنعهم : اعزهم واحماهم واقواهم •
(٨١) نجب ينجب فهو نجيب : كان محمود الصفات ، مناجيب واحدها منجاب •
(٨٢) امالي المرتضى « وما كملت خمس سنوه واربعا » والتصويب من حماسة ابن الشجري •

فأقعوا على الأذناب اقعـــاء معشر ... يرون لزوم السلم أنقى واودعا (٨٣)
فلو مدت الايدي الى الحرب كلها ... لكفّوا وما مدّوا الى الحرب اصبعا
رأيتَ رجالا يوم مكــة اجلبـوا ... عليك فراموا منك طودا ممنعـا
على غير شيء غير ان كنت منهـم ... اعفّ واعطى للجزيل واشجعـا
فاصبحت كالعضب الحسام واصبحوا ... عباديد شتى شملهم قد تصدعا (٨٤)
اذا عجمته الحرب لم توه عظمـه ... وفلّ شبا الانياب منها فاسرعا (٨٥)
اخذت بحبلٍ من حبالك محصدٍ ... متين ابت منه القوى ان تقطّعـا (٨٦)

— ٤٩ —

وينسب لمروان بن أبي حفصة قوله في مدح الفضل بن يحيى البرمكي : (•)

عند الملوك منافـــع ومضرة ... وأرى البرامك لا تضر وتنفـع

---

(٨٣) أقعوا على الاذناب : جلسوا .

(٨٤) العضب : السيف القاطع . عباديد بلا مفرد : الفرق المشتتة من الناس . في الحماسة الشجرية شعبهم بدل شملهم .

(٨٥) عجمته الحرب : اختبرته لتعرف مقدار قوته . شبا الأنياب واحدها شباة : حدّها .

(٨٦) حبل محصد : مفتول قوي .

(•) وفيات الأعيان . ابن خلكان ٣/٢٠٣ . وبعد نسبتها لمروان يقول : وقيـل إنهـا ــ الأبيات ــ لأبي الحجناء في الفضل المذكور . وفي زهر الآداب ص ٩٥٩ ــ ٩٦٠ ينسب الحصري الأبيـات ١ ــ ٣ ــ ٤ الى ابي الحجناء نصيب الأصغر في البرامكة . وفي الاغاني ٥/٣٩٣ منسوبة لأبي الحجاء أيضاً . وفي طبقات شعراء ابن المعتز ١٥٥ ــ ١٥٦ تنسب الأبيات ١ ــ ٣ ــ ٤ الى أبي الحجناء كذلك . وهي منسوبة لنصيب الأصغر في

إن كان شركان غـيرهم لـــه ... والخير منسوب إليهم أجمـع
وإذا جهلت من امرىء أعراقه ... وقديمه •• فأنظر الى ما يصنع
إن العروق إذا استسر بها الندى ... أشب(•) النبات بها وطاب المزرع

— ٥٠ —

قال مروان يرثي معن بن زائدة : (٨٧)

« الطويل »

بكى الشام معناً يوم خلتّى مكانه ... فكادت له ارض العراقين ترجف
ثوى القائد الميمون والذائد الذي ... بـه كان يرمى الجانب المتخوّف
أتى الموت معناً وهو للعرض صائن ... وللمجد مبتـاع وللمـال متلف
وما مات حتى قلدته أمورهـــا ... ربيعـة والحيّان قيس وخندف
وحتى فشا في كل شرق ومغرب ... أيادٍ له بالضرّ والنفـع تعرف
وكم من يد عندي لمعنٍ كريمـة ... سأشكرها ما دامت العين تطرف
بكته الجياد الأعوجيـة اذ ثوى ... وحن مع النبع الوشيج المثقف (٨٨)

الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٠٣ • وفي تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٧ ترجمة ضمرة بن يحيى وروى عن ابن الأنباري عن مروان بن خيثمة أنه قال : الأبيات ١ ــ ٢ ــ ٣ ولعل كلمة « خيثمة » «حفصة» كما يذهب الى ذلك محقق طبقات الشعراء لابن المعتز •

(•) أشب النبات : التف وكثر •

(٨٧) العقد الفريد : ابن عبد ربه ٣٠ / ٢٩٦ ــ ٢٩٧ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر •

(٨٨) الأعوجية : نسبة الي أعوج فحل كريم تنسب الخيل الكرام له •

وقـد غنيت ريح الصبا في حياته قبولاً فأمست وهي نكباء حرجف (•)

— ٥١ —

وقال مروان يذكر غزو الرشيد لبلاد الروم (٨٩) : « الرجز »

ان أمـــير المؤمنـين المصطفى قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا (٩٠)

— ٥٢ —

وله في المـدح (٩١) : « الطويل »

وما خلقت الا لبـــذل اكفهـم والسنهم الا لتحبـير منطـق

فيوما يبـارون الرياح سماحـة ويوما لبـذل الخاطب المتشوق (٩٢)

— ٥٣ —

وله أيضاً (••) : « الطويل »

اذا ما تذكـرت النظيـم ومطرقـا حينت وابكاني النظيم ومطرق (٩٣)

(•) الحرجف : الريح الشديدة .

(٨٩) تاريخ الأمم والملوك . الطبري ج ٦ ص ٤٧٠ ط . الاستقامة مقابلة على طبعة لايدن .

(٩٠) الصفصاف : حصن في بلاد الروم افتتحه الرشيد عنوة . قاع صفصف : مستو مطمئن من الارض .

(٩١) مروج الذهب ومعادن الجواهر : المسعودي ج ٣ ص ٣٦٦ ط . ثالثة . السعادة .

(٩٢) تشدق يتشدد بالكلام : لوى شدقه للتفصح ، خطيب اشدق : بليغ .

(••) معجم البلدان : ياقوت الحموي . ج ٨ ص ٨٦ ط ، ساولى السعادة .

(٩٣) النظيم ومطرق : موضعان في عارض اليمامة .

— ٥٤ —

وله مادحاً (●) : « الطويل »

تحنّ قلوصي نحو صنعاء اذ رأت سماء الحيا من نحو صنعاء تبرقُ (٩٤)
تحن الى مرعى بصنعاء مخصبٍ وشرب رواء ماؤه لا يرتَّقُ (٩٥)
وقد وثقت ان سوف تُصبح ريَّها اذا وردت احواض معن وتغبق (٩٦)
تؤم شريكيا تهلل بالحيا مخائله للشائمين فتصدق (٩٧)

— ٥٥ —

وقال مروان في مدح زائدة بن معن بن زائدة الشيباني : (١)

« الخفيف »

لام في ام مالك عاذلاكا ولعمر الإله ما أنصفاكا

(●) حماسة ابن الشجري ص ١١٢ ط ٠ دائرة المعارف العثمانية

(٩٤) القلوص من الأبل : الانثى الشابة الطويلة القوائم ج قلائص وقلاص وقلص ٠

الحيا والحياء : المطر لأحيائه الارض والناس ٠

(٩٥) رنق الماء يرنقه : كدره ٠

(٩٦) اصبح يصبح صبوحاً : شرب وقت الصباح ٠ الغبوق الشرب عند المساء ٠

(٩٧) تؤم : تقصد ٠ شريكيا : نسبة الى شريك جد معن ٠ تهللت المخائل : تلألأت من السرور ٠

(١) طبقات الشعراء ٠ ابن المعتز ص ٤٨ — ٤٩ — ٥٠ ط ٠ دار المعارف بمصر ٠

وكـــلا عاذليك أصبح ممـــا بك خلواً هواه غير هواكـــا
عذلا في الهوى ولو جربـــاه اسعدا إذ بكيت أو عذراكا (٢)
كلما قلت : بعض ذا اللوم قالا ان جهلاً بعد المشيب صباكـــا
بث في الرأس حرثه الشيب لما حان ابان حرثـــه فعـــلاكا
فاسل عن ام مالك وانه قلبـــا طالمـــا في طلابه عناكـــا
اصبح الدهر بعد عشر وعشر وثلاثين حجـــة قد رماكـــا
ما ترى البرق نحو قرّان إلا هاج شوقا عليك فاستبكاكا (٣)
قد نأتك التي هويت وشطت بعد قرب نواهم من نواكـــا
وغـــدت فيهم أوانس بيض كعواطي الظباء تعطو الأراكا (٤)
كنت ترعى عهودهن وتعصي في هواهن كـــل لاحٍ لحاكا
اذ تـــلاقي من الصبابة برحا وتجيب الهوى اذا ما دعاكا (٥)
عدّ عن ذكرهن واذكر هماماً بقوى حبله عقـــدت قواكا (٦)
أين — لا أين — مثل زائدة الخيـــرات ، إلا ابوه ؟ لا اين ذاكا
بأبن معن يفـــك كـــل اسير مسلم لا يبيت يرجو الفكاكـــا
وبه (يقعص) الرئيس لدى المو ت اذا اصطكت العوالي اصطكاكا (٧)

---

(٢) اسعده على الأمر : اعانه •
(٣) قرّان : قرية في اليمامة ، وقيل بين مكة والمدينة •
(٤) العطو : التناول ورفع اليدين والرأس •
(٥) الصبابة / الكلف والشوق ورقة الهوى • البرح ج ابراح : الشدة والأذى •
(٦) عدّ عن ذكرهن : اتركه • الهمام : السيد الشجاع السخي العظيم الهمة •
(٧) في الأصل « تفعض » وليس لهذه اللفظة معنى ينسجم مع السياق

مطري أغرّ تلقـــــاء بالعر ف قؤولاً وللخنا تراكـــا (٨)
من يرم جاره يكن مثـــل مارا م بكفيه أن ينـــال السماكا (٩)
لم تزل عند موطن يا ابن معن عن مقام تقومـــه قـــد ماكـــا
أن معنا يحمي الثغور ويعطي مالـــه في العـــلا وانت كذاكا
لا يضـــرّ امـــرءاً اذا نال ودا منك الا ينالــــه من ســـواكا
ما عـــدا المجتدى أباك وما من راغب يجتديه إلا اجتداكـــا
ودّ كلّ امريءمن الناس لو كا ن ابوه لدى الفخار أباكـــا
قد رمى البأس والندى لك بالقو ة كما قد وفيت اذ حالفاكـــا
واجاباك ـــ إذ دعوت ـــ بلبيـ ـك كما قد اجبت اذ دعواكـــا
فهما ـــ دون من له تخلص الو دّ وترعى اخاءه ـــ اخواكـــا
لست ماعشت ـــ والوفاء سناء لهما مخفراً ولن يخفراكـــا
رفعت في ذر المعـــالي قديمـــاً فوق أيدي الملوك طراً يداكا (١٠)
وسما الفرع منك في خير اصل من نزار فطاب منه ثراكـــــا
فبمعن تسمو ، وزائـــدة الخيـ ـــر وعبد الإله كل نماكـــا

ولا يوجد هذا الفعل في القاموس • وقد ذهبنا مذهب الاستاذ عباس اقبال أحد محققي طبقات الشعراء فأثبتنا « يقعص » بدل « تنعض » وقعصه يقعصه : قتله مكانه • ويرى محقق الطبقات أحمد فراج انها تحتمل «يفقص» العوالي : الرماح •

(٨) مطرى نسبة الى بني مطر قوم الممدوح • اغرّ ج غرّ ، السيد الكريم الفعال •

(٩) السماكان : كوكبان نيّران يقال لأحدهما السماك الرامح لأن امامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر السماك الاعزل لأن ليس امامه شيء •

(١٠) ذرا المعالي : اعاليها •

زين ما قدّموا ولم تلف صعبا   في سلاليم مجدهم مرتقاكـــا
اعصمت منكم نزار بحبـــل   لم يريدوا بغـيره استمساكا
ورأبتم صدوعهـــا بحلوم   راجحات دفعن عنها الهلاكـا
فاشارت معـا اليـكم وقالت   انما يرأب الصدوع الاكـــا
يئس الناس ان ينالوا قديمـا   في المعالي لسعيكم ادراكـــا
أن معنـاً كمـا كساه ابـوه   عزة السابـق الجواد كساكـا
كم بـه عارفا يخالـك أيـا   ه ، وطوراً يخاله اياكـــا
لـك من فضل بأسه يعرف البأ   س ، كما من نداه فضل نداكا
كـل من قـد رآه يعرف منه   نسم الخير فيك حين يراكا (١١)
سبق الناس اذ جرى ثم صليـ   ت كما من ابيه جاء كذاكا (١٢)
دانيـا من مدى ابيـه مداه   مثل ما من مداه امسى مداكـا
ماجدا النيل نيل مصر اذا ما   طمّ آذيّه كبعض جداكا (١٣)
زاد نعمى أبي الوليـــد تماماً   فضل ما كان من جدى نعماكا (١٤)
سخطك الحتف حين تسخط والغنـ   ـم اذا ما رضيت يوما رضاكا
كلّ ذي طاعة من الناس يرجو   ك كما كـلّ مجرم يخشاكـا

---

(١١) النسم : نفس الريح او نفس الروح او جمع نسمه • وقد تكون « ميسم » ويرى الاستاذ عباس اقبال انها : يسم •
(١٢) صلّى تصلية الرجل : اتى تالياً من قبله فهو مصلّ وفي الطبقات « الناس » بالضم وأرى ان نصبها أصوب على انها مفعول به للفعل سبق •
(١٣) الجدا : العطية • طمّ اذية • ارتفع موجه •
(١٤) ابو الوليد : معن بن زائدة •

— ٥٦ —

قال مروان في مديح المهدي : (١٥)

« الكامل »

عصِ الهــوى وتعزّ عن سعداكا فلمثل حلمك عن هواك نهاكـــا

— ٥٧ —

وخاطب الخيزران ام الهادي والرشيد فقال : (١٦)

« الكامل »

يا خيزران هناك ثمّ هنـــاكِ امسى يسوس العالمــين ابناك (١٧)

— ٥٨ —

ولمروان في المدح : (١٨)

« الكامل »

احيا لنــا سنن النبي ســميّه قدّ الشّراك به قرنت شركا (١٩)

(١٥) المحاسن والمساويء للبيهقي ٢٢٠ .
(١٦) تاريخ الخلفاء : السيوطي ص (١٨٨) ط .أولى المنيرية .
(١٧) هناك : هنيئاً لك .
(١٨) امالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٧٢ ط .دار احياء الكتب العربية
(١٩) الشراك : سير النعل ج اشرك . قرن الشراك بالشراك : شدّه به ووصله اليه .

— ٥٩ —

وله يفاخر سلما الخاسر بما يناله من جوائز الخلفاء : (٢٠)

« الطويل »

أسلم بن عمرو قـد تعاطيت خطة | تقصر عنهـا بعد طول عنائكـا
واني لسبّاق اذا الخيل كلفـت | مدى مئة اوغاية فوق ذلكـا
فدع سابقاً ان عاودتك عجاجـة | سنابكه اوهين منك سنابكا (٢١)
رأيت امرءاً نال السُّها فحسدته | فلم يبق إلا أن تموت بدائكا (٢٢)
طلبت من المهـدي شطر حبائـه | فقال لك المهدي : لست هنالكـا
فما اعولت امّ على ابن ولا بكى | على يوسف يعقوب مثـل بكائكا
عضضت على كفيك حتى كأنّما | رُزئت الذي أعطيتَ من صلب مالكا
حبيت بأوقار البغال وانمـا | سراب الضحى ما تدّعي من حبائكا
وما نلت حتى شبت إلا عطيـة | تقوم بها مصرورة في ردائكا (٢٣)

(٢٠) العمدة . ابن رشيق ج ١ ص ٨٥ — ٨٦ ط . ثالثة . السعادة . الابيات ١ — ٩ — ١١ الاغاني ج ٢١ ص ٨١ ط . ساسي .

(٢١) عاودتك عجاجة : ارجعتك فكرة حمقاء الى مفاخرتي بعطاياك من جديد . السنابك واحدها السنبك : طرف حافر الفرس .

(٢٢) السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى كثير الارتفاع . حسد نعمة فلان : تمنى زوالها .

(٢٣) صرّ الدراهم يصرّها فهي مصرورة : وضعها في الصرّة .

وينسب صاحب العمدة هذا البيت الى ذي الرمة في هجاء مروان بن أبي حفصة : ج ١ ص ٨٤ — ٨٥ وهذا الامر مرفوض ، وذلك ان وفاةذي الرمة كانت في سنة ١١٧ هـ وان مولد مروان بن أبي حفصة كان في سنة ١٠٥ هـ وعلى هذا فلم يكن مروان قد وفد على الخلفاء وأخذ جوائزهم وهو ابن ١٢ سنة .

وما عبت من قسم الملوك لشاعر به خصّ عفوا من أولي واولائكا
واقسم لولا ابن الربيع ورفده لما ابتلت الدلو التي في رشائكا (٢٤)

— ٦٠ —

وقال مروان في مدح معن بن زائدة وقومه بني مطر : (٢٥)

« الطويل »

(٢٤) ابن الربيع : الفضل بن الربيع حاجب الرشيد • الرفد : العطاء • الرشاء : الحبل يريد الشاعر : انه لولا اعطاء الفضل لك لما حصلت على شيء من المال من غيره •

(٢٥) وفيات الاعيان • ابن خلكان ج ٤ ص ٢٧٦ ط • اولى السعادة • عدا البيت ـ ٤ ـ الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ في العمدة • ابن رشيق ج ٢ ص ١٤٢ ط • ثالثة السعادة • الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ في الصناعتين العسكري ص ١٠٣ ط • أولى البابي الحلبي • الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ في عيون التواريخ ابن شاكر الكتبي ج ٣ مخطوط • رقم الكتاب ـ ٣٤٠٩ في دمشق • الأبيات ٣ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٨ في معجم الشعراء • المرزباني ص ٣١٨ ط • دار احياء الكتب العربية • البيتان : ٧ ـ ٨ في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص • عبد الرحيم العباسي ج ٣ ص ٤ ط • السعادة • الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ في العقد الفريد ابن عبد ربه ج ١ ص ٣٥٦ ط • لجنة التأليف والنشر • البيتان ٣ ـ ٤ في الشعر والشعراء ابن قتيبة ج ٢ ص ٥١ ط • دار الثقافة • الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ في لباب الآداب • ابن منقذ ص ٣٦٥ ط • الرحمانية • الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ في امالي المرتضى ج ١ ص ٥٨٧ ط • دار احياء الكتب العربية • الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ في الأغاني ج ١٠ ص ٩٠ ط • دار الكتب • الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ في زهر الآداب الحصري ج ١ ص ٨٤٣ ط • دار احياء الكتب • الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ في حماسة ابن الشجري ص ١٠٩ ط • دائرة المعارف العثمانية البيت ـ ٣ ـ في الايضاح لتلخيص المفتاح • جلال الدين القزويني ج ٤ ص ٤٦٨ ط • بولاق • البيت ٤ في محاضرات الادباء الراغب الاصفهاني ج ١ ص ١٢٩ ط • الشرفية • الأبيات

بنو مطر يوم اللقـــاء كأنهـــم   أسود لها في غيل خفّان اشبل (٢٦)
لهاميم في الأسلام سادوا ولم يكن   كأولهم في الجـاهليـة أولُ (٢٧)
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا   أجابوا وإن اعطوا اطابوا واجزلوا (٢٨)
هم يمنعون الجار حتى كأنمـــا   لجارهم بـين السماكـين منزل (٢٩)

١ـ٢ـ٣ـ٤ـ٥ في النجوم الزاهرة ابن تغري بردي ج ٢ ص ١٠٦ — ١٠٧ ط • دار الكتب البيت ـ١ـ نهاية الأرب النويري ج٣ ص ١٨٧ ط دار الكتب الأبيات ١ـ٢ـ٣ـ٤ـ٥ـ٦ في كتاب المعاني العسكري ص ٤٧ ط • القاهرة •

الأبيات : ١ ـ٢ـ٣ـ ٥ـ٧ـ٨ مخطوطة في مكتبة برلين تحت رقم ٧٥٣٠ الأبيات ١ـ٢ـ٣ـ٤ في مرآة الجنان ـ اليافعي ج١ ص ٣٩٠ ط • حيدر أباد الدكن •

الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ٦ ـ في التذكرة السعدية للعبيدي ـ مخطوط ـ ورقة ١٦٤ •

البيتان ٧ ـ ٨ في ربيع الابرار • الزمخشري : مخطوط في مكتبة الاوقاف في بغداد جـ ٣ و ١٤٩ •

الابيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ في الحماسة البصرية ١ / ١٤٢ • الابيات ٧ ـ ٨ في انوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم ٥ / ١٦٨ وكذلك البيت الثالث ٣ / ٣٦٥ •

(٢٦) غيل ج اغيال : الأجمة ، الشجر الكثير الملتف • وفي النجوم الزاهرة والاغاني ولباب الآداب ووفيات الاعيان « بطن » بدل « غيل » في وفيات الأعيان والصناعتين « لهم » بدل « لها » خفّان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة • الأشبل واحدها شبل : ولد الأسد •

(٢٧) في الوفيات والعمدة والتذكرة والنجوم الزاهرة والصناعتين « بهاليل » بدل « لهـاميم » وفي مخطوطة برلين « مساعير » بدل « لهاميم » واللهاميم واحدها اللهموم : السيد الصالح •

(٢٨) اطابوا : أعطوا الطيب من العطاء •

(٢٩) في الصناعتين وكتاب المعاني والتذكرة « هم المانعون » منع جاره حماه • السماكان : كوكبان نيران مرتفعان •

وما يستطيع الفاعلون فعالهم | وإن احسنوا في النائبات وأجملوا [٣٠]
ثلاث بأمثال الجبال حباهم | وأحلامهم منها لدى الوزن اثقل [٣١]
تشابه يوماه علينا فأشكلا | فلا نحن ندري أي يوميه أفضل [٣٢]
ايوم نداه الغمر ام يوم بأسه | وما منهما إلا أغرّ محجل [٣٣]
تجنب «لا» في القول حتى كأنه | حرام عليه قول « لا » حين يسأل

— ٦١ —

وله يقول : [٣٤]

« الطويل »

كأن انني يوم الرحيل تعرّضت | لنا من ظباء الرمل أدماء مغزل [٣٥]
تصدّ لمكحول المدامع لابن | اذا خلّفته خلفها الطرف يعمل [٣٦]

— ٦٢ —

وله أيضاً : [٣٧]

« الطويل »

---

(٣٠) في مخطوطة برلين « فلا » وفي العمدة والصناعتين والتذكرة « ولا » بدل « وما » . أجملوا : أحسنوا .
(٣١) وفي التذكرة « ثلاث على مثل الجبال حباهم » وفي ديوان المعاني « حياهم » بدل « حباهم » .
(٣٢) في مخطوطة برلين « فما » . وكذلك في ربيع الأبرار .
(٣٣) في مخطوطة برلين « بؤسه » . يوم اغرّ : حسن مجيد .
(٣٤) طبقات الشعراء . ابن المعتز ص ٥١ ط . دار المعارف بمصر .
(٣٥) الظبية المغزل : ذات الغزال . الادماء : السمراء .
(٣٦) اللابن : شارب اللبن .
(٣٧) حماسة ابن الشجري ص ٢٤٦ ط . دائرة المعارف العثمانية .

وقال الغواني قــد تولّى شــبابه ... وَبــدّل شيباً بالخضاب يقاتــله[٣٨]
يقاتــله كيما يحول خضابــــــه ... وهيهات لا يخفى على اللحظ ناصله[٣٩]

— ٦٣ —

وينسب لمروان في عبد الله بن طاهر : [٤٠]

« الطويل »

لعمري لنعم الغيث غيث اصابنا ... ببغداد من ارض الجزيرة وابله
فكنا كحيٍّ صبّح الغيث أهله ... ولم ترتحل اظعانه ورواحــله

— ٦٤ —

« الطويل »

ولمروان في الرشيد : [٤١]

(٣٨) الغواني واحدتها الغانية : المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. تولى : ذهب . الخضاب : ما يخضب به . وخضّب الشعر : لوّنه.

(٣٩) انصلت اللحية نصولا فهي ناصل : خرجت من الخضاب وبان شيبها .

(٤٠) امالي الشريف المرتضى ج٢ ص ٤٣ ط . دار احياء الكتب العربية. وينسب الحصري في زهر الآداب ج ٢ ص ٧٧٥ هذين البيتين مع ابيات أخرى لأبي الجنوب بن ابي حفصة في عبد الله بن طاهر ايضا . وانا اذهب الى تأييد الحصري في نسبة هذين البيتين ذلك ان عبد الله بن طاهر توفي بمرو سنة ٢٢٨ هـ او سنة ٢٣٠ هـ وانه عاش ثمانيا واربعين سنة « وفيات الاعيان » ج ٢ ص ٢٧٥ وعلى هــذا تكاد أن تكون سنة ولادته قريبــة من سنة وفاة مروان سنة ١٨١ ــ ١٨٢ هـ .

(٤١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي ج ١

اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر بعد شهر نواصله (٤٢)
ولا نحن نخشى ان يخيب رجاؤنا لديك ولكن اهنأ البر عاجله

— ٦٥ —

وله في الفضل بن يحيى البرمكي : (٤٣)

« الطويل »

ألم تر ان الجود من لدن آدم تحدّر حتى صار في راحة الفضل
اذا ما ابو العباس راحت سماؤه فيالك من هطل ويالك من وبل (٤٤)

— ٦٦ —

وله في الفضل أيضاً : (٤٥)

« الطويل »

ص ٣٠١ ط • الصدق الخيرية • مرة الجنان • عفيف الدين اليافعي ج ١ص ٣٩٠ ط • حيدر آباد الدكن ويرى اليافعي أن البيتين المتقدمين قالهما مروان في الخليفة المهدي ••

(٤٢) قصر يقصر نصف الصلاة : تركه • النواصل واحدتها الفضلة : المزية الرفيعة في الفضل • وفي مرآة الجنان : قسمنا بدل قصرنا في مراة الجنان • « فلا » بدل « ولا » واليك بدل « لديك » والخير بدل «البر» •

(٤٣) تاريخ الأمم والملوك ، الطبري • ج ١ مجلد ٣ ص ٩٣٢ ط لايدن •

(٤٤) ابو العباس : الفضل راحت السماء : أمطرت • الهطل : المطر الضعيف الدائم •

(٤٥) الوزراء والكتاب • الجهشياري ص ١٩٠ ط • اولى البابي الحلبي •

اذا ام طفل راعها جوع طفلها غذته بذكر الفضل فأستعصم الطفل (٤٦)
ليحيى بك الأسلام انك عزه وانك من قوم صغيرهم كهل

— ٦٧ —

قال مروان وقد شخص يحيى بن عبد الله العلوي مع الفضل البرمكي وهو معاد له في عمارية : (٤٧)

« الوافر »

وقالوا الطالقان يجن كنزا سيأتينا به الدهر المديل (٤٨)
فأقبل مكذبا لهم بيحيى وكنز الطالقان له زميل

— ٦٨ —

وقال في مدح الخليفة المهدي : (٤٩)

تاريخ الأمم والملوك الطبري ج ١ مجلد ٣ ص ٩٣٣ ط . لايدن .
وقد روى الطبري هذين البيتين مع البيتين السابقين سوية . ولكننا فصلناهما عن بعضهما لاختلاف حركة القافية في كل منهما .

(٤٦) غذت الطفل بالطعام : قدمته له . استعصم : استمسك . وفي رواية الطبري « دعته باسم الفضل فأعتصم الطفل » .

(٤٧) مقاتل الطالبين : الاصفهاني ج ٣ ص ٣٤٢ ط . دار احياء علوم الدين — بيروت — .

(٤٨) الطالقان : موضع في بلاد الري بين قزوين وابهر مما يلي بلاد طبرستان وفي مقاتل الطالبيين ط . دار احياء الكتب العربية تحقيق السيد أحمد صقر . فأقبل مكدياً لهم بيحيى ... والمكدي : الذي لم يظفر بحاجته .

(٤٩) أمالي الشريف المرتضى ج١ ص ٥٣٢ ط . دار إحياء الكتب العربية

« الطويل »

صحا بعـد جهل فأستراحت عواذله ... وأقصرن عنه حين اقصر باطـله (٥٠)
ومن مدَّ في أيامـــه فتأخـرت ... منيته ، فالشيب لا شك شامـله
هو المرء اما دينـه فهو مانـع ... صئون ، واما ماله فهو باذلـه
امر واحـلى ما بلا الناس طعمه ... عقاب امير المؤمنـين ونائـله (٥١)
أبيٌ لمـا يأبى ذو والحزم والتقى ... فعول اذا ما جـدَّ بالأمر فاعـله
تروك الهوى ، لا السخط منه ولا الرضا ... لدى موطن إلا على الحق حامـله
يرى أن مرَّ الحق أحـلى مغبَّـة ... وانجى ولو كانت زعافا مناهـله
فإن طليـق الله من هو مطلـق ... وان قتيـل الله من هو قاتله
وإنـك بعـد الله للحكم الـذي ... تصاب بـه من كلّ حق مفاصله
كأن أمـير المؤمنـين محمـدا ... ابو جعفر في كل أمر يحاوله (٥٢)

— ٦٩ —

ولمروان في مدح المهدي أيضاً : (٥٣)

« الطويل »

عدا البيت ــ ١٠ ــ الأبيات ٤ــ٨ــ في الأغاني ج ١٠ ص ٨٨ ط دار الكتب
البيت الاول في المحاسن والمساويء للبيهقي ٢٢٠ .

(٥٠) اقصرن : تركنه في المحاسن والمساويء جهد بدل جهل .

(٥١) الاغاني « عذاب » بدل « عقاب » .

(٥٢) محمد : الخليفة المهدي . ابو جعفر : الخليفة المنصور .

(٥٣) تاريخ الامم والملوك . الطبري ج ٢٦ ص ٤٠ ط . الاستقامة مقابلة على لايدن .

بسبعين الفاً راشني من حبائـــه   وما نالها في الناس من شاعر قبلي (٥٤)

— ٧٠ —

وله في مدح الهادي : (٥٥)

« الطويل »

تشابه يوما بأسه ونوالـــه   فما أحـد يدري لأيهما الفضل

— ٧١ —

ولمروان في مدح المهدي : (٥٦)

« الكامل »

---

(٥٤) بسبعين ألفاً : من الدراهم .

(٥٥) النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ج ١ ص ٦٤ ط . دار الكتب الأغاني : ج ١٠ ص ٨٠ ط . دار الكتب .

(٥٦) أمالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٥٤٠ ـ ٥٥٣ ـ ٥٦٦ ـ ٥٦٩ ـ ٥٧٠ ـ عدا الأبيات : ٣٥ ، ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ط . داراحياءالكتب العربية. **الأبيات ١ـ٢ـ٣٥ـ٣٦ـ٣٧ـ٣٨ في تاريخ بغدادالبغدادي ج١٣ص١٤٢ ط .** السعادة الابيات : ١ـ٢ـ٣٥ـ٣٦ـ٣٧ في العقد الفريد . ابن عبد ربه ج ١ ص ٣٥٩ ط . لجنة التأليف والنشر / الابيات ١ـ٢ـ٣٥ـ٣٦ـ٣٧ في الاغاني ج ١٠ ص ٨٧ ط . دار الكتب . الأبيات : ١ـ٣٥ـ٣٦ـ في نهاية الأرب. النويري ج ٤ ص ٢٠٧ . البيت ـ ٢٧ ـ في الكامل في اللغةوالأدب: المبرد ص ٦٦٩ المطبعة العامريـة . البيت ـ ١ ـ في الاوراق الصولي « قسم اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم » ص ٢٣ ط . الصاوي . الابيات

طرقتــك زائرة ، فحي خيالهــا بيضاء تخلط بالجمال دلالها (٥٧)
قادت فؤادك فأستقاد ومثلهـــا قاد القلوب الى الصبا فأمالها (٥٨)
وكأنمـا طرقت بنفحة روضـة سحت بهـا ديم الربيع ظلالها (٥٩)
باتت تسائـل في المنـام معرّساً بالبيد اشعث لا يملّ سؤالها (٦٠)
في فتيـة هجعوا غراراً بعـدما سئموا مراعشة السرى ومطالها (٦١)
فكأن حشو ثيابهم هنديـة نحلت واغفلت العيون صقالها (٦٢)
وضعوا الخدود لدى سواهم جنح تشكو كلوم صفاحها وكلالها (٦٣)
طلبت أمير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغدوّها آصالهـا

١ـ٢ـ٣٥ـ٣٦ـ٣٦ـ٣٧ في عيون التواريخ . ابن شاكر الكتبي مخطوط . الجزء الثالث رقم الكتاب ٣٤٠٩ . الابيات ١٤ـ ١٥ـ ٢١ـ ٢٣ـ ٢٧ـ ٣٥ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ الحماسة البصرية ١ / ١٩٢ البيت ٢٨ في الموفقيات للزبير بن بكار . « مخطوط » نسخة مصورة عن نسخة ياش اعيان ٢٥٨ . والابيات ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ في نور القبس من المقتبس للمرزباني ص ١٣٩ .

(٥٧) طرقتك : أتتك ليلاً . الخيال : الطيف . في أمالي المرتضى والعقد الفريد وتاريخ بغداد « تخلط بالحياء » بدل « الجمال » في الاوراق «حسناء» بدل « بيضاء » .

(٥٨) امالي المرتضى « مالت بقلبك » بدل « قادت فؤادك » .

(٥٩) نفحة الروضة : رائحتها سحت السماء المطر : صبته . ديم واحدتها ديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . « يريد انها ذات رائحة ندية عطرة » .

(٦٠) عرّس المسافر : نزل آخر الليل وغرارا : قليلا من النوم .

(٦١) المراعشة : تحريك الرأس في السير من النوم .

(٦٢) السيف الناحل : الرقيق .

(٦٣) سهمت الناقة فهي ساهمة ج سواهم : تغير لونها مع هزال . جنح واحدتها : جانحة المائلة على أحد جنبيها . كلوم واحدها كلم : الجرح .

نزعت اليــــك صواديا فتقاذفت ... تطوي الفــلاة حزونهــا ورمالها
يتبعن ناجيــة يهزّ مراحهــــا ... بعــد النحول تليلها وقذالها (٦٤)
هوجاء تدّرع الربا وتشقهـــا ... شقّ الشموس اذا تراع جلالها (٦٥)
تنجو اذا رفـع القطيع كما نجت ... خرجاء بادرت الظلام رئالها (٦٦)
كالقوس ساهمة اتتك وقــد ترى ... كالبرج تملأ رحلها وحبالهــا (٦٧)
احيـا أمـير المؤمنـين محمد ... سنن النبي حرامها وحلالهـا (٦٨)
ملك تفرع نبعـــة من هاشم ... مدّ الإلــه على الانام ظلالهـــا
جبــــل لأمتــه تلوذ بركنـــه ... رادى جبال عدوّها فأزالها (٦٩)
لـم تغشها ممـــا تخاف عظيمـة ... إلا اجال لها الأمور مجالهـــا
حتى يفرّجهـــا اغرّ مبـارك ... ألفى اباه مفرّجا أمثالهـــا
ثبت على زلـــل الحوادث راكب ... من صرفهن لكل حال حالها (٧٠)
كلتا يديك جعلت فضل نوالهـــا ... للمسلمين وفي العـدو وبالهـــا

(٦٤) الناقة الناجية : السريعة • التليل : العنق • قذال ج قذل : مؤخر الرأس •

(٦٥) الشموس : النفور • تراع : تزجر وتفزع •

(٦٦) رفع القطيع في السير : أسرع • الخرجاء : التي في لونها سواد وبياض • الرئال واحدها الرأل : ولد النعام • « يريد انها بدت الظلام الى رئالها » •

(٦٧) الساهمة : النحيلة • برجت الناقة تبرج : ارتفعت فهي مرتفعة كالبرج •

(٦٨) سنن واحدتها سنة الشريعة • حرامها وحلالها : التحريم والتحليل • وفي سنة النبي (ص) تحريم الحرام وتحليل الحلال •

(٦٩) رادى الجبل : رماه •

(٧٠) يريد ان الممدوح يتخذ لكل حال من أحوال الحوادث الحالة التي تناسبها •

وقعت مواقعهـــا بعفوك انفس ... اذهبتَ بعـد مخافـة اوجالهـا
أمّنت غـير معاقب طرادهـا ... وفككت من أسرائهـا اغلالهـا
ونصبت نفسك خير نفس دونها ... وجعلت مالـك واقيـاً اموالهـا
هـل تعلمون خليفة من قبلـه ... أجرى لغايته التي أجرى لهـا
طلـع الدروب مشمِّراً عن ساقه ... بالخيل منصلتا يجدّ نعالهـا (٧١)
قودا تريع الى أغرّ لوجهـه ... نور يضيء أمامهـا وخلالها (٧٢)
قصرت حمائـله عليه فقلصت ... ولقد تحفظ قينهـا فأطالهـا (٧٣)
حتى اذا وردت أوائـل خيله ... جيحان بثّ على العدو رعالها (٧٤)
احمى بـلاد المسلمـين عليهـم ... وأباح سهل بلادهم وجبالهـا (٧٥)
أدمت دوابر خيله وشكيمهـا ... غاراتهنّ وألحقت آطالهـا (٧٦)
لـم تبق بعد مقادها وطرادهـا ... الا نحائزهـا وإلا آلهـا (٧٧)

---

(٧١) الدروب : يريد بها دروب الروم . شمّر عن ساقه فهو مشمِّر : أهتم بالأمر فرفع ثوبه استعداداً للعمل . المنصلت : الماضي في الأمر . يجد الشيء يصيره جديدا .

(٧٢) قود : واحدها أقود قوداء : الذلول من الخيل . تريع : ترجع .

(٧٣) قلّصت : قصرت . وهو يريد ان الممدوح فارع الطول .

(٧٤) جيحان : اسم نهر في بلاد الروم . الرعال واحدها الرعيل : القطعة من الخيل تتقدم العسكر .

(٧٥) أحمى عليهم : منعهم اياها وجعلها حمى لا يقرب . اباح السهل والجبل : جعلة مباحا للجميع .

(٧٦) دوابر واحدها دابرة : الموضع الذي يقع عليه مؤخر السرج . الشكيم واحدها شكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس . لحقت الفرس : ضمرت . الآطال واحدها الاطل : الخاصرة .

(٧٧) النحائز واحدتها النحيزة : الطبيعة . آلها : شخصها .

رفــع الخليفة ناظريَّ وراشني   بيد مباركــة شكَرت نوالهــا

وحسدتُ حتى قيــل اصبح باغيا   في المشيّ مترف شيمة مختالهـا

ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى   نعلا ورثت عن النبيّ مثالهـا (٧٨)

هل تطمسون من السماء نجومها   بأكفـكم ام تسترون هلالها (٧٩)

ام تدفعون مقالــة عن ربــه   جبريل بلّغها النبيَّ فقالهـا (٨٠)

شهدت من الأنفــال آخر ايــة   بتراثهم فاردتــم ابطالهـــا (٨١)

فذروا الأسود خوادر في غيلهـا   لا تولغنَّ دماءكــم أشبالها (٨٢)

---

(٧٨) حذا يحذو النعل : قطعها على مثال : « يريد أن الممدوح اقتدى بالنبي (ص) في افعاله حذو النعل بالنعل » .

(٧٩) في تاريخ بغداد « يطمسون » بدل « تطمسون » وأطمس الشيء : محاه واخفاه . وفي نور القبس يروى الشطر الثاني هكذا « او تمحقون من السماء هلالها » .

(٨٠) في تاريخ بغداد « يدفعون » بدل « تدفعون » وهذا البيت في عيون التواريخ كما يلي :

او تجحدون مقالة عن ربكم   جبريل بلّغ للنبي مقالهـا

(٨١) يشير الى قوله تعالى في سورة الانفال « واولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم » ابطل الآية : سقط حكمها . وفي العقد الفريد والاغاني « تجحدون » بدل « تدفعون » .

(٨٢) الخوادر واحدها الخادر : المقيم . الغيل : أجمة الأسد أولغ الاشبال الدماء : سقاها اياها . في الحماسة البصرية : فدعوا بدل فذروا . وكذلك في نور القبس .

— ٧٢ —

وقال مروان متغزلاً : (٨٣)

« الكامل »

ان الغواني طالمـــا قتّلننــا بعيونهن وما يدين قتيــلا (٨٤)
من كل آنسة كأن حجالهــا ضمن أحور في الكناس كحيلا (٨٥)
اردين عروة والمرقّش قبلــه كلٌّ أصيب وما أطاق ذهولا (٨٦)
ولقد تركن ابا ذؤيب هائمــا ولقــد تبلن كثــيراً وجميــلا (٨٧)
وتركن لابن ابي ربيعة منطقــا فيهن اصبح سائرا محمولا (٨٨)
إلا اكــن ممــن قتلــن فانني ممن تركــن فؤاده مخبــولا

(٨٣) الكامل في اللغة والآداب ج ٢ ص ٤٣ • ط • التقدم بمصر• وفي الحماسة البصرية ٢ / ٢٣٣ •

(٨٤) الغواني واحدتها الغانية : المرأة الغنية بجمالها عن الزينة • لايدين: لا يعطين من قتلنه • يقال : وديت القتيل أديه وديا : اعطيته •

(٨٥) حجال : واحدها حجلة : بيت يضرب للعروس • حورت العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها فهي حوراء وصاحبها أحور • الكناس : بيت الظبية •

(٨٦) عروة : عروة بن حزام العذري صاحب عفراء بنت عمه عقال • المرقّش : المرقش الأكبر وهو عمرو او عوفه بن سعد صاحب اسماء بنت عمه •

(٨٧) ابو ذؤيب : خويلد بن خالد الهذلي مات عشقا بصاحبته ام عمرو • كثيّر بن عبد الرحمــن صاحب عزّة بنت حميــد : جميــل : هو ابن عبدالله بن معمر العذري صاحب بثينة •

(٨٨) منطقاً سائراً : جارياً بين الناس •

— ٧٣ —

وله في معن قصيدة مطلعها : (٨٩)

« الكامل »

امسى المشيب من الشباب بديــلا ضيفا أقام فما يريد رحيـــلا
والشيب اذ طرد الشبـــاب بياضه كالصبح أحـدث للظـلام افولا

— ٧٤ —

وله أيضاً : (٩٠)

« الطويل »

شبيه أبيــه منظراً وخليقــة كما حذيت يوما على أختها النعل

— ٧٥ —

وقال مروان في رثاء معن بن زائدة الشيباني : (٩١)

« الوافر »

---

(٨٩) طبقات الشعراء • ابن المعتز • ص ٤٦ ط • دار المعارف بمصر •
(٩٠) أمالي الشريف المرتضى ج١ص ٥٧٢ ط • دار احياء الكتب العربية •
(٩١) تاريخ بغداد ١٣ ص ٢٤١ — ٢٤٢ ط • السعادة • وفيات الاعيان •
ابن خلكان ج ٤ ص ٣٣٥ ط • أولى السعادة عدا الابيات : ٢١—٢٢—٢٣—

مضـى لسبيـــله معن وابقى مكارم لن تبيـــد ولــن تنالا (٩٢)
كـأن الشمس يوم اصيب معن من الاظـــلام ملبسة جـــلالا
هو الجبل الـــذي كانت نـــزار تهدّ من العدو بـــه الجبالا (٩٣)
وعطّلت الثغور لتقـــد معن وقد يروي بها الأسل النهالا (٩٤)

٣٣ــ٣٤ــ٣٥ــ٣٦ــ٣٨ــ٤٠ــ٤٦ــ٤٧ طبقات الشعراء • ابن المعتز ص ٥٢ ــ ٥٣ ــ ٥٤ ط • دار المعارف بمصر عدا الابيات : ١٦ــ٢١ــ٢٢ــ٢٣ــ ٢٥ــ ٢٦ــ ٣٠ــ ٣٣ــ ٣٤ــ ٣٥ــ ٣٦ــ ٣٨ــ ٤٠ــ ٤٣ــ ٤٦ــ٤٧ــ ٤٨ ــ٥٠ــ٥١ــ٥٢ • البيتان : ٤٤ــ٤٥ــفي الاغاني ج ١٠ ص ٨٧ • دارالكتب• الأبيات : ٢ــ٣ــ١٠ في معجم الشعراء المرزباني ص ٣١٨ ط • دار احياء الكتب العربية • الأبيات : ١ــ٣ــ١٠ــ١١ــ١٥ــ١٧ــ٤٢ــ٤٦ــ ٥١ • في حماسة ابن الشجري ص ٩٠ ــ ٩١ ط • دائرة المعارف العثمانية • البيتان ــ ٤٤ ــ ٤٥ في عيون التواريخ • ابن شاكر الكتبي مخطوط دمشق الجزء الثالث رقم الكتاب ٣٤٠٩ • دمشق • مخطوطة في مكتبة برلين تحت رقم ٧٥٣٠ عدا الأبيات ١٦ ــ ٢١ــ٢٢ــ٢٣ــ٣٣ــ٣٤ــ٣٥ــ٣٦ــ٣٨ــ٤٠ــ ٤٣ ــ ٤٦ ــ ٤٧ ــ ٥٤ ــ •

التذكرة السعدية ــ مخطوط ــ ورقة ٢٠٧ الأبيات ١ــ٢ــ٩ــ١٠ــ١١ ــ ٣٥ ــ ٤٧ وهي غير منسوبة لأحد الابيات ١ــ٢ــ٣ــ٨ــ١٠ــ ١١ ــ ١٢ ١٤ــ٢٤ــ٢٥ــ٣٤ــ٣٧ــ٣٨ــ٤٢ــ٤٤ــ٤٥ في الحماسة البصرية ١/٢٠٨ •
الابيات ٢ ــ ١٠ ــ في المحاسن والمساويء للبيهقي ٢٤٤ •

(٩٢) مضى لسبيله : مات • مكارم واحدتها مكرمة : الفعل الكريم الحميد • في تاريخ بغداد «محامد» بدل «مكارم» وكذلك في الحماسة البصرية•

(٩٣) في معجم شعراء المرزباني والحماسة الشجرية «هوى» بدل «هو» • تهدّ الجبال : تهدمها •

(٩٤) في طبقات الشعراء « تعطلت » بدل « عطلت » الثغور واحدتها الثغر : الفتحة في حدود البلاد ، الأسل : الرماح • النهال واحدها ناهل وناهلة : عطشان •

واظلمت العراق واورثتها مصيبته المجللة اختلالا (٩٥)
وظل الشام يرجف جانباه اركن العز حين وهى فمالا (٩٦)
وكادت من تهامة كل أرض ومن نجد تزول غداة زالا
فإن يعل البلاد له خشوع فقد كانت تطول به اختيالا
اصاب الموت يوم اصاب معنا من الأحياء اكرمهم فعالا (٩٧)
وكان الناس كلهم لمعن الى ان زار حفرته عيالا (٩٨)
ولم يك طالب للعرف ينوي الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض راحته السؤالا (٩٩)
وما نزل الوفود بمثل معن ولا حطوا بساحته الرحالا (١٠٠)
وما بلغت اكف ذوي العطايا يمينا من يديه ولا شمالا (١)

---

(٩٥) في تاريخ بغداد « البستة » بدل « أورثتها » والتصويب من المصادر الاخرى المصيبة المجللة : العظيمة •
(٩٦) وهى : سقط في طبقات الشعراء « ومالا » بدل « فمالا »•
(٩٧) في تاريخ بغداد « الاخيار » بدل « الاحياء » والتصويب من المصادر الأخر •
(٩٨) يريد هؤلاء الذين كانوا يقصدون معنا لحاجتهم فيكفيهم معاشهم •
(٩٩) في تاريخ بغداد والتذكرة السعدية « ثوى » بدل « مضى » • في طبقات الشعراء ووفيات الأعيان «فيض نائله» بدل « فيض راحته »
(١٠٠) في طبقات الشعراء ووفيات الاعيان ومخطوط برلين « وما عمد الوفود لمثل » بدل « وما نزل الوفود بمثل » وفي طبقات الشعراء «حلّوا» بدل « حطّوا » •
(١) في طبقات الشعراء ووفيات الاعيان ومخطوطة برلين « ولا بلغت » بدل « وما بلغت » •

وما كانت تجفّ لـه حياض ... من المعروف مترعة سجالا (٢)
لأبيض لا يعدّ المال حتى ... يعمّ به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوة ... وليت العمر مدّ له فطالا
ولم يك كنزه ذهبا ولكن ... سيوف الهند والحلق المذالا (٣)
وذابلة من الخطّي سمراً ... ترى فيهن لينا واعتدالا (٤)
وذخراً من مكارم باقيات ... وفضل تقى به التفضيل نالا (٥)
لئن امست زوائد قد ازيلت ... جياد كان يكره ان تزالا
لقد كانت تصان به وتسمو ... بها عققا ويرجعها خيالا (٦)
وقد حوت النهاب فأحرزته ... وقد غشيت من الموت الطلالا
مضى لسبيله من كنت ترجو ... به عثرات دهرك ان تقالا

---

(٢) مترع : مملوء . ساجله مساجلة وسجالا : باراه وفاخره في العطاء والكرم .

(٣) وفي طبقات الشعراء « الحلق الفضالا » بدل « الحلق المذالا » .
ورد هذا البيت في « المختار من شعر بشار » اختيار الخالديين شرح أبي طاهر بن زيادة . ط . الاعتماد .
على هذا الشكل :
ولم يك كنزه ذهباً ولكن ... حديد الهند والحلق المذالا

(٤) في مخطوطة برلين « مارنة » بدل « ذابلة » والتصويب من طبقات الشعراء وفي الوفيات : ومادته . ذابلة : صفة للرماح . الخطّي : الرمح المنسوب الى الخط وهو مرفأ في البحرين .

(٥) في طبقات الشعراء ومخطوطة برلين « محامد » بدل « مكارم » وفي طبقات الشعراء « وفضل لها به الأفضال نالا » بدل « وفضل تقى به التفضيل نالا » .

(٦) عقّت الفرس تعقّ عققا : كانت عقوقا أي حاملاً .

فلست بمالكٍ عبرات عين أبت بدموعها إلا انهمالا
وفي الاحشاء منك غليل حزن كحرّ النار تشتعل اشتعالا (٧)
وقائلةٍ رأت جسمي ولوني معاً عن عهدها قلبا فحالا (٨)
أرى مروان عاد كذى نحول من الهندي قد فقد الصقالا
رأت رجلاً براه الحزن حتى أضرّ به واورثه خبالا
فقلت لها الذي أنكرت مني لفجع مصيبة أبكى وغالا
وايام المنون لها صروف تقلب بالفتى حالاً فحالا
كأن الليل واصل بعد معن ليالي قد قرن به فطالا
لقد اورثتني وبنيّ همّا واحزانا نطيل بها اشتغالا
يرانا الناس بعدك قبل دهر أبى لجدودنا إلا اغتيالا
فنحن كأسهم لم يبق ريشا لها ريب الزمان ولا نصالا (٩)
وقد كنا بحوض نداك نروى ولا نرد المصردة السمالا (١٠)
فلهف أبي عليك اذا العطايا جعلن منىً كواذب واعتلالا (١١)
ولهف أبي عليك اذا الاسارى شكوا حلقا بأعنقهم ثقالا (١٢)

---

(٧) في الوفيات ومخطوطة برلين « يشتعل » بدل « تشتعل » .
(٨) في تاريخ بغداد « جسدي » بدل « جسمي » حالا : تحوّلا من حال الى حال .
(٩) راش السهم يريشه : الزق عليه الريش ليحمله في الهواء كما يحمل الطائر . النصال واحدها النصل : حديدة الرمح او السهم أو السكين
(١٠) السمال واحدها السملة والسملة : الماء القليل . صرد العطاء فهو مصرّد : قليل .
(١١) لهف يلهف لهفا على ما فات : حزن وتحسر .
(١٢) حلقا وحلقات واحدتها حلقة : الحبل .

واهف أبي عليـــك اذا اليتامى غـــــدوا شعثا كأنَّ بهم سلالا
ولهف أبي عليـــك اذا المواشي رعت جــدباً تموت بــه هزالا
ولهف أبي عليـــك لكل هيجا لها تلقى حواملهـا السخالا (١٣)
والهف أبي عليـــك اذا القوافي لممتدح بهـا ذهبت ضلالا (١٤)
ولهف أبي عليـــك لكـل أمر يقول لــه النجي إلا احتيالا (١٥)
أقمنـــا باليمامـــة اذ يئسنا مقاما لا نريـــد به زوالا (١٦)
وقلنـــا : أين نرحــل بعـد معن وقد ذهب النوال فــلا نوالا (١٧)
فإن يذهب فرب رعال خيـــــل عوابس قـد لقيت بهـا رعالا
وقوم قــد جعلت لهم ربيعـــا وقوم قــد جعلت لهم نكــالا
فمـا شهد الوقائــع منك امضى وأكرم محتداً واشـــــدآلا
اذا هــو في الأمور بــلا الرجالا سيذكرك الخليفة غـــير قالٍ
ولا ينسى وقائعـــك اللواتي على أعـدائه جعلت وبـــالا
ومعتركٍ شهدت به حفاظـــــا وقــد كرهت فوارسه النزالا (١٨)

(١٣) الهيجاء : الحرب وفي طبقات الشعراء «غدت تلقى حواضنها السخالا» بدل ما أثبتناه عن بقيةالمصدر • وفي وفيات الأعيان «السجالا» بدل «السخالا»

(١٤) في الحماسة الشجرية « فلهف » •

(١٥) النجيّ : الصديق والمسرّ •

(١٦) في تاريخ بغداد « بعد معن » بدل « اذ يئسنا »وفيهذا المصدر ما نريد بدل لا نريد وزيالا بدل زوالاً •

(١٧) في تاريخ بغداد « اين نذهب » بدل « أين نرحل »•

(١٨) المعترك : موضع العراك في الحماسة الشجرية « ومعترك نزلت » الحفاظ : الذب عن المحارم •

حباك أخو أميـــــــة بالمراثي ... مع المدح اللواتي كـــان قالا [١٩]
أقام وكـــان نحوك كـــل عام ... يطيل بواسط الرحل اعتقالا [٢٠]
فألقى رحـــــله أسفا وآلـــى ... يمينـــا لا يشدّ لهـــا حبالا

— ٧٦ —

ــ ولمروان في مدح جعفر البرمكي الذي أجاز الشاعر على مرثيته اللامية المتقدمة في معن : [٢١]

« الوافر »

نفحت مكافيـــا عن جود معن ... لنا فيما تجود بـــه سجالا [٢٢]
فعجلت العطيـــة يا ابن يحيى ... لنادبه ولـــم ترد المطالا [٢٣]
فكافى عن جدا معن جـــــواد ... بأجود راحة بذلت نوالا [٢٤]
بنى لـــك خالد وابوك يحيى ... بنـــاءً في المكارم لن ينالا [٢٥]

(١٩) حباك بالمراثي : وهبها لك • أخو امية : يريد الشاعر نفسه •
(٢٠) في طبقات الشعر « الكور » بدل « الرحل » •
(٢١) مخطوطة برلين رقم ــ ٧٥٣٠ ــ طبقات الشعراء ص ٤٥ ط • دار المعارف بمصر • وفيات الأعيان ج٤ ص ٣٣٨ ط • السعادة • البيت الخامس في زهر الآداب • الحصري ج ١ ص ٣٦٦ ط • دار احياء الكتب العربية •
(٢٢) في الطبقات والوفيات « مكارما عن قبر معن » بدل ما اثبتناه عن مخطوطة برلين • وفيهما كذلك « مما » بد « فيما » •
(٢٣) في الطبقات والوفيات «بتأدية» بدل «لنادبه» المطال : التسويف •
(٢٤) كافى : جازى واغنى عن غيره • في الطبقات والوفيات «عن صدى» بدل « عن جدا » وما اثبتناه عن مخطوطة برلين اكثر انسجاما مع السياق
(٢٥) خالد : جد الممدوح • ينال : يبلغ اليه •

كـأن البرمكي بـكل مال   تجود به يـداه يفيد مالا (٢٦)

— ٧٧ —

وقال في مدح المهدي : (٢٧)

« الطويل »

الى المصطفى المهدي خاضت ركابنا   دجى الليل يخبطن السريح المخدما (٢٨)
يكون لهـا نور الامام محمـــــد   دليلا به تسرى اذا الليل اظلمـا

— ٧٨ —

وله أيضاً : (٢٩)

« الطويل »

اذا هنّ ألقـين الرحال ببابـه   حططن به ثقلا وأدركن مغنما (٣٠)
الى طاهر الأخلاق ما قال في رضا   ولا غضب مالاً حراما ولا دمـا

(٢٦) البرمكي : نسبة الى جد الممدوح الاول برمك : يفيد : يأخذ
(٢٧) زهر الآداب : الحصري ج ١ ص ٣٦٦ ط • دار احياء الكتب •
(٢٨) السير السريح : المعجل • المخدّم : السير •
(٢٩) امالي المرتضى ج ١ ص ٥٣٥ ط • دار احياء الكتب العربية •
(٣٠) الضمير في ألقين يعود على النياق •

— ٧٩ —

وقال مروان في مدح الفضل بن يحيى البرمكي : (٣١)

« الطويل »

ضربت فلا شلت يد برمكيـة   رتقت بها الفتق الذي بين هاشم (٣٢)
على حين اعيا الراتقين التئامه   فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
فأصبحت قد فازت يداك بخطه   من المجد باقٍ ذكرها في المواسم
وما زال قدح الملك يخرج فائزاً   لكم كلما ضمت قداح المساهم (٣٣)

— ٨٠ —

وقال مروان يمدح شراحيل بن معن بن زائدة (٣٤) :

« الطويل »

رأيت ابن معن أنطق الناس جوده   فكلف قول الشعر من كان مفحما
وارخص بالعدل السلاح بأرضنا   فما يبلغ السيف المهند درهما

(٣١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٥١ ط • الاستقامة مقابلة على لايدن•
البيت الاول في البيان والتبيين الجاحظ • ج ٣ ص ٢٨٩ ط • الأستقامة •
(٣٢) في تاريخ الطبري « ظفرت » بدل « ضربت » وفي البيان والتبيين« خالدية » بدل « برمكية » • شلت اليد وانشلت : يبست • رتق فتقهم: أصلح ذات بينهم •
(٣٣) القدح : السهم قبل أن ينصل ويراش ج قداح •
(٣٤) نقد الشعر • قدامة بن جعفر ٨٦ — ٨٧ •

— ٨١ —

وله في مدح المهدي : (٣٥)

« الكامل »

طاف الخيال وحيّـهِ بسلام   أني ألـمّ وليس حين لمـام

— ٨٢ —

وله كذلك : (٣٦)

« المتقارب »

الى ملـك مثـل بدر الدجى   عظيم الفنـاء رفيـع الدعم
قريـع نزار غـداة الفخار   ولو شئت قلت جميع الأمـم
لـه كف جود تفيـد الغنى   وكـف تبيـد بسيف النقـم

— ٨٣ —

وقال مخاطبا المهديّ ومدافعا عن حق العباسيين في الخلافة : (٣٧)

« الكامل »

(٣٥) المحاسن والمساويء ، البيهقي ٢٢٠ ، ويبدو أن هذا البيت هو مطلع قصيدته رقم ٧٠ لأن كليهما في المهدي مع تشابهما في الوزن والقافية .
(٣٦) المحاسن والمساويء ، البيهقي ٢٣٨ ــ ٢٣٩ .
(٣٧) الابيات : ١ــ٢ــ٣ــ٦ــ٧ــ٨ في العقد الفريد : ابن عبد ربه ج ١

يا ابن الـذي ورث النبي محمداً | دون الاقارب من ذوي الارحام (٣٨)
الوحي بين بني البنات وبينـكم | قطع الخصام فلات حين خصام (٣٩)
ما للنساء مـع الرجال فريضة | نزلت بذلك سورة الانعـام (٤٠)
خلـوا الطريق لمعشر عاداتهم | حطم المناكب يوم كـل زحام (٤١)
أرضوا بمـا قسم الإله لـكم به | ودعوا وراثة كل أصيد سامي (٤٢)
أنى يـكون وليس ذاك بكائـن | لبني البنات وراثـة الاعمام (٤٣)
الغى سهامهم الكتـاب فحاولوا | أن يشرعوا فيها بغـير سهام (٤٤)

ص ٣٥٩ ط • لجنة التأليف والنشر • الأبيات ٤ـ٥ـ٦ في معاهدة التنصيص عبدالرحيم العباسي ٢/٢٤ • ط • السعادة • البيت ـ٦ـ في الأغاني ج٣ص ٢٢٢ وكذلك ج ١٠ ص ٦٤ ـ ٦٥ ط • دار الكتب • البيت ـ ١ ـ في مروج الذهب المسعودي ج ٣ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ط • ثالثة السعادة • البيت ـ٦ـ في الشعر والشعراء • ابن قتيبة ج ٢ ص ٦٥١ ط • دار الثقافة • البيتان ٦و٧ في لطائف المعارف • الثعالبي ص ٧٠ ط • دار احياء الكتب العربية ـ البيتان ٦و٧ في الكامل • المبرد ج ٢ ص ٤٣٧ ط • البابي الحلبي • البيت ـ ٦ ـ في أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني ٣/٣٥٤ •

(٣٨) ذوو الارحام : ذوو القرابة •

(٣٩) الوحي : ما أوحى به الله الى النبي (ص) • قطع الخصام : انهى الخلاف •

(٤٠) ليس في سورة الأنعام حكم من احكام الوراثة ولعله يريد سورة النساء •

(٤١) في الاغاني « كل يوم زحام » بدل ما اثبتناه عن بقية المصادر • وهو يريد أن العباسيين يغلبون الاعداء يوم التنافس في المعالي •

(٤٢) الاصيد : السيد ، الاسد ج صيد • في الأغاني حامي بدل «سامي» •

(٤٣) يعني ان ابناء البنت لا يرثون كما يرث الاعمام •

(٤٤) ان يشرعوا فيها بغير سهام : أن ينالوها من غير ان يكون لهم نصيب مفروض فيها •

ظفرت بنو ساقي الحجيج بحقهم   وغررتم بتوهـم الاحـلام (٤٥)

— ٨٤ —

وقال يوم عقد المهدي البيعة لأبنه موسى الهادي : (٤٦)

« الكامل »

عقدت لموسى بالرصافة بيعـة   شدّ الإله بهـا عرى الاسلام
موسى الذي عرفت قريش فضله   ولهـا فضيلتهـا على الاقوام
بمحمد بعد النبيّ محمـد   حيي الحلال ومات كل حرام (٤٧)
مهديّ أمتـه الذي أمست به   للـذل آمنـة وللإعـدام
موسى ولى عهد الخلافة بعده   جفت بذاك مواقـع الاقلام

— ٨٥ —

وانشد مروان معن بن زائدة الشيباني قصيدة أولها : (٤٨)

« الكامل »

---

(٤٥) ساقي الحجيج : العباس ابن عبد المطلب لأنه تولى سقاية الحجيج في الجاهلية .

(٤٦) تاريخ الخلفاء : السيوطي ص ١٦٧ ط . ادارة الطباعة المنيرية .

(٤٧) محمد : الخليفة المهدي .

(٤٨) الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ في مخطوطة برلين تحت رقم ـ ٧٥٣٠ ـ الابيات : ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ في الحماسة ابن الشجري ص

هاجت هـواك بواكر الأظعـانِ يوم اللوى فظللت ذا اشجان (٤٩)
عادات عينك ان تطـلّ دموعها منهـلة لتفرّق الجـيران

يقول فيها :

نعم المناخ لراغب او راهـب ممن تصيب جوائـح الأزمان
معن بن زائدة الذي زيدت بـه شرفا على شرف بنو شيبـان
أن عُـدّ ايام الفعـال فانمـا يوماه يوم ندىً ويوم طعان(٥٠)
جبل تلوذ بـه نزار كلّهـا صعب الذرى متمنع الاركان(٥١)
يكسو المنابر والأسرة بهجـة ويزينهـا بجهارة وبيـان

---

١١٠ ــ ١١١ ط ٠ دائرة المعارف العثمانية ٠ الابيات : ٣ــ٤ــ٥ــ٧ــ١٣ــ١٨ في العمدة ٠ ابن رشيق ج ٢ ص ١٤٢ ط ٠ ثالثة السعادة ٠ الابيـات : ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٦ ــ ١٩ ــ في معجم الشعراء ٠ المزرباني ص٣١٨ط٠ دار احياء الكتب العربية ٠ البيت ــ ٤ ــ موشح المرزباني ص ٢٥٢ ط ٠ جمعيـة نشـر الكتب العربيـة ٠ البيت ــ ٦ ــ في مروج الـذهب المسعودي ج ٣ ص ٣٣١ ط ٠ ثالثـة السعادة ٠ الابيات : ٤ــ٥ــ١٤ــ١٥ في الاغاني ج ١٠ ص ٨٦ ط ٠ دار الكتب البيتان ٤ــ٥ في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٩ ط ٠ دار الكتب ٠

البيتان ١٤ ــ ١٥ في ربيع الأبرار للزمخشري مخطوط بمكتبة الاوقاف ج ٢ ورقة ٤٩ برقم ٣٨٧ الابيات ٤ــ٥ــ٧ــ ١٣ــ١٤ــ١٥ ــ٢٠ــ ٢١ــ في الحماسة البصرية لصدر الدين البصري ط ٠ أولى ــ مطبعةمجلس دائرةالمعارف العثمانية ١ / ١٦٢ ٠

الابيات ٣ ــ ٤ ــ ١٨ ــ ٢٢ في كتاب المعاني العسكري ١/٤٨ ط٠ القدسي ٠

(٤٩) بواكر الأضعان : اوائلها ٠
(٥٠) في مخطوطة برلين « ايام الفخار » بدل « ايام الفعال » ٠
(٥١) نزار : قبيـلة الممدوح ٠

والخيزران يطيب حين يمسّه | منه بأطيب راحة وبنان
جلب الجياد من العراق قوافلا | قبّ البطون يقدن بالأرسان (٥٢)
جردا مجنبة تعاضد في السرى | بالبيد كل شملة مذعان (٥٣)
من كل سلهبة يبين بنحرها | وقع القنا واقبّ كالسرحان (٥٤)
حتى اغرن بحضرموت شوازبا | مقورّة ككواسر العقبان (٥٥)
تمضي اسنته ويسفر وجهه | في الحرب عند تغيّر الألوان (*)
ما زلت يوم الهاشمية معلِماً | بالسيف دون خليفة الرحمن (٥٦)
فمنعت حوزته وكنت وقاءه | من وقع كل مهنّد وسنان (٥٧)

---

(٥٢) في الحماسة ومعجم المرزباني عوابسا بدل قوافلا • والتصويب من مخطوطة برلين • قبّ البطن : دقّ وضمر •

(٥٣) جردا : جياد لا يعتليها الرجال • مجنّبة • تقاد الى جانب قائدها • تعاضد في السري تمشي الى جانب غيرها • شملة : ناقة سريعة • مذعان : منقادة •

(٥٤) سلهبة : طويلة ج سلاهب • القنا : الرماح • اقبّ : ضامر البطن • السرحان : الذئب •

(٥٥) شوازب واحدها الشازب : الضامرة • مقورّة : ضامرة • عقاب كاسر : منقض يكسر ما يصيده كسرا •

(*) في الحماسة الشجرية « في الروع » •

(٥٦) يوم الهاشمية : وهو اليوم الذي خرج فيه قوم من أهل خراسان على المنصور فقاتلهم معن حتى فرق جمعهم • أعلم نفسه بالسيف فهو معلم وسمها بسيماء الحرب • وفي الأغاني والنجوم الزاهرة « معلنا » بدل «معلما» والتصويب من حماسة ابن الشجري وربيع الابرار خليفة الرحمن : المنصور •

(٥٧) منع : حمى • في الحماسة « فحميت » بدل « فمنعت » في ربيع الأبرار « وقاةً » ويمان بدل سنان ـــ الحوزة : الملك • السنان: نصل الرمح •

إنّي رأيتـــك بالمحامـد مغرما تبتاعهـا برغائب الاثمـان (٥٨)
فاذا صنعت صنيعة اتممتهـــا ورتبتهـا بعوائد الاحسان (٥٩)
نفسي فداك أبا الوليد اذا بـدا رهج السنابك والرماح دواني (٦٠)
كلتا يديك ابا الوليد مع النـدى خلقت لقائم منصل وعنـان (٦١)
أنت الـذي ترجو ربيعـة سيبه وتعـــده لنوائب الحدثان
فتّ الذين رجوا نداك ولم ينل أدنى بنائـك في المـكارم باني
مطر ابوك أبو الأهـلة والذي بالسيف حاز هجاين النعمـان

— ٨٦ —

ولمروان قوله : (٦٢)

« الكامل »

لو لا رجاؤك ما تخطت ناقتـي عرض الدبيل ولا قرى نجران (٦٣)

(٥٨) وغائب الاثمان : الاثمان الكبيرة الكثيرة واحدتها رغيبة .
(٥٩) رتبتها : اتبعتها وجعلت في مرتبتها . العوائد واحدتها العائدة : الصلة والمكافأة . في الحماسة الشجرية « وربيتها » .
(٦٠) ابو الوليد : معن بن زائدة .
(٦١) قائم المنصل : مقبض السيف : العنان سير اللجام ج اعنّة وعنن .
(٦٢) معجم البلدان : ياقوت الحموي ج ٤ ص ٣٥ ط . اولى . السعادة .
(٦٣) الدبيل : قيل رمل بين اليمامة واليمن .

— ٨٧ —

وقال مروان في مدح معن : (٦٤)

« البسيط »

قد آمن الله من خوف ومن عــــدم ... من كان جاراً له من جور ذا الزمن(٦٥)
معن بن زائــدة الموفي بذمتــــــه ... والمشتري الحمــد بالغالي من الثمن
يرى العطــايا التي تبقى محــامدها ... غنما اذا عدّها المعطــي من الغبن
بنى لشيبان مجدا لا زوال لـــــــه ... حتى تزول ذوو الاركان من حضن(٦٦)

— ٨٨ —

وانشد الرشيد هذه الابيات : (٦٧)

« الرجز »

موسى وهارون هـمـــا اللذان ... في كتب الاخبار يوجدان (٦٨)

---

(٦٤) وفيات الاعيان • ابن خلكان ج ٤ ص ٣٣٤ ط • السعادة • والحماسة البصرية ١ / ١٤٣ •

(٦٥) الشطر الثاني في الحماسة كما يلي : من كان معن له جارا من الزمن •

(٦٦) حضن : اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة، بينه وبين تهامة مرحلة، يقال في المثل : انجد من رأى حضنا •

(٦٧) الاغاني / ج ١٣ ص ١٤٢ ط • دار الكتب •

(٦٨) موسى : الخليفة الهادي •

من ولد المهـدي مهديّان   قدّا عنانين على عنـان (٦٩)
قد اطلق المهـدي لي لساني   وشد ازري ما به حبـاني
من اللجين ومن العقيـان   عيديـة شاحطة الأثمان (٧٠)
لو خايلت دجـلة بالألبـان   اذاً لقيـل اشتبه النهران (٧١)

— ٨٩ —

قال مروان يرثي حمادا الراوية (٧٢) :

« الطويل »

واكـرم قبر بعـد قبر محمد   نبي الهدى قبر بمـا سبذان
عجبت لكف هالت الترب فوقه   ضحاً كيف لم ترجع بغير بنان

— ٩٠ —

ولمروان قوله : (٧٣)

(٦٩) « يريد أن الهادي والرشيد خير فرعين لخير اصل وانهما يشبهان أباهما المهدي في صفاته » •

(٧٠) العقيان : الذهب الخالص • العيدية : ضرب من نجائب الابل الشاحطة : من قولهم شحط البعير في السوم : اذا بلغ اقصى ثمة (٧) خايلت:

الشاحطة : من قولهم شحط البعير في السوم : اذا بلغ اقصى ثمنه •

(٧١) خايلت : فاخرت •

(٧٢) وفيات الأعيان • ابن خلكان ١/٤٥٢ •

(٧٣) العقد الفريد • ٦/٢٨٦ •

بدولـــة جعفر حمد الزمان لنـــا بـك كـل يوم مهرجان
جعلت هـديتي لك فيه وشياً وخـير الوشي ما نسج اللسان

— ٩١ —

وقال في بيعة الأمين : (٧٤)

« الكامل »

لمـــا سمعت ببيعة لمحمـــد شفت النفوس وأذهبت أحزانها
بايعت مغتبطاً ولو لـم تنبسط كفي لبيعته قطعت بنانهـــا
رجحت زبيدة والنساء شوائل والله ارجح بالتقى ميزانهـــا

— ٩٢ —

ودخل مروان على أبي يوسف القاضي وعنده الهيثم بن عدي وعاصم الغساني فسأله حاجة فلم يقضها له فخرج وهو يقول : (٧٥)

« الرجز »

هذا لعمري مجلس دنيّ ثلاثـة كلهـــم دعيّ

(٧٤) المحاسن والمساويء . البيهقي ٤٢٠ .
(٧٥) نور القبس من المقتبس . المرزباني ٢٩٤ .

خاتمة البحث

مروان بن أبي حفصة واحد من الشعراء البارزين في القرن الهجري الثاني ، إذ ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي بين سنتي ١٨١ هـ ـ ١٨٢ هـ .وقد كان مروان ذا شاعرية فذة متمكنة رفعته الى مصاف الشعراء المشهورين في العصر العباسي الأول .

وشاعر مثل مروان يتميز بقوة الشاعرية وسلامة اللغة ونصاعة البيان حري بالدراسة والبحث .. وهذا الذي كان .

لقد تناولت مروان بن أبي حفصة وشعره في ستة فصول ، بعد تمهيد تناولت فيه بيئة مروان العامة بكل أحوالها : السياسية ، الاجتماعية والأدبية ، ذلك ان هذه البيئة كانت ذات آثار بينة في شعره . ولقد تحدثت في هـذا التمهيد عن الصراع السياسي العنيف بين العباسيين الحاكمين وبين العلويين المعارضين من أجل الخلافة . ثم تحدثت عن الحياة الاجتماعية في عصره . إذ تميزت هذه الحياة باللون المترف المتحضر الذي ابتعد عنه مروان ولم يكن له أثر في شعره . كما تميزت باللون البدوي الجاد والمحتشم الذي كان له أبعد الأثر في شعر مروان ، فأشرت الى انبعاث النزعات والعادات القديمـة في هذه البيئة كنزعة التفاخر بالانساب والأحساب وعادة حماية الجار وانهاب المال وما الى ذلك من التقاليد العربية المعروفة .

وتحدثت في هذا التمهيد كذلك عن الحالة الأدبية واللغوية ، واشرت الى اهتمام العلماء واللغويين بالشعر القديم وبنائه وأسلوبه ، وعدم احتفالهم بالشعراء المحدثين .

وقد تناول الحديث في الفصل الأول .. حياة الشاعر : مولده ، كنيته ،

لقبه ، نسبه ، رحلاته ، صفاته واخلاقه ، اسرته ، ووفاته . وقد اشرت الى اختلاف الروايات في كنية مروان .. وفصلت الحديث في نسبه تفصيلاً كبيراً انتهيت في آخره الى أن الشاعر كان فارسي الأصل ، وليس عربياً من قبيلة عكل كما تزعم بعض الروايات ، وقدمت الأدلة التي تثبت فارسيته .

وتحدثت في هذا الفصل عن عراقة أسرته في تعاطي الشعر ، إذ كانت هذه الأسرة بيتاً من بيوتاته ، وان ابناءها ورثوا الشعر كابراً عن كابر ، وأن مروان كان القمة الشامخة بين شعراء اسرته . كما تحدثت في هذا الفصل عن أسرته وصلتها ببني أمية ، وعن وفود الشاعر الى الشام ، ثم اشرت الى العوامل التي قد تكون سبباً في ضياع شعره في عصر بني أمية .

وكان الحديث عن أثر الحياة السياسية في شعر مروان في الفصل الثاني... فقد اندفع الشاعر في تأييد العباسيين في وجه المعارضة العلوية اندفاعاً شديداً، إذ اتخذ من شعره سلاحاً دافع فيه عن النظرية العباسية في الخلافة ، وأبنت في هذا الفصل أن مروان لم يكن مخلصاً في اندفاعه مع العباسيين ، وانما كان أصدق في امويته القديمة منه في عباسيته . وقلت أيضاً : ان هوى الأمويين كان يملأ جوانب الشاعر ، ورددت على من قال . بأن مروان كان يزدري الأمويين فيما بينه وبين نفسه ، ثم اشرت الى أن اتجاه مروان السياسي هذا كان سبباً في إندفاع شعراء آخرين كمنصور النمري وأبان اللاحقي في هـذا الاتجاه الذي سلكه مروان طمعاً بمثـل الجوائز التي كان ينالها من العباسيين . وقد كان هذا الاتجاه ــ في اكبر الظن ــ سبباً في هلاكه على أيدي العلويين .

وتناولت في الفصل الثالث أثر المقومات والنزعات الاجتماعية في شعره . فقد وجدنا هذا الشعر يحفل بالاشارة بالنسب الصريح والحسب التالد

والطريف • وبمدح حماة الجار والثناء على اهل العطاء • واظهرت بوضوح تأثره بالمثل والقيم التي دعا اليها الدين الاسلامي وبكثير من آيات القرآن الكريم •

أما أثر الحالة الأدبية واللغوية في شعره فقد تحدثت عنه في الفصل الرابع ، واثبت هنا أن مروان كان شاعراً محافظاً من أصحاب مدرسة الأوائل من حيث احكامه على الشعراء ، واقتداؤه بزهير بن أبي سلمى في تنقيح شعره ، وعرضه لشعره على الآخرين ومشافهته للاعراب موضحاً اسباب ذلك ، وتطرقت الى موقف الأصمعي منه إذ كان يقدم بشاراً عليه •

وكان الحديث عن اغراضه الشعرية في الفصل الخامس •• ولم يكن مروان شاعراً متصرفاً في فنون الشعر ، ذلك أن فني المديح والرثاء كان الفنين اللذين استأثرا بأهتمامه وبرزا بين اغراضه • ولعل قلة تصرف مروان بفنون الشعر كانت سبباً من الأسباب التي حدت بالاصمعي الى تقديم بشار عليه لأن بشاراً — كما يقول الأصمعي — أكثر فنون شعر واقوى على التصرف[1] • ولعل السبب في تفوق بشار على مروان في كثرة الفنون هو أن مروان أجد وبشاراً اهزل [2] •

وقد بينت في هذا الفصل أن مروان قد تكسب بمديحه ، وأن هذا المديح كان ذا ميزتين : سياسية ودينية • وأن هاتين الميزتين اكسبتا مديحه قوة وتأثيراً •

اما رثاؤه فقد كان فيه مروان صادق العاطفة وفياً وخاصة رثاءه في معن ابن زائدة الشيباني •

---

(١) الموشح للمرزباني ٢٥١ •
(٢) الاغاني ١٠ / ١٤٣ •

وقد أشرت الى أن مروان كان من اسبق الشعراء الى وصف الحروب العباسية ــ الرومية . ولقد كان الشاعر قليل العناية والإهتمام بالأغراض الأخرى كالنسيب والفخر والهجاء لأنشغاله عنها في مديحه ورثائه . هذا الى جانب ابتعاده عن الاغراض العابثة في المجون والخمرة والهزل .

وتحدثت في الفصل السادس ــ وهو آخر الفصول ــ عن خصائص شعره العامة . من حيث أ ــ بناء قصيدته بناءً تقليدياً يتميز بتعدد الأغراض الى جانب الغرض الرئيس والحرص على المقدمة الغزلية المعروفة .

ب ــ أغراضه الشعرية الجادة التي تصور نزعات الحياة الاجتماعية وتقاليدها القديمة . جـ ــ بحوره الشعرية .. إذ التزم في نظمه اكثر البحور دوراناً واستعمالاً في الشعر العربي القديم كبحور الطويل والبسيط والكامل. د ــ المعاني .. وهي إما قديمة معروفة في الشعر القديم وإما حديثة استمدها من الجديد في السياسة والدين الاسلامي . هـ ــ الاعتدال والبعد عن الغلو في الوصف والتصوير دون اغراق في الخيال البعيد . و ــ جزالة الالفاظ ورصانتها .. وهذه ميزة لابد منها في شعر شاعر عرف بالتثقيف وتنقيح الشعر وبأكثاره من النظم في الأغراض الشعرية الرسمية في المديح والسياسة . ز ــ انتزاعه لصوره من البيئة البدوية التي كان يحياها كغيره من شعراء البادية . ح قلة عنايته بالتزويق والتحسين اللفظي إلا ما جاء لفائدة وجمال دونما قصد وكد ذهن . ط ــ تكرار الالفاظ والمعاني : وهو أمر يقع عند الكثيرين من الشعراء . وقد عللنا للأسباب التي أدت الى وقوع مثل هذا التكرار في شعره .

ويلي هذه الدراسة لشعر مروان ، مجموع ما جهدت في جمعه من شعره محققاً شارحاً ..

وبعد .. كان مروان مثار إعجاب الكثيرين من النقاد القدامى خاصة : فابن الاعرابي ختم به الشعراء وما دوّن لأحد بعده شعراً [٣] ، وعنه قال الشريف المرتضى : هو اشعر من كثير من أهل زمانه وطبقته [٤] . وعنه يقول الجاحظ : ومن كان يشق غبار ابن ابي حفصة [٥] ، وقدمه ابن خلكان فقال عنه : وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم ، وهو من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين . [٦] وقد كان ابو عمرو الشيباني واسحق الموصلي يقدمانه على بشار ومسلم [٧] .

ومن هذا يتضح لنا أن مروان كان شاعراً مجيداً حكم له بالسبق والفضل، وأنه حاز اعجاب العلماء وتقديرهم لما لمسوه في شعره من قوة ومتانة وصفاء وجمال في الاسلوب والالفاظ والمعاني .

---

(٣) الاغاني ١٠ / ٨٩ .
(٤) امالي المرتضى ١ / ٥١٨ .
(٥) البخلاء . الجاحظ ٢ / ١٣٣ .
(٦) وفيات الاعيان لابن خلكان ٤ / ٢٧٦ .
(٧) امالي المرتضى ١ / ٥١٩ .

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ اخبار الشعراء ، من كتاب الاوراق ، للصولي . ط . الصاوي (١٩٣٤) .
٢ ـ اخبار أبي تمام . للصولي . ط . المكتب التجاري . بيروت .
٣ ـ الاغاني . للاصفهاني . ط . دار الكتب ١٩٣٨ . ساسي .
٤ ـ الاسلوب . احمد الشايب ط . مكتبة النهضة المصرية .
٥ ـ أمالي الشريف المرتضى . ط . دار احياء الكتب العربية (١٩٥٤) .
٦ ـ الاوراق ، قسم اشعار أولاد الخلفاء واخبارهم ، للصولي . ط . الصاوي (١٩٣٦) .
٧ ـ أنوار الربيع في انواع البديع . علي صدر الدين بن معصوم المدني ط . النعمان في النجف .
٨ ـ الإيضاح لتلخيص المفتاح . لجلال الدين القزويني . ط . بولاق .
٩ ـ البخلاء . للجاحظ . ط . دار الكتب .
١٠ ـ البيان والتبيين . للجاحظ . ط . الاستقامة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .
١١ ـ تاريخ الشعر العربي . نجيب محمد البهبيتي (١٩٦١) .
١٢ ـ تاريخ الأمم والملوك . للطبري ط . لايدن ١٨٧٩ ، الاستقامة ، الحسينية .
١٣ ـ تاريخ الخلفاء . للسيوطي . ط . أولى المنيرية .

١٤ — تاريخ بغداد — للبغدادي • ط • السعادة (١٩٣١) •

١٥ — التذكرة السعدية في الاشعار العربية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي — مخطوط — في مكتبة الاستاذ عبد الله الجبوري •

١٦ — حديث الاربعاء • طه حسين • ط • دار المعارف بمصر •

١٧ — الحلة السيراء • لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر • ط • اولى نشر الشركة العربية للطباعة والنشر (١٩٦٣) •

١٨ — الحيوان • للجاحظ • ط • البابي الحلبي •

١٩ — حماسة ابن الشجري • ط • دائرة المعارف العثمانية (١٣٤٥ هـ)•

٢٠ — الحماسة البصرية • لصدر الدين البصري ط • مجلس دائرة المعارف العثمانية •

٢١ — خزانة الادب • البغدادي • ط • السلفية •

٢٢ — الخصائص • لابن جنى • ط • الهلال •

٢٣ — ديوان المعاني لابي هلال لمعسكري ط • القاهرة (١٣٥٢) •

٢٤ — ديوان زهير • ط • دار الكتب •

٢٥ — ديوان أبي تمام • ط • محمد علي صبيح واولاده •

٢٦ — ديوان رؤبة بن العجاج • ط • لا يبزك •

٢٧ — ديوان مسلم بن الوليد ط • دار المعارف بمصر •

٢٨ — ديوان ابن المعتز • الشيخ محي الدين الخياط •

٢٩ — ديوان دعبل الخزاعي • ط • المجمع العلمي العربى بدمشق •

٣٠ — ديوان المتنبي ط • لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤٤ م) •

٣١ — ربيع الابرار • الزمخشري • مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد •

٣٢ — رغبة الأمل من كتاب الكامل للمرصفي ط • التقدم •

٣٣ ـ زهر الآداب • للحصري ط • دار احياء الكتب •

٣٤ ـ سر الفصاحة • للخفاجي ط • الرحمانية •

٣٥ ـ سمط اللآلي • للوزير أبي عبيد البكري • ط • لجنة التأليف والترجمة والنشر •

٣٦ ـ شذرات الذهب • للحنبلي • ط الصدق الخيرية (١٣٥٠ هـ) •

٣٧ ـ شرح المضنون به على غير أهله • عبيد الله بن عبد الكافي •ط• السعادة (١٩١٣) •

٣٨ ـ شرح المعلقات السبع • للزوزني • ط • دار صادر (١٩٥٨) •

٣٩ ـ شرح المفضليات • الضبي • ط • دار المعارف بمصر •

٤٠ ـ الشعر والشعراء • لابن قتيبة • ط • دار الثقافة (١٩٦٤) ، المعاهد •

٤١ ـ الصناعتين • للعسكري • ط • البابي الحلبي (١٩٥٢) •

٤٢ ـ ضحى الاسلام • احمد امين ط • النهضة المصرية •

٤٣ ـ طبقات الشعراء ومختصره • لابن المعتز • ط • دار المعارف بمصر (١٩٥٦) •

٤٤ ـ طبقات فحول الشعراء • لابن سلام• ط • دار المعارف للطباعة والنشر •

٤٥ ـ العقد الفريد • لابن عبد ربه • ط • لجنة التأليف والنشر (١٩٤٨) •

٤٦ ـ العمدة • لابن رشيق القيرواني ط • السعادة (١٩٦٣) ، حجازي•

٤٧ ـ عيار الشعر • لابن طباطبا • ط • المكتبة التجارية •

٤٨ ـ عيون الاخبار • لابن قتيبة • ط • دار الكتب •

٤٩ ــ عيون التواريخ • ابن شاكر الكتبي • مخطوط • رقم ٣٤٠٩ • دمشق •
٥٠ ــ الفخري • لابن الطقطقى • ط • محمد علي صبيح واولاده (١٩٦٢) •
٥١ ــ الفهرست • لابن النديم ط • الاستقامة •
٥٢ ــ القاموس المحيط • للفيروزبادي • ط • المكتبة التجارية •
٥٣ ــ الكامل في اللغة والادب للمبرد • ط • التقدم • العامرة • البابي الحلبي •
٥٤ ــ الكامل في التاريخ لابن الأثير • ط • المنيرية •
٥٥ ــ لباب الآداب • لابن المنقذ • ط • الرحمانية (١٩٣٥) •
٥٦ ــ لطائف المعارف • للثعالبي • ط • دار احياء الكتب العربية •
٥٧ ــ المحاسن والمساويء للبيهقي • ط • دار صادر (١٩٦٠) •
٥٨ ــ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء • للراغب الأصبهاني • ط • الشرفية •
٥٩ ــ مختصر التاريخ الكبير • لابن عساكر • ط • روضة الشام •
٦٠ ــ المختار من شعر بشار • اختيار الخالديين • ط • الاعتماد (١٩٣٤)
٦١ ــ مخطوطة في مكتبة برلين • رقم ــ ٧٥٣٠ •
٦٢ ــ مرآة الجنان • لليافعي • ط • حيدر آباد الدكن (١٣٣٧ هـ) •
٦٣ ــ مروج الذهب • للمسعودي • ط • ثالثة السعادة (١٩٥٨) •
٦٤ ــ المزهر • للسيوطي • ط • البابي الحلبي •
٦٥ ــ المستطرف من كل فن مستظرف • للأبشيهي • ط • عبدالحميد احمد حنفي •
٦٦ ــ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي •

ط . السعادة .

٦٧ ـ معجم البلدان . لياقوت الحموي . ط . السعادة .

٦٨ ـ معجم الشعراء . للمرزباني . ط . دار احياء الكتب العربية .

٦٩ ـ مقاتل الطالبيين . للاصفهاني . ط . دار احياء علوم الدين بيروت (١٩٦١) .

٧٠ ـ المؤتلف والمختلف . للآمدي . ط . القدسي .

٧١ ـ الموشح . للمرزباني . ط . دار نهضة مصر .

٧٢ ـ الموفقيات . للزبير بن بكار . مخطوط . نسخة مصورة عن نسخة باش اعيان .

٧٣ ـ النجوم الزاهرة . لابن تغري بردي ط . دار الكتب .

٧٤ ـ نقائض جرير والفرزدق . محمود غناوي الزهيري ط . دار المعرفة . بغداد .

٧٥ ـ نقد الشعر . لقدامة بن جعفر . ط . الخانجي سنة ١٩٦٣ .

٧٦ ـ نهاية الارب . للنويري . ط . دار الكتب .

٧٧ ـ نور القبس من المقتبس . المرزباني . تحقيق رودلف زلهايم .

٧٨ ـ الورقة . لابن الجراح . ط . دار المعارف بمصر .

٧٩ ـ الوزراء والكتاب . للجهشياري . ط . البابي الحلبي .

٨٠ ـ الوساطة . للجرجاني . ط . البابي الحلبي .

٨١ ـ وفيات الاعيان . لأبن خلكان ط . اولى . السعادة . وط . مكتبة النهضة .

٨٢ ـ يتيمة الدهر . للثعالبي ط . حجازي .

استدراك

في أثناء المراحل الأخيرة لطبع هذه الرسالة عثر الأخ د . نوري القيسي ـ وهو يحقق كتاب الزهرة للأصفهاني ـ عثرعلى بيتين ينسبان لمروان بن أبي حفصة وهما (١) :

ما كلَّ (٢) جارُهم الثواءَ ولا قلى ... يوماً جوارَ بني حنيفة جارُ
إن الذي سمك السماء بنى لنا ... مجداً تقطّع دونه الأبصار

سقط سهواً من شعر مروان البيت التالي في المديح : (٣) «الطويل»

صحيح الضمير سره مثل جهره ... قياس الشراك بالشّراك تقابله

---

(١) كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن أبي داود الأصفهاني المتوفى سنة ٢٩٧ هـ ورقة ١٦١ / أ .

(٢) لعل الأصح ـ ملَّ .

(٣) أمالي المرتضى ١ / ٥٧٢ .

١ ــ فهرس الآيات

٢ ـ فهرس الشعر

— س —

٣ ـ فهرس الاعلام

٤ ـ فهرس المدن والبلدان

٥ ـ فهرس القبائل والملل والامم

تصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠	٣	فاطمةفي الاسلام دونكم	فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة في الاسلام من بينكم
١٦		السطر الأخير زائد والسطر ١٨ يتقدم ما قبله	
١٧	٩	فأبوا جعفر	فابو جعفر
١٧	١٧	الى مكارم	الى ملك
١٨	٢	هنَّي	هنيّ
١٨	٧	تغني	تغنى
٢٣	١٤	أبوعمره لا يعدّ	ابوعمرو لا يعدّ
٢٥	١٢	سقينة	سفينة
٢٧	٩	عدّوهم	عدّوهم
٢٧	١٣	يعدّوه	يعدّوه
٢٧	١٤	يجدّون	يجدّون
٢٨	٦	رؤية	رؤبة
٣٦	١١	المعزيات	المخزيات
٣٧	٤	نكنا	نكحنا
٤٤	١٤	ينأتي	يتأتى
٥٢	٣	يعبَّر	يعبّر
٥٣	٧	وكان أخوه	وكان ابنه
٥٣	١٣	تورتها	تورثها

ص	س	الخطأ	الصواب
٥٥	١٦	مهوي	مهدي
٧٢	٢١	يستحِل	يستحلّ
٧٤	١	غابة	غاية
٨٢	١٩	يتبنّي	يتبنى
٩٢	١٠	يسمَّون	يسمُّون
٩٤	١٦	للطالبين	للطالبيين
٩٧	٩	السياسي خاصة	السياسي الذي خاصه
٩٨	١٥	العباس	أمية
١٠٤	١٩	تقطعا	تنزعا
١١٠	١٠	العكومة	الحكومة
١١١	١٣	كفبه	كفيه
١١٢	٧	ينهيه	ينهبه
١١٦	١	الشطر الثاني هكذا «لرأفته بالناس للناس والله»	
١٢١	١	في فصل سابق	في تمهيد البحث
١٢٣	١٠	الخلط	الخط
١٢٨	١٧	يشبَّه	يشبُّه
١٦٠	١٩	شوبدى	وأبدى
١٦٢	١٩	وبحر	وبحمر
١٦٥	١٣	تلبلها	تليلها
١٧١	٧	للسغباب	للسغاب

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
١٨٩	٨	ثرها	أثرها	٢٤٢	١٠	مغضٍ	مفضٍ
٢٢٤	١٤	بذّه	بذّه	٢٥٣	٣	ورابتم	ورأبتم
٢٠٥	١٠	محمد	محمداً	٢٥٤	٦	هناك	هناكِ
٢٢٩	٦	يعدّ	يعدُّ	٢٥٩	١	بالخصاب	بالخضابَ
٢٣٠	٥	بمدبحه	بمديحه	٢٥٩	٧	البيتان ٦٤ من البحر الطويل	
٢٣١	٦	أحبّر	احبُر	٢٧٤	١١	الشطر الثاني أخذ مكان الشطر الأول	
٢٣٥	١٧ الهامش	بزذمتها	برذتتها				
٢٣٦	١	إلبك	إليك	٢٧٨	٣	أني الم	انى المّ
٢٣٨	١٢	شبعهاها	بعهادها				

١٩٧٢ / ١٢ / ٢٩ / ١٠٠٠

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٤٠ لسنة ١٩٧٢

فهرس الموضوعات(*)

(*) لم يطبع في موضعه المناسب سهواً .

الثمن (٥٠٠) فلس

١٠٠٠ ، ٢٩ / ١٢ ، ١٩٧٢
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٤٠ لسنة ١٩٧٢